

١٠ قروش

كتاب الهلال



مسئلة
ثقافية
شهرية

أساطير الحب والجمال عند الإغريق

الشيخ محمد...

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة : أحمد بهاء الدين

العدد ١٧١ - صفر ١٣٨٥ - يونية ١٩٦٥
No. 171 - Juin 1965

مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب
التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى الجمهورية
العربية المتحدة جنيه مصرى - فى السودان جنيه
سودانى فى سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشاً سورياً
لسانيا - فى بلاد اتحاد البريد العربى جنيه و ٣٠٠
مليم - فى الأمريكتين ٥ دولارات ونصف - فى سائر

رين ٤٠ آنفة ،
ما ، الجزائر ١٧٥

إهداء 2005

الأستاذ الدكتور / أحمد حمدي محمود
القاهرة



كتاب الحلال

ALEXAND
لا تتركه
مكتبة



CANDRINA
سلسلة شهرية لنشر الثمينة والتبليغ
للجميع

الخلافة : بريشة
الفتان ايهاب شاك

أساطير
الحب
والجمال
عند الإغريق

بتأليف
دريغ خشيّة



دار الهلال

الاهداء



الى الأستاذ العبقري الأول

مؤلف

« ألف ليلة »

هذا الكتاب

منذ ثلاثين سنة أو أكثر أخذ الدكتور طه حسين ينادى في الجامعة وخارج الجامعة بالاهتمام بالتراث اليونانى . . . وكان الدكتور طه حسين يرى أن ثقافتنا العربية الجديدة يجب أن تفتح نوافذها على ثقافة اليونان العريقة التى تعتبر من الاسس الهامة للثقافة المعاصرة فى العالم كله

وقد كان أجدادنا من فلاسفة العرب القدماء وعلمائهم يعرفون أهمية الثقافة اليونانية ، ولذلك أقبلوا على ترجمتها ودراستها وفهمها على أوسع نطاق ، وكان العرب من أسبق شعوب العالم فى معرفة الثقافة اليونانية ، بل لقد كان عرب الاندلس بالذات هم الذين نبهوا أوربا الى قيمة الفلسفة اليونانية ، وهم الذين احتفظوا بأهم آثار هذه الفلسفة ، ولولاهم لضاعت هذه الآثار الى الأبد فى ظلام القرون الوسطى الذى كان يعم أوروبا ويعميها عن رؤية أى شىء جميل عميق ، بينما كان العرب فى ذلك الوقت هم أصحاب الحضارة المضيئة فى العالم ، هم الذين يحملون نور المعرفة من أرض الى أرض ، ويفتحون قلوبهم لما أنتجته شعوب العالم من آثار فكرية

عظيمة ، سواء كانت هذه الشعوب في فارس أو الهند
أو في الصين أو وراء الشاطئ الآخر للبحر الأبيض . . في
أوروبا

ومن خلال هذه الروح المشرقة المضيئة عاشت آثار
أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان في حراسة عـرب
الاندلس ورعايتهم ، وكان العالم العربي الكبير ابن رشد
هو الذى مثل هذا الدور خير تمثيل ، فترجم أرسطو
وشرحه . . وأنقذه من الضياع والنسيان . وعن طريق
ابن رشد . . عن طريق عرب الاندلس هؤلاء عرف الغرب
في نهضته آثار اليونان وتنبه الى قيمتها الكبيرة

ولكن العرب فى اهتمامهم بآثار اليونان القديمة وقفوا
عند الفلسفة والمنطق ، ولم يلتفتوا الى الادب . . . وكان
عدم اهتمامهم بالادب اليونانى ظاهرة غريبة ما زال
المفكرون والدارسون يبحثون عن أسبابها الى اليوم ،
ويختلفون حولها فى البحث والتفسير

وفى بداية النهضة العربية الحديثة التفت العرب
المعاصرون الى ما لم يلتفت اليه العرب القدماء ، لقد
بدأوا يهتمون بالادب اليونانى ، والفن اليونانى على اختلاف
ألوانه وصوره ، وكان رائد هذه الدعوة الجديدة هو طه
حسين الذى استفاد من منصبه كأستاذ جامعى ، واستفاد
من مركزه الفكرى الواسع خارج الجامعة ، ليدعو العرب فى
كل مكان الى الاهتمام بالتراث الادبى والفنى عند اليونان

والتقط الدعوة أديب عربى موهوب هو درينى خشبة ،
وكان هذا الاديب مسلحا بمعرفة عميقة بالثقافة
العربية الاصيلية ، مسلحا بأسلوب عربى مشرق
جميل ، وكان هو نفسه قد بدأ حياته الادبية بكتابة الشعر
العربى . . وأخذ يقرأ الادب اليونانى قراءة فهم واستيعاب
وتذوق ، وقرر فى آخر الامر ان يقدمه الى القراء العرب فى

أحسن ثوب وأجمل صورة ..
وكان من أهم آثار الأدب اليوناني تلك الأساطير الكثيرة
حول الإنسان والعالم ، ومن بين هذه الأساطير مجموعة
رائعة حول الحب والجمال ، هي موضوع الكتاب الذي
نقدمه اليوم

وقد أصبح أبطال هذه الأساطير مشهورين معروفين على
كل لسان في مختلف أنحاء العالم .. فمن منا لا يعرف
« كيوبيد » رسول الفرام وحامل سهام الحب ، والكائن
السحري الذي يربط بين القلوب بأجمل المشاعر والعواطف
ومن منا لا يعرف فينوس ، المثل الأعلى للجمال ، والتي
لا تخطر على بالنا إلا ومعها ذكريات حلوة عذبة عن أجمل
ما رآته العيون وخفقت له القلوب ؟ .. وما أكثر الأساطير
الأخرى المتنوعة التي امتلأ بها أدب اليونان حول الحب
والجمال ..

لقد كتب دريني خشبة هذا الكتاب الذي نقدمه إلى
القراء اليوم ، وجمع فيه كل أساطير الحب والجمال عند
اليونان ، وعرضها بأسلوبه الجميل الأنيق ، فجاءت تحفة
فنية من أروع آثار الأدب العربي المعاصر

وكتاب الهلال إذ يقدم هذا الكتاب إلى القراء إنما يهدف
من ناحية إلى تقديم هذه المتعة الفنية الرائعة للذوق
والوجدان والعقل ، ويهدف من ناحية أخرى إلى المساهمة
في فتح نوافذ ثقافتنا العربية على ما في العالم من أفكار
وثقافات أخرى ، وخاصة هذه الثقافة اليونانية العظيمة
التي كان لها مكانها وقدرها الكبير العزيز في ثقافتنا
العربية القديمة ، والتي تجدد الاهتمام بها في نهضتنا
الفكرية الحديثة ..

ويهدف كتاب الهلال من ناحية ثالثة إلى تأكيد

قيمة هامة في مجتمعنا الاشتراكي الثوري الجديد . . هذه القيمة التي يجب ان نعتز بها ونحرص عليها هي : ان الاشتراكية ليست هي الحياة القاتمة المتجهمه ، بل انها في جوهرها دعوة الى الحب والتفتح والاستمتاع بالحياة ، والمجتمع الذي تبنيه الاشتراكية هو مجتمع الصحة النفسية والصحة الجسمية ، وهو بكلمات أخرى المجتمع الذي يعرف ان من حق كل شاب وفتاة ان يحسا بالعاطفة الحارة العميقة الناجحة ، وهو المجتمع الذي يجعل من كيوييد عضوا عاملا نشيطا في داخله . . في كل حقل ومصنع ومدرسة وجامعة ، وهو المجتمع الذي يجعل من فينوس مثلا أعلى يمكن تحقيقه باستمرار ، وذلك بمقاومة المرض والبؤس اللذين يدمران ويحرمان الجسم البشري من كل فتنته وجماله . .

وأخيرا فان كتاب الهلال يهدف بنشر هذا الكتاب الى احياء عمل خصب من أعمال الأديب الراحل دريني خشنة الذي توفي في ١٠ يوليو سنة ١٩٦٤ عن واحد وستين عاما بعد ان ساهم على نطاق واسع في الحركة الادبية العربية طيلة اربعين سنة متصلة ، منذ ان بدأ يكتب في سنة ١٩٢٣ حتى مات في العام الماضي عن واحد وستين عاما ، وخلال هذه المدة الطويلة لم يترك قلمه ، ولم يتوقف عن جهاده الفكري سواء بالتأليف أو بالترجمة أو بالتدريس ، وقد كان له على الادب العربي المعاصر افضال عديدة ، على رأسها هذا الجهد الفذ في تقديم الادب اليوناني بأسلوبه العربي الرائع ، ثم اتجاهه في الفترة الأخيرة من حياته الى خدمة الثقافة المسرحية ، حيث ترجم عددا من أمهات الكتب العالمية التي تدرس فن المسرح وتشرحه وتفسره ، ومن بين هذه الكتب المترجمة : في الفن المسرحي بقلم جورودن كريج - علم المسرحية بقلم الارديس نيكول - فن

كتابة المسرحية بقلم لا يوس اجرى - حياتى فى الفن بقلم
المخرج الروسى الشهير ستانسلافسكى - تشريح المسرحية
بقلم مارجورى بولتون - تاريخ المسرح فى ثلاثة آلاف سنة
بقلم شيلدون شبنى - فن الكاتب المسرحى بقلم جسون
بسفيلد « الابن » .

ومن مؤلفاته كتاب عن « أشهر المذاهب المسرحية » ،
كما كتب مقدمات تحليلية طويلة لست عشرة مسرحية من
سلسلة روائع المسرح العالمى ، وله رواية لم تنشر هى
« الانسانية تغنى » وله أيضا مجموعة أشعار لم تنشر بعد
وهذا الكتاب الذى تقدمه هو أحد الأعمال الفكرية
والفنية الممتازة لهذا الكاتب المخلص الموهوب الذى عاش
حياته كلها من أجل الثقافة والفن وساهم بنصيب وافر فى
نهضتنا الفكرية المعاصرة

« كتاب الهلال »

مقدمة

هذه طائفة من الاحلام اليونانية الرائعة كان يحزننى
الا يعرفها قراء العربية ، على طول ما سمعوا بها ، وعلى
كثرة ما داعبت خيالهم ، وغازلت أحلامهم ، فأنا اقدمها
اليهم اليوم ، بالطريقة التى آثرت أن أروى بها هذه
الاساطير . . .

أحببت ان أسجل ذلك ، حتى لا يدور فى روع أحد
اننى نقلت ما نقلت من آيات ذلك الادب الذى أغرمت به ،
نقل ترجمة ، ولكن نقل رواية ، وهى الطريقة التى آثرها
شعراء أوربا الحديثة حين قدموا لبلائدهم ذلك التراث
اليونانى التليد ، وهى الطريقة نفسها التى أقرها ، وجرى
عليها الاستاذ الانجليزى الكبير « توماس بلفنش »
(١٧٩٦ - ١٨٦٧) ، حينما نقل الى الانجليزية معظم
الاساطير اليونانية عن أوفيد وفرجيل . . . فرب أسطورة
ليس لها فى أصول ذلك الادب الا سطر أو سطران ، رواها
هو فى صفحة أو صفحتين ، ليباعد بيتها وبين جفاء العلم ،
ولا يجعلها سائفة فى أذواق مواطنيه
وهكذا فعلت . . .

وما دمت قد أشرت الى الاستاذ بلفنش ، فلا بد من
الإشارة الى الاستاذ هـ . أ . جرير H.A. Guerber
الذى انتفعت بكتابه الخالد (١) فى تسوية أساطيرى هذه،
والذى أغرائنى أغراء شديدا برواية هوميروس كله ، فى
ملحمته العظيمة « الإلياذة » و « الأوديسة » ، كما
أغرائنى بعد ذلك برواية ذلك الادب التمثيلى اليونانى
البارع ، الذى بقى للمدينة وللذهن الانسانى ، من شعراء
الأغريق القدامى : اسخيلوس ، وسوفوكليس ، ويوريبيدز ،
مما قدمته الى قراء العربية فى الصحف والمجلات . .

أما أساطير اليوم ، فهى من غير شك الفصل الاول من
ديوان الادب اليونانى الحافل ، الذى أشفق العرب من
نقله الى لسانهم ، خوفا مما يفيض به من وثنية ، على
الدين الجديد . . ولم يعد لنا عنبر فى أن تحول تلك
الحجة بيننا وبين الانتفاع بالادب اليونانى ، ولا سيما فى
طفولته الاولى الجميلة التى أبدعت لنا تلك الاحلام . .

ولابد هنا من الاعتذار عما كان لابد من ايراده فى بعض
تلك الاساطير ، من ذلك اللون من الحب الذى يوشك أن
يكون صارخا . . فقد أردنا أن نعطى القراء صورة صادقة
عن الفجر الاول لذلك الادب اليونانى . . وليس من
الصدق أن نخفى بعض ألوان تلك الصورة . . وان كنا
قد حرصنا على ألا نثبت منها الا أقربها - أو ما يكاد
يكون أقربها - الى ما نأخذ به أنفسنا من كريم تقاليدنا
أما ان هذه الاساطير التى أقدمها الى القراء اليوم ،
هى السفر الاول من ديوان الادب اليونانى ، فذلك الحق
الذى لا مرأى فيه . . فهى على قلتها ، تقفنا على كثير من
أعلام الميثولوجيا اليونانية ، وخصائص آلهتها وأنصاف
آلهتها وعرائس غابها وبنات مائها وسائر سكان ذلك

(١) أساطير اليونان ورومه Myths of Greece and Rome

الاولمب العجيب ، بما كان يسيطر عليه فى عالم الخيال
من قبائل السنتور والاوزسيانيد والنيريد ، مما يجده
القراء مبثوثا فى ثنايا هذا الكتاب ، تلك الاسماء التى
آثرنا منها ما هو أكثر شيوعا فى الادب الاوربى الحديث،
الذى يؤثر الاسماء اليونانية أحيانا ، ويؤثر الاسماء
الرومانية أحيانا أخرى

فهذا الكتاب اذن هو مصباح لا بد منه للتمتع بجنة
هوميروس ، وجنات الشعراء الافذاذ الذين جاءوا من
بعده ، فشادوا على بنيانه صرح ذلك الادب . . والنور
الذى يرسله هذا المصباح كفيل بتبديد ظلمات ذلك
التراث الذهنى القديم الذى أبدعته لنا شقيقتنا فى
ذكريات الماضى . . هيلاس المجيدة

درينى خشبة

بسيشيه وكيوبيد أروع قصص الحب في التاريخ القديم



كان الليل الهادئ القمر أصفى من قلوب العذارى ،
وكان النسيم العليل الحلو يرف كالأمانى في قلوب المحبين ،
وكان البدر العاشق المسهد يرسل القبل فتنتطبع على
خدود الورد ، وتلثم أعواد الزنبق ، ثم تنتشر بالشذى
فتعطر أحلام المدنفين !

وكان كيوبيد الصغير يتميز من الفيظ حين انطلق
حاملا سهامه ليقتل بسيشيه ابنة الملك ، التي أهانت
بجمالها كبرياء أمه فينوس !

كان الناس يعبدون ربة الجمال والحب حتى ترعرعت
بسيشيه وتدفق ماء الشسباب في جسمها الريان ،
فهويت اليها نفوسهم ، وخفقت بحبها قلوبهم ، وآثروها
بعبادتهم من دون فينوس !

وكان للفتاة أختان حسناوان ، ذواتا دلال وفتون ،
ولكنهما كانتا مع ذلك دونها قسامة ووسامة وفتنة !
أجل ، كانتا دونها فتنة ، فلقد كانت العيون تفرق من
جمال بسيشيه في لجة من الحسن الغامض ما لها من
قرار ، وكان غموض حسننها هو سر عبادة الناس لها ،
وافتنانهم بها ، وانصرافهم اليها عن كل ربات الجمال !

ودعت اليها ابنة الحب ، فأثارت في قلبه
العداوة لهذه الغادة وجسمت له ما يحقق به وبأمله من
انصراف الناس عن عبادتها الى هذه المخلوقة التعسة :

أفريضيك يا بنى أن تكون من آلهة الاولب نكرتين
لا يخبت لهما شعب من العباد المخلصين ؟ أم يرضيك
أن يتغامز بى الانهة كلما مررت بهم ، وهم كما تعلم
مغيظون منى ، فيقولون ها هى ذى فينوس التى أذلت
كبرياءها امرأة ، وصرفت الناس عن عبادتها غادة ؟
أذهب اذن فترىص لها ، وأنفذ الى أغوار قلبها سهمها
يودى بها الى «هيدز» ، وبئس القرار ! وانه لا خير على أن
تهيم بها أرواح الموتى ، أو يفتتن بها بلوتو وملوّه ..

ومضى كيوييد الى قصر الملك فى طريق حفت بالورد :
وعبقت فيها أرواح البنفسج ، وتأرج النرجس الغض
واختلط كل أولئك بالقمرى الفضية فرققت من غيظ
الاله الاصفر ، وجعلته يحس الجنة التى يخطر فيها
ليقتل فتاة بريئة ، كل ذنبها جمالها ، وأقصى ما ارتكبته
من وزير أن بدت للناس فشغفوا بها ، وفنوا فيها ..

وكبرت فى قلب كيوييد أن تنتهى هذه الجنة الى جحيم
تعج بالجريمة ، وتفيض بالآلام فجلس تحت سوسنة
نامية يتأمل ، وكان ضوء القمر ينعكس على الازهار ثم
يرتد شعرا وسحرا وموسيقى صامته ، تعزف الحانها
على أوتار قلبه الخفاق !

وصدح بلبل غرد فى هدأة الليل الفضى ، فانتفض الاله
الاصفر وحمل قوسه وسهامه ومضى .. لا يأبه بجمال
الطبيعة الساحرة ، ولا يأسر لبه هذا البهاء الذى يغمر
الكون حوله ، حتى كان عند أسوار القصر الملكى الراقدة
فى طوفان زاخر من أزهار الشبر والياسمين والبابونيا
وبرفتين من جناحيه الصغيرين كان فى حديقة القصر ..

ها هو ذا يصعد على الدرج الرخامى ، متبخثرا ، دون
أن يلمحه الحرس ..

وانفتل فى بسيشيه النائمة ، واندس خلف الستائر
الحريرية يوتر القوس الذهبية وينتقى من كنانته سهما
تقطر المنية من سنانها ، ويرقص الموت على شباته !
وتقدم نحو الفتاة ...

يا للجمال النائم فوق الاريقة ! ويا للفتنة العائمة ملء
السريـر !

لقد كانت متجردة كلها ! وكان نهدها البارز المثمر
مجللا بشديين ناضجين يتحلبان لذادة ويلتهبان اغراء !!
ونامت هذه الذراع هنا ، واطمأنت تلك الذراع هناك ،
لذنتان وان كانتا كالمرمر ، رخصتان وان كانتا لتمثال
معبود !!

وكان السحر يهمهم فوق الساقين الملفوفتين ، ويهوم
من تحتهم ، كأنه يرقيهما من نفسه ، أو ينفث فيهما من
روحه !!

والرأس الصغير فوق الطنفسة الوردية ، رقد مستسلما
لاحلام الشباب الحلوة متلألئا فى شعاعة من ضوء القمر
سقطت عليه من النافذة القريبة ، رسولا من لدن ديانا (١)
البارة ، أقبل ليقول للآله الأصغر : « مكانك أيها الرامى
الحبيب ! ماذا جنى عليك هذا الحسن فتسلمه للردى ،
وتجرعه كأس المنون ؟ ! افتح له ما انغلق من قلبك تنعم به ،
فانك لن تجد فى ربات الاولب من تخلص لك الحب كمناسا
يخلصه لك هذا الهدف البريء .. »

وخطا كيوبيد خطوتين ، وحملق فى وجه بسيشيه ..

(١) ديانا هى ربة القمر ، وهى التى اكتشفت كيوبيد ، فأرسلت
الشعاعة فوق وجه الفتاة لانقاذها

وبهره الجبين المشرق ، والهدب الناعس ، وأخذ الأسيل
.. وأخذ بلبه هذه الشعر العسجدى تفضض حواشيه
أضواء القمر فتزیده بهاء ورونقا ، فألى لا يهدرن هذا
الجمال البارع ، وأثنى مسلوب اللب ، مشدوه القلب ،
موزع الفكر ، وانتزع السهم فألقى به فى كنانته .. وقبل
أن يخرج يده الصغيرة الناعمة ، شاء القدر أن يخذلها
سهم ذهبى من سهام الحب ، ملأ كيويده هوى وأفعم
قلبه صباية ، فتقدم نحو سيشيه فى خطى اللهفان ،
يتزود لأوبته من جفنها النعسان وجمالها الفينان
وطبع على الفم الدقيق قبلة دقيقة حلوة ، وعاد أدراجه
عاشقا وامقا لا يبالي بسخط أمه فينوس !!



وانصدع عمود الليل ، وتنفس الصبح فهبت الأرواح
النائمة ، وأقبلت فينوس ربة الحب لتسمع الى الناديات
النائحات فى قصر الملك .. بيد أنها ، بدلا من ذلك ،
رأت سيشيه ، سيشيه بعينها ، تمرح فى حدائق القصر ،
وقد برزت عرائس الماء من الغدران الصافية تحييهن
وتغنى لها ، وتضفر لها أفواف الزهر .. !!
وحنقت ربة الجمال والحب ، ونادت بالويل والشبور
على ولدها كيويده ، وأقسمت لتجعلن مباهج الحياة
ووضاعتها ظلما فى عيني الفتاة !!

فسلطت عليها الأشباح تروعها وتفزعها ، وأغرت بها
بعض خفافيش سوداء جعلت تنوشها وتهاجمها ، وسخرت
عليها ريح السموم تلفحها وتصهر روحها ، فانطلقت
المسكينة مذعورة الى داخل القصر ، وطفقت تصرخ وتعالى ،
ولا يدرى أحد لماذا تصرخ ابنة الملك وتعالى .. وأزدحم
حولها أبواها وأخوتها والخدم والحشم ينظرون ويعجبون
ولا يكادون يحIRON ..

ومضوا بها الى المعبد يستوحدون الآلهة ، ولكنها ما كانت
لتزداد الا شكاة وأشجانا !!
وكرت الايام ...

وانسربت بسيشيه الى الجبل القريب المشرف على
البحر ، وفي نفسها ان تلقى بحمل الحياة من شاهق ،
فتستريح مما يطيف بها من آلام !
ورآها كيوبيد ...

وظلت هي ترقب المرج الهائج ، وتشهد اليم المصطخب ،
وتلقى على البطاح نظرة مودع عجلان ، وعلى المروج
الخضر تحية مأخوذ القلب أسوان ، ثم صرخت صرخة
هائلة ، وألقت بنفسها من عل ..

وكان كيوبيد قد أحس بما تعترمه حبيبته من الانتحار ،
فدعا إليه صديقه ونجيه زفيروس ، اله الريح الجنوبية ،
واطلعه على ما يكن من الحب : « لهذه الفتاة التي تكاد
تلقى بنفسها من قنة الجبل يا صديقي زفيروس . فان
رأيت أن تكون لك على هذه اليد ، أذكرها لك أبد الدهر ،
فخذ أهدبتك ، ولا تلمعها تفوص في اليم ، بل تلقها في يدك
الرفيقتين ، واذهب بها الى الجزيرة المقابلة حيث
الشاطئ المنصور بالرياحين ، فدعها ثمة ، فقد أعددت
لها مسترادا وملعبا .. »

ولشد ما دهشت بسيشيه اذ رأت طيفا نورانيا كريما
يبرز من الماء فجأة فيلتقطها في يديه الكريمتين ، ثم يترفق
بها فيضعها على ظهره العريض الرحب ، كأنه أريكة من
أرائك الجنة ، ويخوض بها اليم المضطرب فتغنو له
الامواج ويسجد من تحته الشبح ، ويصير البحر في لمحة
كأنه مرآة صافية ملساء ، كأنها السماء ..

ويصل الى الشاطئ المزدهر فيبسم الفتاة ثم يجيبها

بثمتمة ، وينطلق في البحر الذي يعود الى سابق اصطخابه
واضطرابه . .

وتجلس بسيشه على الكلا فتفرك عينيها مما استولى
عليها من ذهول ، لتري هل هذا الذي هي فيه حلم أو هي
قد ماتت فعلا ولكنها دخلت الجنة ؟!

بيد أنها تذكر أن الارواح فقط هي التي تنفس الى دار
الموتى ، وأنه ليس في دار الموتى شمس ولا ابناء ، وهي
تتحسس نفسها فتري جسمها البض الجميل كما هو لم
يتغير ، وهي ترى الى الشمس مشرقة تغمر بأرادها البر
والبحر ، وتنشر أنوارها في الاكوان جميعا . .

اذن هي لم تمت ، وهذا الطيف الكريم الذي أنقذها من
الموت ، والذي ترفق فحملها الى تلك الجزيرة هو رسول
أحد الآلهة ، واذن فلتنهض ولتضرب في هذا الفردوس
المنعزل حتى يكون أمر غير هذا الامر . .

ومضت في غياض وأرباض ، ورأت في الافق القريب
قصرا باذخا ذا شرفات وأخياذ ، فيممت اليه ، وما كادت
تدنو منه حتى فتحت بوابة السور الكبرى على مصراعيها ،
وامتدت منها أذرع نورانية تصافحها ، وانبرت أصوات
رقيقة موسيقية تحتفى بها وتحيي وتبىي ! . .

وفركت بسيشيه عينيها كذلك !

وظنت أنها تحلم ، ولكن كل شيء حولها كان يحدثها
أنها ترى رؤية حقيقية لا رؤيا منامية . . فدخلت القصر ،
وفي نفسها من الحيرة وشدة العجب ما أخذ يتضاعف في
كل خطوة ويزداد . .

وحاولت أن ترى أحدا ممن لهم هذا الصوت الرقيق . .
ولكن عبثا . . ليس هناك الا أذرع من نور تمتد اليها

محتفية بها ، تقودها الى المخدع الوثير الذى أعدته العناية
لها ..

ودار الحديث بينها وبين طيف لا تراه :

— ويدهشنى أنكم تحتفون بى . وتبـالفون فى
إكرامى ، وأنا لا أرى منكم أحسدا ، فهل كلکم يلبس
قلنسوة هرمز ؟ (١)

— كلا أيتها العزيزة ، ولكننا أمرنا ألا ننكشف لك ..

— ومن الذى أصدر اليكم هذا الامر ؟

— ونهينا أيضا عن ذكر اسمه ..

— أنتم كرام ولكنكم تضايقوننى الى حد الازعاج ..

— « ليفرخ روعك أيتها العزيزة ، ففى المساء ، تلقين
الامر الكريم صاحب هذا القصر ، وصاحب القصور
الكثيرة فى أطراف الارض

— وهل لى أن أجول جولة فى قصركم المنيف عسى أن
تذهب هذه الوحشة الجاثمة على قلبى .. ؟

— ولم لا ؟ .. بسيشيه العزيزة !

— بسيشيه ؟ .. ومن أنبأكم باسمى ؟

— رب هذا القصر أيتها العزيزة ..

وجاءت الفتاة فى القصر الجميل المنسق ، وكان مثار
عجبها هذه الصور البارة المرسومة على الجدران ، كلما
وقفت عند واحدة دبت فيها الحياة ، وتحركت على الحائط
متلهلة مستبشرة ، محيية بابتسامة خفيفة ، أو انحناءة
مؤدبة .. !!

وكانت التماثيل فى زوايا الغرف ، وأوساط
الردهات ، وفى حنايا الحديقة ، وفوق الربى المكسوة

(١) قلنسوة هرمز (طاقية) الاخفاء

بأنسندس الرطب ، تخيى الضيفة ، كأن حياة تدب فى
فرمرها كلما وقع بصر بسيشيه عليها فتتحرك الاذرع ،
وتومىء الرؤوس ، وتمر الفتاة وقد أخذ الدهش من
نفسها كل مأخذ ..

وكانت العنادل تهتف بها ترجوها ان تتلبث فتسمعها
أنشودة الخلد ، ولولا العجلة لوقفت بسيشيه عند كل
منها حتى ينتهى من غنائه الحلو ، وتفريده الرنان
وعادت الى المخدع مع مغيب الشمس



فلما كان الغسق (١) سمعت الى الباب ينفتح ، ويدخل
فتى خفيف الخطى ، ويقبل عليها فيحيى أحسن تحية
بأرق صوت ، ثم يستأذن فيجلس الى جانبها

وكان الظلام شاملا ، فلم تستطع بسيشية ان تبين
وجه الجالس اليها أو خلقه ، ولكنها كانت تسمع الى
موسيقى تمتزج بصوته الحنون ، وكانت تحس كأن
عبرات تكاد تخنقه ، لانه يريد أن يبوح بشيء يمنعه
الخجل من البوح به .. واقترب منها ..

وأخذا فى حديث شهى ، ولكن الحياء كان لا يزال
يعقد لسانيهما ..

واقترب منها حتى تماسمت الاجسام المرتجفة

وأخذ الحبيب يد حبيبته بين كفيه ، فانتقلت الحرارة
من هنا الى هنا ، ثم دنا الفم من الفم ، واستراح الخد
على الخد ، وبدأ طوفان من القبل ..

وتمتم كل من الحبيين بهذه الكلمة السماوية
المخالدة :

(١) الغسق أول ظلمة الليل

- .. أنا .. أحبك ..
- كأنك أنت أيها الحبيب الصغير الذى أنقذتنى من براثن الموت !
- أجل يا منية النفس ، ورجية القلب ، بمعونة الاله الرفيق زفيروس
- أفأنت اله اذن ؟
- لا أستطيع أن أذكر لك من ذلك الآن شيئا ..
- اذن ما اسمك ؟
- ولا هذا أيضا !
- أحب أن أراك ، فهل تأذن بإيقاد المصباح ؟
- اذا حاولت أن ترينى ، كان فراق بينى وبينك !!
- أنت تزعجنى ..
- اولم أزعجك ؟ .. ألسنت قد أنقذتك من الموت ، وأسكنتك هذا القصر المنيف ، ولست آمن عليك !
- برغم هذا فانك تزعجنى ..
- هاتى قبلة .. ودعى هذا الحديث الشاجن ..
- « .. ؟ .. »



وظل يزورها كلما أقبل الليل ، فيمكث معها حتى مطلع الفجر آخذين فى عناق وقبل ، وحديث الذ من قطع الروض ، وأروح من رفيف النسيم ، ثم يفصل (١) على أن يعود لميعاده من اليوم التالى .. وبسبب راضية قانعة ، لا يضيرها ألا تعرف من هذا الحبيب الوفى .. ولا ما يكون اسمه ..

(١) يمضى

وذهبت تنشق أنفاس البحر فوق الشاطئ الطويل
المزهر فلقيت أختيها فجأة تخرجان من زورق جميل ،
فتعانقهما عناقا حارا ، ويغمرها للقائهما فرح كبير ،
وتعود بهما الى القصر ، وتطوف معهما حدائقه وغرفاته ،
وتقف عند الصور والتماثيل ونافورات الزئبق ، وتدخلهما
« هيكल الحب » كما اتفقت وحببيها على أن يسميا المخدع
ثم تقص عليهما قصتها منذ اعتزامها الانتحار الى أن
تلقاهما ..

وتكون الغيرة قد أنشبت أظفارها في فؤادي الفتاتين ،
ويكون الحسد قد شاع في نفسيهما الخبيثتين ، فتضمران
لها الشر المستطير .

— ولكن كيف تطمئنين الى هذا الحبيب يا أختاه ؟
ألا تخافين أن يكون غولا أو هولة أو سعادة ؟ لماذا اذن
يا بى عليك أن تنظري اليه ؟ أليس يخشى أن تفرعى منه
اذا رأيته على حقيقته ؟ أيغرك منه كلامه الناعم الموشى ؟
لا يا أختاه ! نحن نخشى أن يجفوك يوما فيقتلك ..
لا بد أن تأخذى حذرك منه ! ولا بد أن تنتهزى فرصة يكون
غارقا فى نوم عميق فتوقدى المصباح وتنظري اليه ، فان
كان وحشا أو هولة ، فإليك هذا الخنجر المرهف فاغمديه
فى قلبه واستريحى منه ، وعودى معنا الى أبينا الملك فانه
جد مشتاق اليك ..

ودفعتا اليها الخنجر المسمم بغلها ، وولتا عنهما
تختبئان فى أجمة دانية ..

وفعل كلامهما فى قلب أختيها فعلة ، فلما كان الليل ،
وغفا الحبيب الصغير مما ألم به من سكرة الحب ، نهضت
بسيشيته الى مصباحها فأوقدته ، وإلى الخنجر فشرعته ،
وذهبت تنظر الى العاشق البريء ..

فماذا رأت ؟

أجمل مخلوق على وجهك أيتها الارض ! ..
لقد كان نائما حالما ، فيه دعة وفيه فتون .. ومسلًا
الفتاة حبا .. واهتز المصباح فى يدها .. فسقطت نقطة
من الزيت المشتعل على ذراع الحبيب فأيقظته .. وفتح
عينيه .. فرأى الى الخنجر المرهف فى يمين بسيشيه ..
يا للهول .. !!

لقد قفز الحبيب قفزة هائلة ، ورف بجناحيه الصغيرين
وقال : « بسيشيه ! يا شقية .. وداعا .. فلن نلتقى
بعد اليوم ! »

وشاعت الحسرة فى قلب الفتاة فسقطت على الارىكة من
الجزع والاعياء ..

ما كاد كيوييد يرف بجناحيه فيغادر القصر حتى امتلأ
المخدع أرواحا شريرة طفقت تهاجم نفس بسيشيه فى شدة
وعنف ، وكلما نظرت هنا أو هناك رأت أفعوانات هائلة
تنفث الموت الاسود من أنيابها البارزة الحوانى ، ثم
أحسست كأن القصر يرتجف ويميد ، ويكاد ينقض ،
فهرعت الى الخارج مهرولة ، وهرعت فى اثرها المخاوف
والاشجان ، يحدوها الذعر والفرع الشديد

ونظرت فى السماء فلم تجد قمرها المنشود تبثه وتشكو
اليه ، بل وجدت سحباً قاتمة فى المشرق والمغرب ،
والودق يخرج من بينها كما تخرج الزفرة من صدر
مكروب ! وبدأت العاصفة الهوجاء تزلزل الجزيرة وتميد
بالدوح وترفع شياطين الموج فتجرف العامر واليباب !

وأخذت الرياح الهوج تلاحق الفتاة حيثما ذهبت ،
وترجم وجهها الكاسف المفضن بجمرات البرد أيان ولت
ووهنت أعصابها فراحت تصيح فوق الشاطئ كالذي
يتخطفه الشيطان من المس ، فلما لم يلب نداءها أحد ،
أنثنت نحو القصر ، وطوفت بالأسوار تتفقد الباب الكبير
الضخم .. ولكن .. هيهات ! لقد كان السور كتلة واحدة
ليس بها منفذ ، ولم يكن غارقا هذه المرة في الطوفان الزاخر
من أزهار الشيبير والياسمين والبابونيا ، وكان عاليا على
غير عهدا به ، حتى يكاد يستتر وراءه القصر الباذخ ،
فلما استياست من الدخول ، وشعرت بقلبها يتحطم ،
وبنفسها تذهب شعاعا ، استلقت على الكلا ، واستسلمت
لنوم ممتلىء بالأشباح

وأشرقت الشمس فاستيقظت بسيشيه ، وتلفتت
حولها فلم تر السور ولم تجد القصر ، وفركت عينيها
تخال أنها تحلم ، ولكنها ترى الجزيرة جرداء إلا من شجرات
قليلة من الشاهبلوط ، وإلا من غدير صغير به بقية غير
مباركة من الماء النمر ..

ويكون صوابها قد ثاب إليها ، فتيمم شطر الشاطئ
تتفقد وروده ورياحينه ، ولكنها لا تجد إلا آفا من
السرطين الميتة لفظها البحر بفعل العاصفة ، وإلا أكواما
من الودع والمحار تجل كثران الرمال الممتدة فوق
الجزيرة ، كأنها قوافل من الأم بسيشيه وأشجانها !
« ويلاه ! .. »

« لقد حملت إليك أيتها الجنة الصفيرة وبردك برد
الشباب ، وريعانك ريعان الصبى ، وفي أعطافك تنهل سلافة
الحب ، وتحت شطآنك ترقص عرائس الماء ، وفي غدرانك
تترقرق أمواه الهوى ، وكل ما فيك تدب فيه الحياة ناضرة

« أفهكذا يدبل شبابك ، ويدوى ريعانك ، ويفيض
حبك وتقفر شطآنك ، فليس يرف فوقك إلا هامة ، ولا
يهتف فيك إلا صدى ، ولا تهب ريحك إلا كأنفاس الجحيم !
« ويلاه ! .. »

« لقد كنت أفرك عيني أحسبني منك أيتها الجنة في
حلم فالآن أفرك عيني أرى هل أنا من خرابك اليوم في
حلم ؟ ! »

« لقد نعمت بالحب فوقك أيتها الجزيرة ، فلماذا لقيت
أختي ؟ ! أين ذهبنا ؟ ! أحسبهما ذعرتا من العاصفة ،
وفرعتا من الزلازل ، ففرتا .. فصبر جميل ! »



هكذا ظلت تبكي بيسيشيه ، وهكذا غبرت بها الأيام
فوق الجزيرة تنتظر أوبة حبيبها . ولكن . بلا جدوى !
وكانت تأكل ثمرات من الكستناء تذهب بها سغبها ،
وترشف من بقية الماء في الغدير رشقات تبل بها أوامها ، ثم
تعدو في الجزيرة باحثة عن .. لا شيء !

ووقفت يوما عند ضفاف الغدير ترتوى ، فما شدها
إلا أن ترى الماء يزداد ويزداد ، والغدير يتسع ويتسع ،
حتى تكون على عدوة نهر عظيم دافق ، ترخر أمواجه
وتجرجر أواذيه . ويبدو لها أن تلقى بنفسها في أعماقه ،
لأنها لم تعد تحتل هذا الألم المتصل والشجن الطويل
الأمض وإنما لتنظر إلى المساء فيجيش قلبها
بالذكريات ، وتفيض عيناها بالدمع ، ويشحب جبينها
الكاسف الحزين ، ثم يتأود غصنها اليابس الهش ، فتتحدرد
إلى اليم ، وتتلقفها اللجة

ولكن رب النهر الذي كان واقفا يسمع ويرى يسرع
إلى الفتاة فينتشلها ، ويصيح ببنااته عرائس الماء فيسأتين

من كل فج ، ويترفق باللاجئة الشقية فيواسيها بكلمات
تقطر حنانا وتفيض رحمة . ثم يتركها لبناته يداعبها
ويلاعبها ..

وتأنس بسيشيه الى العرائس الحلوة ، ولا يخجلها أن
تأخذ معهن في حديث حبها ، فإذا سألنها عن صفة حبيبها ،
قالت : « كان صغيرا كالطفل الا حين يكون في ذراعى ،
مسندا رأسه على صدرى ، فيكون اذ ذاك أكبر من الدنيا
بما فيها من مباهج ومفاتن . وكان طيب الانفاس ، فما
قبلنى أو قبلته الا شممت عبق الورد في فمه ، وأرج
البنفسج في خده . وكان اذا عانقنى أو عانقته ، تحسست
له جناحين على ظهره ، صغيرين ناعمين ، فإذا ساءلته
عنهما ، أنكر على وصرقنى برفق ودعة عن الحديث عنهما ،
فناخذ في أمور آخر . وكان يحمل قوسا من ذهب ماثفارقه ،
وكنائتين من حرير فيهما سهام من رصاص . وذهب . .
وما دهانى في الليلة المشؤومة الا أن أراه يشب من النافذة ،
فيحلق في كبد السماء كأن له قصرا فيها . . فبحق زيوس
عليكن يا عرائس الا ما أعلمتنى من هذا الحبيب ، فأنتن
بنات الله مبارك ، ولا بد أن يعترف أبوكن من أمره كل
شيء . . »

وصمت بسيشيه ، ونظرت الى العرائس فرائهن
يحدجنها بنظرات دهشة حائرة ، ثم يتهاوسن ، ثم لا يحرن
جوابا ، فقالت لهن :

« أنتن تزعجننى يا عرائس ، فهل هكذا يستقبل الضيف
لديكن ؟ »

فقالت كبراهن : « لا عليك يا فتاة ، ولكنك كنت اتعس
مخلوقة على وجه الارض حين عصيت أمر كيوبيد ! »

— كيوبيد !؟ .. ومن كيوبيد تعنين ؟!

— « كيوبيد بن فينوس ، فهو هذا الذى كان يهواك
وكنت تهوين ؟! »

— « كيوبيد الاله ! كيوبيد حبيبى ! ياويح لى .. لابد
أن يعود لى الهى الجميل الحبيب .. لن تحلو لى الحياة
بدونك يا كيوبيد .. »

هامت بسيشيه على وجهها فى أقصى الارض ، وكلما
مرت بروضة أو غيضة ، وكلما وقفت عند ضفاف نهر
أو ألت بحفافي غدير ، برزت لها عرائس الماء فشكت اليهن ،
وسألتهن ان كن يعرفن أين ياوى كيوبيد ؟ وقالت لها
عروس :

— « أترين يا فتاة الى هذا الجبل البعيد الذى يحمل
السماء بروقيه ؟ اذا كنت عنده فتلبثن حتى يعود بان (١)
من صيده فتعلقى به ، واذرفى من دموعك تحت قدميه .
فاذا هش لك وبش ، فاذكرى له حاجتك يقضها لك :
أو يدلك على من عنده قضاؤها »

— ومن عسى أن يكون بان يا أختاه ؟

— « رب المراعى ، واله الصيد ، وحامى القنص . الم
تقربى له ؟ الم يفعل أبواك ؟ »
— « بل فعلنا .. »

ونهدت الى الجبل وكأنما بها مس من الجنون ، وجعلت
تطوف به حتى مالت الشمس الى الغروب ، فرأت (بان)
قادما يدب بحافريه ، ويردد فى الاكام ناظريه ، فلما لمحها
اقبل عليها دهشا متعجبا ، ثم أخذ يتفرس فيها كأنما بهره
حسنها ، وسباه منظرها ..

وشكت اليه ، فما هالها منه الا قوله : « تعسة ! أنت
غريمة فينوس ! » فقالت ، وفى عينيها دموع تخنق منطقها :

(١) ورد ذكره فى بعض الاساطير باسم كونسنتيس . ولا يزال الرعاة
الانجليز يتغنون بحاميهم بان الى اليوم

« غريمة فينوس ؟ ومالى انا ولفينوس » فقال بان : « جمالك هذا جنى عليك . . لقد صرف الناس عن ربة الجسمال والحب الى عبادتك انت أيتها الشقية ، ولذلك حنقت عليك ، وأصابك من الاذى ما أصابك . . اسمعى يا فتاة . . لقد مررت اليوم بربة الخيرات ديميتير ، هل تعرفينها ؟ أم برسفونيه ؟ فتاة الربيع التى خطفها أخى بلوتو لتؤنسه فى هيدز ! مررت بها فسمعتها تتحدث عن كيوييد وهيامة بك ! بك انت ! أليس اسمك بسيشيه ؟ »

— « . . ؟ . . » —

— « تحملى اليها اذن . انها ليست بعيدة من هنا . انها شقيقة رفيقة ، وهى ترثى لامثالك من العاشقات الوامقات ، تحدثنى اليها عن كيوييد واستمعى الى ما تقوله لك وتشير به عليك . . أترين الى هذه الغابة الملتفة الوارفة ؟ انها هناك تنتظر ابنتها فى أوبتها من هيدز » وعجلت الى الغابة ، ولقيت ديميتير الطيبة الوقور : فانحنى تحييا ، وما كادت تسرد شكاتها حتى انهمر الدمع من عينيها الحزينتين ، وتخاذلت فخرت مغشيا عليها ، وتقدمت ربة الخير فباركت الفتاة ، وطفقت ترش على وجهها الماء من غدير قريب ، فكان الزهر ينبت حول بسيشيه كلما انتشرت قطرات على الارض ، فلما أفاقت ، بهرها هذا السرير الربيعى من منضور الورد يحف بها ، ويحنو عليها . .

وبسمت ديميتير ، وواسبت الفتاة الوالهة وأنستها ، ثم ذكرت لها انها رأت كيوييد بكرة ذلك اليوم ، وفى كتفه جرح دام أحدثته فيه أمه فينوس ، لماذا ؟ لايدرى أحد ! — « . . فاذا كان لا بد لك من لقاء كيوييد ، فاذهبى الى فينوس وتبتلى اليها ، وادخلى فى خدمها وحشمها ، وأثبتى لها بتفانيك فى طاعتها انك من عابداها المخلصين ، عسى

يا بنية أن ترضى عنك ، ويذهب عنك هذا الحزن ..
ثم قادتها الى قصر فينوس ، وزودتها بما ينبغى لها من
النصح ، وعادت الى غابتها الوارفة تنتظر برسفونيه
وبرهنت بسيشيه على حسن اخلاصها وجميل توبها ،
وكانت ربة الحسن تسخرها فيما لا طاقة لبشر به ، فكانت
تقوم بما تكلف به وتؤديه خير الاداء

وأعجب ما حدث لها من ذلك ان امرتها فينوس بالتوجه
الى هيدز - دار الموتى - واقتحامها ، ثم لقاء برسفونيه ،
ربة الربيع ، وزوج بلوتو ، وسؤالها صندوق الطيب الذى
تدهن منه العجوز الشمطاء ، فيرتد اليها صباها ، ويتدفق
ماء الشباب فى أعطافها ، وتعود كما كانت ، شرخ صبى ،
وعنفوان شباب !

وأسقط فى يد بسيشيه ! ولم تدر كيف السبيل الى
هيدز ! ولكنها حين ذكرت برسفونيه ، بدأ لها أن تذهب
فتستشير أمها ديميتير عسى أن ترشدها أو تزودها خالص
نصيحتها . فذهبت الى الغابة ، ولقيت لحسن حظها
ديميتير تودع ابنتها ، لتعود ادراجها الى هيدز ، اذ كان
الربيع الحلو قد صوح ، وازف الشتاء ببرده وزمهريره (١)
وهشت لها ديميتير ، وعقدت بينها وبين ابنتها أواصر
الصداقة ، ولما حان موعد الافتراق ، أبدت بسيشيه رغبتها
فى أن تصحب ربة الربيع لتؤنسها فى ظلمات دار الفناء ،
فلم تعارض الفتاة ، بل أذنت لها راضية (٢)

وسارا بين صفين من أرواح الموتى تغنى وتنشد ..
وتبكى !!

وكم كان عجب بلوتو شديدا حين لمح الفتاة الرشيقة

(١) الربيع والصيف فصل واحد والشتاء والخريف كذلك
(٢) فى بعض المصادر أن زفيروس هو الذى قاد الفتاة الى هيدز

الهيفاء تسير إلى جانب زوجته ، وبلغ به التأثير مبلغه ،
فغادر لهما غرفة العرش المظلمة ..

وتلطفت بـسيشيه فسالت مليكة هيدز صندوق الطيب
الشمين ، فوجمت برسفونيه ، وكانت على وشك أن ترفض
هذا الطلب ، لولا أن ذكرت الفتاة أن فينوس هي التي
أرسلتها لتطلبه وتجيئها به . فنهضت برسفونيه إلى دولا بـ
قريب ، وعادت بالصندوق ، ترتجف به يدها العاجية
الجميلة ، وقدمته للفتاة وهي تقول :

« لا تفتحيه .. لا تفتحيه أيتها الصغيرة ! »

واستأذنت بـسيشيه ، وعادت أدراجها إلى .. هذه
الدار الأولى ..

وفي طريقها إلى قصر فينوس ، ذكرت كلمات ربة الجمال
عما يحتويه الصندوق من دهان يرد القليل منه جمال
الشباب وريعان الصبي .. وذكرت كذلك تلك الليالي
الطوال التي ظلت فيها مسهدة العينين تبكي كيوييد وتحن
إليه ، حتى شفها الوجد ، وأوهنها السقم ، وبرح بها
الهيام الشديد ، فتحدثت إلى نفسها تقول : « فلم لا أدهن
بقليل منه وجهي وبشرتي ؟ ولم لا أرتد جميلة كما كنت .
مادمت أطمع في لقاء كيوييد ؟ أن ربة هيدز حذرني من
فتح الصندوق ، لا أدري لماذا ؟ فإذا كان مابه شر ، فلم
تريده فينوس الجميلة ؟ لا .. لابد أن أتطيب به ، وليكن
بعدها ما يكون ! »

وداعبت أناملها الصندوق ففتحته .. ولكن ..
واأسفاه ! لم يكن به غير هذا الروح الشرير المنكر .. روح
النوم .. ولقد وثب في وجه بـسيشيه فجلق في عينيها
الزرقاوين الصافيتين ، ثم ما هي إلا لحظة حتى انكفات
المسكينة على الحشيش المندى تغط في نوم عميق !

وكان كيوييد يتنزه في الحدائق المجاورة ، فما دهاه الأ
أن يرى ملاكه المحبوب ممددا على الكلا ، وصدره يعلو
ويهبط ، كأن كابوسا مستقرا عليه

ودنا اله الحب من بسيشيه ، وسرعان ما هاجت به
ذكريات غرامه الاول ، وثار في قلبه الحنين الى الليالي
المقمرة التي كان يقضيها الى جانب الرشاش الفير ، الذي
يترنح أمامه في قبضة الروح الشرير . . روح النوم !

ونظر كيوييد بعينه السحريتين ، فرأى الروح يصارع
بسيشيه صراعا هائلا . . فثارت فيه نخوة الوفاء ، وأنفذ
الى العدو سهامها متتابعة متلاحقة ، حتى قهره ، واضطره
الى العودة من جديد الى الصندوق الصغير ، وما كان
يستقر فيه حتى أغلقه عليه ، ودفنه في غور من الارض

ثم تقدم الى حبيبته ، وطفق يروح على وجهها ، ثم
أيقظها بقبلة اهتز لها الروض ، وطرب الورد ، وشاعت في
الطبيعة الضاحكة أسرا وسحرا !

« أختاه ! انهضى ! انظري الى ! هاذا كيوييد ! هلمى فلن
نفترق بعد اليوم ! »

وأغذا السير ، حتى اذا كانا في دولة الاولمب صاح كيوييد
في معشر الآلهة : « أن اشهدوا أيها الارباب ، لقد اخترت
بسيشيه الجميلة زوجة لي مباركة . . » وطرب الآلهة ،
وأقيم المهرجان الفخم ، ورقصت ديانة ربة القمر ، وعزف
ابوللو موسيقاه ، ورسمت بسيشيه ربة للروح الخالدة
التي تغنى . . ومنذ ذلك اليوم وهى ترف بأجنحة
فراشة جميلة في جنة الاولمب ، والى جنبها حبيبها كيوييد

إيخو ونركيسوس -

(الفاتنة التي أصابها البكم،
والجميل الذي عشق صورته)



كان زيوس - كبير آلهة اليونان - يتعشق فتاة حلوة
الدل ، بارعة الحس ، رقيقة الشمائل ، تدعى يو . وكان ،
برغم زوجاته الخمس أو الست ، يختلف إلى حبيبته في
الخلصة بعد الخلصة ، يؤانسها ويسامرها وتؤانسسه
وتسامره ، ويبل فمه الظامىء من ثغرها الراوى بقبلة .
أو رشفة . .

وكانت أولى زوجاته (حيرا) هى التى تزعجه بما تبث
حوله من الرقباء وتنشر من الجواسيس ، يحملون اليها
كل حركة من حركاته . وكان هو يضيق بكل ذلك ، ولكنه
لا يستطيع الا ان يداهن ويداهن . . ويبالغ في المداهنة ،
لشدة شغفه بحيرا ، ولانه يحس في الخضوع لها لذة
أولمبية لا تعدلها لذة . . الا لذة تدليله لحبيبته يو
وكما كانت حيرا تمكر مكرها في كل حين ، كذلك كان
الاله يمكر مكره . .

أراد أن شغلها عنه بملهاة تذهب من وقتها كل يوم

(*) أثرنا عدم ترجمة إيخو - أو اكو - بما يرادفها في العربية
وهى لفظة (صدى) لأن التسمية يونانية وقد نقلها الرومان عنهم ثم ذاعت
في كل اللغات وكذلك اثبتت لفظة نركيسوس (نرجس) ليونانياتها أيضا

بساعات يقضيها في أحلامه الفرامية بين يدي يو ، ملتذا
قوامها الخصب ، مستمتعا بجمالها الفينان ، سابحا في
هذه اللجة المترعة بالمفاتن ، في كل جارحة من جسمها
الممشوق ..

وقد سنحت له الحيلة ..

حدثها عن فتاة ناضرة الشباب ، ريانة الالهاب ، عذبة
اللسان ، وقادة الجنان ، تعرف من قصص الحياة وأنباء
الدنيا ما لم يتيسر بعضه للآلهة أنفسهم ! وكانت حيرا ،
ككل الانثيات ، مولعة بالثرثرة ، مشغوفة بالمعرفة ، تبفض
الصمت وتفرم بالكلام الطويل الموشى . وهي مع ذاك
طلعة ، بقدر ما هي اذن ، تتكلم كثيرا ، وتثرثر كثيرا ، وتسمع
كثيرا ..

وانطلقت الى الفتاة ، فشفت بها لاول لقاء ، ووجدتها
كما حدث زوجها فياضة القول غزيرة القصص ، تدفق
في حديثها تدفق الخمر في الكأس ، حتى اذا استقرت
في مكانها من الجسم ، شاعت حمياها فيه ، فأطربت ،
وأرقصت ، كأنها عصرت من حديث هذه الفتاة !

ثم جعلت تتردد عليها ، وما تكاد الفتاة تفرغ من احدي
قصصها العجيبة حتى تأخذ في أعجب منها وأغرب ، وهي
بين الآونة والاخرى ما تنى تنمق حديثها بالنكات البارة ،
والملاح الرائعة ، مرسلة المثل في مقامه ، والحكمة في
موضعها ، في غير كلفة أو عناء ، ثم هي كانت رقيقة دقيقة ،
لا تمل السامع ولا ترهق الناظر . وكانت تقبل على سمارها
وكأنها تختص كلا منهم بقلبها ، وكأنها تلقى الى كل منهم
بقرارة نفسها ، حتى ليحسبها كل له وحده بما يحسبه
تؤثره به من عطف ، وتغمره من ود ، وتزجي اليه من
محبة ..

وكانت حيلة صائبة من زيوس ، شغل بها حيرا طويلاً ،
ليفرغ هو الى يو . . فيا للآلهة !!

ولكنها شعرت من زوجها لفحة الصد ، وأحسست فيه
انقباضاً وجفوة ، فوقر في نفسها ان لابد من أمر ، وان
هناك سرا أى سر ، قالت لتكشفن ما تغطها فيه

وبثت عيونها ، وأرسلت أرسادها ، حتى استوثقت مما
كان بينه وبين يو ، وأدركت انه قصد الى الهائها بهذه
القصاصه الخبيثة ليفرغ هو الى لباناته وأوطاره !

ولا ندرى ما ذنب الفتاة التى ملأت أذن حيرا سحرا ،
ونفثت فيهما موسيقى وألحانا ؟ لقد ظلمتها زوجة الاله
الاكبر ، التى تحمل بالباطل لقب حامية النساء وحافضة
الاجنة ، حين أقسمت لتسلبنها الطلاقة والذلاقة ، ثم
لتسلطن على لسانها العى والحصر يشقيانها ويعذبانها !

لقد كان كل ما اهتمت الفتاة به أنها كانت سببا فى تمادى
زوجها فى غى حبه ، وإبعاده فى ضلالة هواه فنفثت فى
عقد سحرها ، ثم قصدت الى الفتاة المسكينة فنهرتها .
وأرسلت عليها شواظا من غضبها ، وقذفتها برقية من
رقاها المهلكة ، لم تستطع بعدها ان تلجج لسانها بكلمة
واحدة تفرج بها عما فى نفسها . . .

وقهقهت حيرا حين حاولت الفتاة ان تتكلم فلم تستطع ،
ثم شاءت الخبيثة أن تظهر آية اخرى من آيات خدرها ،
فقالت ، بعد أن نفثت نفثة ثانية : « أنا أسميك ايخو ،
وأمن عليك فأطلق لسانك باللفظة المفردة ترسلينها فى ذيل
كل كلام تسمعين . . . اللفظة الاخيرة فحسب ياايخو . . . »
فرددت الفتاة المسكينة : « ايخو !! »

أما يو ، فقد نفذت اليها جيرا وصبت عليها من جام
سحرها ما تحولت به الى بقرة صفراء فاقع لونها . .

تسوء الناظرين : ولهذا حديث طويل مشج ندعه الآن ،
لنرى ما كان من أمر ايخو . .

دهشت الفتاة لبيانها اين ذهب ، ولصوتها الجميل
الين ولى ، وللرخامة الفضية التى كانت تترقرق من فمها
الشتيت كيف ضالعت ، ولهذا السحر الدنىء كيف قضى
على اولئك جميعا ؟!

لقد بكت كثيرا ، وتوسلت الى الآلهة ، ولكن . . . اين
الآلهة ؟ لقد تصاموا جميعا ، لان حيراهى القاضية ، ولأنهم
يشفقون ان تفسد أسباب السماء كما افسدت
الأرض على عرائس البحر !

وأطلقت ساقىها للريح ، فيممت شطر غابة ذات ماء
وذات افياء ، ثم انها اتخذت لها مأوى فى أصل سنديانة
ضخمة الجذع ، معروشة الفروع وارفة الافنان ، وأقامت
ثمة تجتر احزانها وتسعر اشجانها ، وتقابل بين ماضيها
السعيد وحاضرها الشقى ، وتسكب بين هذا وذاك دموعا
ساخنات وعبرات غاليات ! وبينما هى سادرة فى كهفها ،
مستغرقة فيما آل اليه امرها اذا بصحب يافع من الشباب
اليانع يمرون ببابها ، من دون أن يروها ، وهم يتحدثون
أحاديث الصبى ، ويتسامرون سمر الفتوة ، ناعمين بأشهى
مناعم الحياة

وظلت ترقبهم وتستذكر أيامها الخوالى ، اذ الشمس
مجتمع ، والرواد محذقون ، مرهفة آذانهم ، شاخصة
ابصارهم ، فاهتزت هزة المحموم بالشجن ، المروع
بالشجن !

واطلت من كناسها ، فرأت الغلام الاغريقى المشهور ،
« نركيسوس » الذى دله الآلهة بجماله ، وتام عذارى اثينا
بنضارته واشراقه . رآته يتخلف عن أصحابه ، مأخوذا

بجمال ثرجسة حلوة اقتطفها من عُصنها المياس وفُتْهُسما
المياد ، ثم وقف يحدق فيها بعينية المعسولتين ، اللتين
لونتھما شمس الجنوب بهذه الصبغة السحارية ، وكننت
ملأھما يعاسيب الفتنة ، تنتشر منھما في دنيا القلوب !
والسبيل في الغاب ملتوية متداخلة . . . تيه يضل فيه
العابر ، ويباب أخضر لا يهتدى فيه السائر ، هنا منعرج
لا يصل منه الانسان الى أمن ، وهناك منحني لا ينتهي الى
سلام . ولقد مضى الدليل مع الصحاب ، ولبت تركيسوس
وحده ، يضرب اخماسا لاسداس

ولم تستطع ايخو حين أبصرت به أن تفلت من هذا
الشرك المنتشر حوله ، تعلق بخيوطه السحرية القلوب
والالباب . . فأحبته بكل قلبها ، وأرسلت في نظرائها
اليه نفسها تتمرغ تحت قدميه ، وتهمهم بين قدميه ،
كأنها خلقت له . . لا لها !

ولكن كيف السبيل الى التعبير عن هذا الهوى المالح ،
والحب المخامر ، ولسانها في عقال الا من المقطع الاخير ،
ينطلق في اثر الحديث ، او اللفظة المفردة تردفها بصياح
كل صائح ، وهتاف كل هاتف !؟

وراحت تقتفى أثره ، من غير أن تشعر هي ، ودون أن
يشعر هو ! وتقص خطاه وهي لا تعي ما تفعل ، وهو لا يدري
كذلك ، فكان دبيبها كدبيب القطا ، أو كوئب الضفادع .
على أن حركة غير مقصودة أتت بها ايخو جعلته يعتقد أن
أحدا من سكان الغابة يتبعه ، فصاح قائلا :

« من ؟ . . »

فرددت المسكينة نداءه : « من ؟ . . »

فقال : « هل من أحد هنا . . ؟ »

وارسل هذا السؤال في رعب خفيف ، فرددت ايخو
اللفظة الاخيرة : « هنا ... »

فبهت تركيسوس ، وقال ، وقد خال المتكلم امرأة :
« هلمى يا فتاة .. هلمى .. »

فرددت ايخو اللفظة الاخيرة .. « هلمى .. »
فزادت حيرته ، وتضاعف خياله .. وقال :
« لم لا تأتين الى ، وليس هنا أحد يرى ؟ ولا انسان
يشهد ؟ »

فثار كامن الهوى في نفس ايخو ، ونطقت اللفظة الاخيرة :
« يشهد ؟ » بكل ما تركت لها حيرا في قرارة لسانها
من رنين فضى ، وجرس جميل ... »

وعاد تركيسوس يقول : « يا فتاة ! ليت شعري ما
يحجزك ؟ أين أنت ان كنت هكذا تستحيين ؟ تعالى .. »
وكان ايخو أدركت ان الفرصة سانحة للقاء هذا الحبيب
الطارىء ، فبرزت من مكنها في غير هيبة ولا وجل ،
وقصدت اليه تعرض حبها ولظى جواها ، ولما لم يكن
في مكنها أن تخاطبه ، لتكشف له عما تضر من هيام
به ، ومحبة له ، بدا لها أن تثب الى حيث هو فتعانقه ،
وتضم صدره الى صدرها ، ليبت أحدهما الى الآخر

ولم تك تدفع حتى جهد تركيسوس في تخليص نفسه
منها ، ثم انطلق في الغابة لا يلوى على شيء ، كالرثم المروع ،
والظليم المفزع .. !!

وذلك انه لم يجرب هذه المفاجأة بالحب ، ولا وقع مرة
في شرك غرام ، وقد ريكته ايخو حين غمرته بكل حبها ،
فشرق به وغص ، وقال : الفرار .. الفرار !

وتسلط الهم على قلبها فشفه ، والشجن على جسمها
الناحل فأضناه ، وكانت صدمة هائلة صدعت جوانب

نفسها ، وزادتها نكالا على نكال ، ثم تتابعته الايام وهى
ما تزداد الا سقاما ...

واضحلت ... ثم اضمحلت ... حتى غدت ...
لا شيء !!

ولا شيء هذه ليست مبالغة فيما حل بها ، اذ الصحيح
انها غدت لا شيء ، الا هذا الصدى يتردد فى كل واد ،
ويذهب اثر كل نداء

وهى الى اليوم تأوى الى الغيران ، وتتخلف الى الشطآن
وتنحدر مع الريح على جنبات الجبال ، تنعى همها ، وتندب
حظها فى النادين !

وشاءت المقادير أن تنتقم لا يخو المعذبة من هذا الشاب
الجميل نركيسوس الذى حطم قلبها الغض ، وقضى على
نفسها المحزونة . فبينما كان فى طراد عظيم ، فى يوم قائل
عرج على خميلة ناضرة ملتفة الاغصان ليشرب من الغدير
الصافى الذى يترقرق من تحتها . . وما كاد ينحنى الى
الماء حتى رأى صورته فى صفحته الساكنة ، فبهذه حسنها ،
واخذ يرمقها بقلب مشوق ونفس هائمة ، وهو لا يعلم
ان الحبيب الذى تامه ان هو الا ظله ، وعروس الماء التى
تبلت فؤاده ان هى الا خياله !!

عينان كبيرتان ذواتا آهذاب زانهما وطف ، وجبين
واسع وضاء مشرق ، وخدان أسيلان كخدود ربات الاولب ،
وخمل حلونابت فوق بشرة الوجه يزيد روثقا وجمالا ،
وثغر حبيب كأقحوانة تتفتح ، ترف حوله بسمة ساحرة
من حين الى حين ، وذقن رقيق مستدق يرتفع على عنق
يونانى رائع ثم فتنة تغمر ذلك جميعا !!

خاطبه نركيسوس ، ولكن ... وا اسفاه ! انه لا يرد
تمتمة ، ولا يجيب الا كما تهمهم الريح !

ومد يده ... فمد الخيال يده ، واستطير صاحبنا من
الفرح ، ظانا ان حبيبه تواق الى ما يريد ! .

واقترب بفمه ، يريد قبلة ، فاقترب الخيال بفمه كذلك
ولكن .. يا لخيبة الامل ! ما كاد العاشق الولهان يمس الماء
بشفتيه حتى ذهب حلمه اباديد ، وتكسرت منى نفسه
الحيرانه ، وفر الخيال في شظايا الماء ... وتحطمت الصورة
الرائعة بددا !! وخيل لتركيسوس انها تقول وهى تهتز ،
قبل ان تلتئم : « لا ... لا ... لا ... لا ... »

ولبت عبثا يحاول قبلة ، وتكرر الآية كلما مست الماء
شفته . فانطلق مغیظا محنقا ، وهام فى القفار على
وجهه ، لا يطيب لجفنه المسهد كرى ، ولا يحلو بفمه
المريز عيش ، لجفاء الحبيب ، ونفره آسية العجيب !!

تركيسوس ، الذى بلبل قلوب العذارى ، وسفك
دموع الحسان ، وخرج كبرياء الفيد بالدم ، واذل البسمات
التي طالما حملتها اليه اجنحة الحب من ثغور الفاتنات ..
تركيسوس ، الذىلقى بحب ايخو فى التراب ، تسببيه
صورته ، ويتصباه خياله ، ويأسره ظله ، فيا لنقمة كيوبيد ،
ويا لعدالة فينوس !!

لقد طفق يختلف الى الغدير لدى كل شروق شمس ،
يناجى حبيبه المعبود وأمله المنشود ، فلا ينثنى الا اذا
توارت الشمس بالحجاب !

وما انفك يشكو ويتوجع ويستعطف ، وما انفك الخيال
يتصام ويتباكى . واذا تحدث تمتم !!

ثم ...

ثم ذوى عوده ، وذبلت نصرته ، وتهدم جسمه ، وتحطم
قلبه ، وتأرجحت روحه فى حدقتيه ... و ... دنت ساعته
ووقفت ايخو فى فنن وارف ، فى آيكة قريبة من الغدير ،

تشهد الفصل الاخير ، من مأساة حياتهما ..

وسمعه يقول مخاطبا ظله : « ايها الحبيب ! اجل !
لقد حق لك أن تنتصر على كبريائي ، وتسحق مرتى وتهد
أعضائي .. هأنذا أموت أيها الحبيب ... بقربك ...
يا عروس الماء النافر ... أموت ... واحبك ... فإلوداع
... الودا ... ع »

وبكت أيخو ... ورددت هذا الصدى الحبيب : « الودا
... ع ! »

وأقبلت عرائس الماء تنوح بدورها على نركيسوس ، ثم
ذهبت في أرجاء الغابة تجمع الحطب لأحراق الجثة ،
كما جرت بذلك العادة في ذاك الزمن .. ولكن ، يا للعجب !
لقد عادت فما وجدت غير زهرة جميلة من أزهار النرجس !
انحنيت على صفحة الغدير تنظر فيه الى ظلها ... وتدف
دمعها .. قطرة ، قطرة ..

بين أبوللو وكيوبيد



عصى الناس ، في قديم الزمان ، سيد أرباب الاولمب ،
السند الاعظم المهيمن على ملكوت السموات والارض :
زيوس . ومع ما اشتهر به من واسع الحلم ، وطول
الاناة ، وجم المغفرة ، فانه لم يشأ أن يمد للعالم في حبال
الفواية لدرجة انكارهم لذاته ، والحالاهم فيه ، وكفرهم
به ، فأقسم ليهلكن حرثهم ونسلهم ، وليقطعن دابرهم
أجمعين ! فأطلق الرياح الجنوبية الهوج ، وأرسل السحب
تدجى كقطع من الليل البهيم ، وأذن للارض فتشقق
بنابيع وعيونا ، ثم انهمرت الامواه من فوقهم ، وتفجرت
من تحت أرجلهم ، وطغى الموج يجرف الدور ويعفى الآثار .
وفي أيام قلائل ، كان الطوفان يغمر وجه الارض ولم يكن
ثمة الا بحر خضم عظيم

وهلك الناس جميعا ، وشفى زيوس موجدته عليهم ،
ثم بدا له ان يعيد مياه الحياة الى مجاريها ، فأطلق الرياح

(*) لقد طغت أسماء الميثولوجية الرومانية على الميثولوجية اليونانية
طفيانا كبيرا مع ان الثانية اصل الاولى ، وأبوللو هو الاسم الروماني
للإله فوبوس اليوناني ، وكذلك كيوبيد هو أترس بن أفروديت
(فينوس) وقد اثرنا الاسماء الرومانية لشهرتها فحسب

من عقالها ، فهبت في شدة وعنف ، وأخذت ترشسف ماء
الطوفان ، تعاونهما في ذلك مركب أبوللو . . يوح (١)
العظيمة . وبدأت الأرض تجف ، وشرع بساطها السندسي
الجميل يبدو قليلاً قليلاً ، حتى ازدهرت المروج ، وأينعت
الخمائل ، وسمق الدوح ، واهتزت الربى ، وأخذت
السهول زخرفها . وبدأ له مرة أخرى أن يخلق أناس
يعمرون الأرض الجديدة ، فما كاد يفعل حتى ظهرت
حيوانات بحرية هائلة ، جعلت تزحف من الماء إلى الأرض ،
فتهلك الخلق الجديد . وكان أشد هذه الحيوانات وطأة .
وأكثرها فتكاً ، ذلك التنين البحري الهائل ، الذي يصمد
للعصبة القوية من الرجال فيفنيها عن آخرها ، حتى ضج
الناس واستغاثوا ، وجأروا بالدعاء إلى زيوس الرحيم ،
فرق لهم وحذب عليهم ، وأرسل أعز أبنائه من زوجه
لاتونا . أبوللو ، فأنقذهم من التنين (بيشون) بسهامه
التي سددتها إليه حتى أرداه

وانثنى ثملاً بخمرة النصر ، مزهوا بما رفع الناس إليه
من صلوات وابتهالات ، وبينما هو راق إلى سماء الأولمب ،
إذا أخوه كيوبيد بن أفروديت يصيد الأطباء في ثيضة لفاء،
ويلهو باجتناء الثمر ، ويمرح بين أفواف الزهر ، كالمستهتر
الخالى . فأراد أبوللو أن يناوشه ، فقال له « كيوبيد
يا ابن أفروديت ! أنت هنا تصيد الأطباء الضعيفة ، وتريش
سهامك إلى أطلائها المفزوعة ، ولا تجسر على اقتحام
الافعوانات البحرية المرعبة التي تفتك بعباد أيثا زيوس ،
ومع ذاك لا تفتأ تفاخر الآلهة بسهامك التي لا تطيش ،
ورميائك التي لا تخيب . كيوبيد الصغير ! يجمل بك أن
تنزل إلى عن قوسك المرنان ، وسهامك الذهبية ، أو أن

تحد من كبريائك ، وتأتى الى كل يوم أعلمك كيف تكون
الرماية ، كيف ينبغى ان تسدد السهام ! »

وغيظ كيوبيد من هذا التقرير الذى لا مسوغ له ،
وذاك التفاخر الاجوف الذى لا فائدة منه ، ولا طائل
وراءه فعبس وبسر ، وتجهم وزمجر ، وقال فى عسارة
ملتهبة ، وأسلوب مشبوب : أبوللو يا ابن لاتونا ! كان
الاولى بك أن تذكر كيف عذبت حيرا فى سالف الايام أمك
ولاذلتها ، فتفنى حياء ، وتتوارى خجلا ، ولا تملأ الهواء
بمثل هذا الفخر الكاذب ! أبوللو ! أنت تتيه بسهامك وتدل ،
وتدعى أنك تقنص بها الافعوانات البحرية ، على حين أصيد
الظباء ، وأقتل الاطلاء ، ألا فلتعلم أننى أمهر منك ألف مرة
فى تسديد السهام ، واقوى فى توتير القوس ، وان كنت
بعد حدثا صغيرا . على اننى اندرك ، أنت يا أبوللو يا ابن
لاتونا سهامى التى سأجربها فيك قريبا !! »

فضحك أبوللو ملء شذقيه ، وقال : بخ بخ يا كيوبيد
ابن أفروديت ! ليس هكذا يخاطب سيد الشمس أبوللو !
ولكن يبدو لى أنك متعب من طول ما أخذت تقسك به من
الصيد فى هذه الفيضة ، وأحسبك قد أعياك ظبى نافر
فأخرجك عن طورك ، خصوصا ، وأفروديت تنتظرك لتعد
الشواء ! . أنت ستجرب سهامك فى .. فى أنا ! . »

فقال كيوبيد : « فيك أنت .. فيك أنت يا أبوللو يا
ابن لاتونا .. وسترى .. »

وامتلأت أسارير أبوللو بضحك ساخرة ، وفصل
مستهزئا ..

وشرع كيوبيد يدبر انتقامه ، ويرسم له الخطط التى
ينال بها من أبوللو ، فلا يستطيع أن يفلت ، وكان يحمل
كناتين ، يحتفظ فى الاولى بسهامه الذهبية التى يصمى

يها القلوب فتملأ حبا وضبابة ، وفي الأخرى بسهامه
الرصاصية التي يصيب بها القلوب فيفعمها بغضا وكراهية
.. ونثر كنائيه وانتقى من كل واحدة سهما حاد الشبابة
مزدوج السنن ، ثم انطلق في الادغال يفكر ويدبر ، ويمم
شطر غدير قريب يطفىء منه غلته ، فرأى القينة الحسناء
(دفنيه) متجردة من ثيابها ، جالسة كالقطاة على عذوة
الجدول ، تداعب الماء بقدميها الحبيبتين ، وتظللها صفصافة
ممتدة الفىء وارفة ، والاطيار من فوقها تغنى لها . فقال
كيوبيد ، متحدثا الى نفسه : « فرصة نادرة لن أفلتها ..
هذه (دفنيه) الجميلة تستنقع من القيظ ، وهى وسيمة
قسيمة ، بارعة الحسن ، تامة المفاتن ، لا بد ان اسدد سهما
رصاصيا الى قلبها الصغير فيمتلىء كراهية وبغضاء ..
ويحسن ألا أشعرها بوجودى حتى أصمى قلبها ...
فلأختبئ هنا .. »

وتوارى خلف دوحة كبيرة ، وثبت السهم الرصاصى فى
مكانه من القوس ، ثم أطلقه فى قلب دفنيه ، وما كاد يفعل
حتى انخلع قلب الفتاة من الذعر ، وأسلمت ساقها للريح
تعدو بين الايك ، صارخة من ذلك الثلج الذى ذهب بحرارة
فؤادها ..

وقصد كيوبيد الى حيث أبوللو ، وكان قريبا من دفنيه ،
فسدد الى قلبه السهم الذهبى فأصماه . وتلفت أبوللو
ينظر ماذا أصابه ، وحدث ان كانت دفنيه منطلقة تعدو
اذ ذاك ، فلمحها ، وسرعان ما جن بها جنونا . لقد ملأه
سهم كيوبيد حبا ، كما ملأ سهمه الرصاصى دفنيه
بغضا ...

لقد كانت دفنيه أول من وقع عليه نظر أبوللو بعد اذ
ملأه سهم كيوبيد حبا ، فهام بها ، وشعر نحوها بهوى
ممض ، وبرح كأنه برح آلاف من السنين ، وكذلك كان

أبوللو أول من وقع نظر ذنفيه عليه بفد إذ أفعمها سنهم
كيوبيد كراهية ، فأبغضته ، وشعرت بسم تنفثه عيناه
فى قلبها حينما رآته

أفلح كيوبيد اذن فى الفتك بأبوللو ، حين اوقعه فى
أحبولة الهوى ، ورداه فى شرك الغرام ، بهذه الفتاة الكارهة
المحنقة ، ذنفيه ! أفلح كيوبيد ، وتبع أبوللو يرى اليه
يتذلل ويتضرع ... ويبكى كما يبكى الآدميون ... وهو
سيد الشمس ، ورب الموسيقى ، وقانص الافعوانات كما
دل على كيوبيد وافتخر !

انتصر كيوبيد اله الحب ، صاحب القوس الذهبية ،
كيوبيد الطفل ، ذو الجناحين ، على أبوللو سيد الشمس ،
صاحب القوس والوتر العرد !
ان الحرب لم تبدأ ، حين بدأت ، بين أبوللو بن لاتونا ،
وكيوبيد بن أفروديت ، بل هى قد بدأت بين البغضاء
والحب ، والقلى ... والهوى !

انطلق أبوللو فى اثر ذنفيه المذعورة يبكى ويتذلل ،
ويحاول اللحاق بها ... ولكن هيهات ! لقد كانت تمنع فى
الهرب ، كلما جد هو فى الطلب ، ولقد كانت تنظر اليه
كأنه قاتل أبيها ... او خائن أمها ! ..

وصاح أبوللو ضارعا : « ذنفيه أيتها العزيزة ، قفى
أرجوك ! تمهلى اتوسل اليك ، الشوك يجرح قدميك
المعبودتين يا ذنفيه ! اوه رويدك يا حبيبة ، لاتنطلقى هكذا
فقد يؤذيك اندفاعك ، فيم أنت مذعورة هكذا ؟ أنا أبوللو
... قفى ! .. »

ولكن ذنفيه لا تجيب الا بنظرة القنص ، ولفظة الواجف
المراش ، وتجد فى الهرب . فيقول أبوللو : « قفى يا ذنفيه !
قفى ولك نصف ملكى : بل لك الشمس كلها اذا وقفت ،
أنا رب الموسيقى سأغنى واصدح لك ! سأطربك بقيثارتى

الذهبية بعد أن أغسل قدميك بدموعي في كل ليلة (!) :
سأطير بك في أرجاء السموات ! ستكون لك القصور في جنة
الأولب ! سأمنحك الخلود يا دفنيه ! أحبك ! أستحلفك
بزيوس إلا ما وقفت ! مالك هيمانة على وجهك هكذا ؟ هل
أخيفك ؟ هل أزعجك الى هذا الحد ؟ ... ويلاه ! »

ولا تبالي دفنيه ، بل تعدو وتعدو ...
ويضيق أبولو بغصته ذرعا ، فيلجأ الى جبروت الآلهة ،
ويبدى سلطان السماء ! ويصيح صيحة هائلة ، فيكون
سد منيع في طريق دفنيه ! ..

فيقول أبولو وقلبه يضطرب من طول الأعياء : « فيم
تهربين مني يا دفنيه ! ألم تعبديني مرة وتقدمي التضحايا
بأسمى الى كهنة الهيكل ؟ هأنذا أبولو المعبود ، أرجوك
وأتوسل إليك ! أنا الذي أعبدك يا دفنيه ! ماذا تريد من بعد
هذا ؟ لقد بلغت من أبولو منزلة لم تبلغها ربة من قبل !
لقد فضلتك على كليمن ، زوجتي المعبودة ، وأجمل عرائس
البحر ، وآم طفلي المحبوب فيتون ! فيتون أسرع الآلهة
بعد أخى هرmez ، سامره يكون خادما لك ! انه يقتنى أغلى
المركبات ، ولديه من الصافنات الجياد أغلاها ، ستركبين
معه فتطوفين العالم في ساعتين ، وترين ما بين الشرق
والغرب في لمحتين ، لو رضيت ! دفنيه ! أرجوك يا دفنيه !
اننى أبدا ما بكيت بمثل ما أبكى لك ، واذرف الدمع بين
يديك ! حنانيك يا دفنيه فقد سحقت قلبي بكبريائك ،
وأذلت نفسي بخيلائك ! »

وكان فعل السهم الرصاصي في قلب دفنيه قد خف ،
ووقفت الغادة حائرة مترددة مما تسمع ، وكانت عينها
ثرتين بعبرات حبيسة . ولكن كيوبيسد ، المختبئ في
عساليج الكروم القريبة كان يرى ويسمع ، فلما شاهد
من ضعف دفنيه وقرب تسليمها ، تناول قوسه ، وانتقى

نهلها مسنوناً من كثافة الأسهم الرصاصية وسدده إلى قلبها ، فلصرخت المسكينة صرخة مدوية ، وهبت في وجه أبولو تقول : « اليك عنى أيها المسخ ! تنح ! أبغضك ! أكرهك ! أغرب عنى ، أنت أنجس من التيتان (١) وألام من شارون (٢) ، اذهب ! لا أطيقك ، انظر إلى هذا الغدير لترى الشرر ينقدح من مقلتيك ، والدخان يصاعد من منخريك ! كريبه . . شأنه أنت أيها الوحش . . »

وكذلك كان فعل السهم الذهبي قد شارف أن يبطل في قلب أبولو . . وكاد الإله العظيم يخلص من هذا السحر العجيب ، فيسحق دفنيه ، لولا أن تنبه كيوبيد ، فأصماه بسهم ذهبي آخر ، فجئن جنونه ، وتجدد حبه ، وتألب به هواه . . فصرخ صرخة راجفة ، وأشجار إلى السد فزال عن طريق دفنيه ، فانطلقت تعدو . . وتعدو . . وانطلق هو في أثرها يتوسل . . ويدرف أغلى العبرات ! . .

لقد كانت دفنيه تطوى الطريق كأنها فكرة شاردة في رأس شاعر ، ولقد كان أبولو يقتص آثارها كأنه الكوكب السيارة منجذباً إلى نجم كبير ! وكان كلما سرق اللوحة من ساقبيها الجميلتين التهاب قلبه بحبها ، واشتعلت نفسه بالرغبة الملحة فيها ، وانجذبت روحه إليها . . يالكيوبيد ! وياالسهامه . . الذهبية . . والرصاصية ، على حد سواء !

وتعدو دفنيه حتى تكون عند حفاقي النهر العظيم الذي أقام زيوس والدها الكسبر الها عليه ، فتصرخ قائلة : انقذنى يا أبى ! خلصنى من هذا الوحش الذى يدعى أنه

(١) التيتان هم أبناء وبنات زيوس من المردة وقتلة ابنه زجربوس وأبغض الإبالسة إلى الإلهة
(٢) شارون هو حارس الجحيم

أبوللو الكريم ! انه يهدو من ورائى .. خلصنى منه ..
انى أبغضه .. يا أبى .. يا أبى .. »

وينشطر الماء ، ويخرج أبوها ، اله النهر ، فىرى أبوللو
مقبلا ، فيعرفه ، ولكنه يرق لابنته ويقسم ليخلصنها من
سيد الشمس ، فيفرس قدميها فى الشاطئ ، ويحتفن
من الماء بيديه ، وينثرها به ، بعد أن يتلو عليه من تعاويذه
ويقف أبوللو مشدوها ، موزع اللب ، ينظر ويرى !

لقد تحولت دفينه ، فى لمحات ، الى شجرة باسقة من
أشجار الفار ، وأخذت الخضرة تينع فى أغصانها ، بين خيرة
أبوللو وشدة تعجبه !

ووقف الاله العظيم يبكى ، ويا ويح للعاشق المخبول !
ثم تقدم فبارك الشجرة ، وسقاها من دمه ، الذى كان
من خلائقه الكبر ! وانصرف محطم النفس ، معمود القلب ،
كاسف البال .. ولقيه كيوييد ، فسأله الخبيث : « أين
سهامك التى أردت بها الافعوانات يا أبوللو بن لاتونا ؟ »
فقال : « كيوييد ! اشفنى مما ألم بى ! » فقال كيوييد :
« بهذا السهم الرصاصى أشفيك ! »

وتلقى أبوللو السهم فى قلبه عن طواعية فبرىء مما به ،
ولم يعاد كيوييد بن أفروديت بعدها !

ليو أو «مُشأ إيريس»



كان لأحد أرباب الانهار التي تنحدر من شواحق الاولمب
ابنة بارعة الجمال فتانة ، حلوة كأنها قبلة على فم حبيب ،
رقية كأنها زنبقة على غصن رطيب

وكانت تخطر كما تخطر نسمة معطرة أفلتت من الجنة
لتملأ القلوب حبا ، ولتشيع في الحب سعادة ، ولترف في
قيظ الحياة فتزوح على المكدودين المحزونين

وكانت هذه الفتاة (يو) ، مفتتنة بجمال الطبيعة ،
مشغوفة بسحرها الاخاذ ، تود لو تستطيع فتعيش ملء
السهل والجبل ، او تقدر فتنسجم والحياة الدائبة في
الغابة ، او تكون روحا شفافا يرف في زرقة السماء ،
ويمتزج بالظلال والافياء

ولم تكن عاشقة ، ولكنها كانت حين تجلس على الصخرة
المشرفة على البحر تعبد القمر في هدأة من الليل ، يهيج
حب الطبيعة في نفسها ، فتبكي ، وتبكي ، ولا يقطع عليها
بكاءها الا خير الفدران المترقرقة التي تنسرب في الادغال .
وكانت عبادة الطبيعة تقطعها عن اترابها من عرائس الماء ،
وصاحباتها من بنات الغاب ، فكن اذا تفقدنها ، توزعن في
مهاوى الجبل ، وتفرقن في منبسط السفح ، وتنادين بها

ههنا وههنا ، حتى يجدنها آخر الامر مستفرقة بين يدي
قمرها المعبود ، تناجي البحر المصطخب ، وتكلم النجم
المضطرب

ونزل زيوس يوما من ذروة الاولمب التي هي أول مراقى
السماء ، يرتاد جنات الارض في مملكة جدته (جى) ، وما
كاد يوغل في احدى جنبات الجبل حتىلقى يو ، تلك الفتاة
الاولمبية الساحرة ، واقفة على الصخرة تستمتع بجمال
الشروق في صبيحة من اوليات الربيع . . وكانت السماء
لا تزال موشاة بسحائب خفيفة من بقايا الشتاء ، وآراد(١)
ذكاء تنتشر خلالها فتفضض اذيالها ، وتذهب أوساطها ،
وتكسب الافق رونقا زاهيا خلايا

وسحر زيوس ، وهو كبير الآلهة ، بجمال العروس التي
هي من خلقه ، وابنة أحد أتباعه ، وأحس بعطف قمر قلبه
العظيم من أجلها ، وشعر كأنه ظمى الى هذا الجمال
الفتان المشرق ، الذى كسف في عينه جمال زوجاته جميعا،
وفيهن حيرا وديون ولاتونا (٢)

ووقف الاله المشدوه يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، وسمر
مكانه ، وهو سيد الآلهة ، يعبد عبدته الصغيرة التي
أبدعتها يداه . . وهو لا يدري !

وعول على اغتنام الفرصة ، وأقسم ليملأن وطابه
استمتاعا لا يضره ألا يكون بريثا ، ولذاذة ليس به أن تكون
نقية خالصة . . « أنا سيد أرباب الاولمب ، وكل ما بين
لابتيك أيتها الارض فهو لى ، وقد اشتهيت هذه الجميلة
الخبیثة فمن الذى يجرو أن يحجزها عنى أو يمنعها

(١) أشعة الشمس

(٢) حيرا: أولى زوجات زيوس وديون هي أم افروديت (فينوس)
ولاتونا هي أم أبولو وديانا (فوبوس وأرتميس) ولزيوس أزواج أخرى

منى !.. ؟ »

ثم بدا له ألا يزعجها بالظهور لها في سيماه الحقيقية
فينخلع قلبها وتطير نفسها ، لأنها ستكون منه تلقاء اله ،
فتحول في لحظة الى فتى يافع ينهل الشباب في برديه ،
ويترقرق الصبى في أعطافه ، وتشع عيناه صبوة وفتونا ،
وتقدم اليها فحياها تحية كلها صفاء وكلها دعة ، فحيت
بأحسن منها ، ولقيته أرضى لقاء ..

وجلس يحدثها وتحديثه ، وكان الاله المحتال يمزج
أحاديثه بالسحر ، ويزخرف صوته بالموسيقى ، ويعسل
ابتساماته بالمحبة ، ويطلق في نظراته كل ما وسعه من
شياطين الهوى ، وكان ماينفك يقترب منها ويقترب ،
حتى لامس ذراعه ذراعها ، فأخذ يدها الصغيرة البضة
بين كفيه الحاريتين ، وطفق يضغط قليلا قليلا ...

وصمتا هينها .. ثم فرغ طور اللسان ، وبدأت نوبة
العين وأخذتا في رشقات وقبل ..

وعاد أدراجه الى الاولب ، ولما يزر من أطراف الارض
غير هذه الناحية الحبيبة التي سعد فيها لحظة بيو ، وظل
منذ ذلك اليوم يتردد اليها فيلتأها على أنها كأسه الروية
التي تبتدر بها غلته ، وتلقاه على أنه حبيب أسعدتها
فينوس به ، وما درت قط أنه كبير الآلهة ورب الأرباب ..
وكان يتحرق الى لقاءها ، وكانت تتسلى عنه بقمرها
الفضى ، فاذا سعدت منه بزورة ، اندغمت عبادتها للطبيعة
فى عبادتها له ، وأذهلتها نشوة الحب عن الدنيا وما فيها !
وأحست حيرا (١) ببعض ما يشغله ، ولحظت انه صادق
عنها ، فأيقنت أن لابد من أمر ، وأن فى الامر أنثى ، وان فى
الانثى صباية وغراما ، فبثت العيون ورصدت الرقباء ،
حتى وقفت من شأنه على كل شيء !

(١) حيرا : ربة الاولب وزوجة زيوس الاولى

ولشد ما دارت الدنيا بحيرا .. لقد ودت أن تقلب جبلا
على رأس يو ! وأقسمت أن تبغتهما إذ يتراشقان كؤوس
الهوى دهاقا ، لكيلا يكون لبعلها على خيانتة حجة ، ولكيلا
يكون له من بعدها برهان

وذو قرن الشمس في صبيحة ضاحكة ، فذهب زيوس
يسفى ما في قلبه من برج عند يو ، وكانت حيرا قد أوهمته
أنها ستقضي سحابة يومها هذا عند واحدة بعينها من
صديقاتها ، وزاد ذلك في ابتهاج الآلهة ، وضاعف انشراحه ،
واعتزم أن يستمتع طيلة يومه هو الآخر لدى يو
وأنه لفي لهو النشوة وإبان السكر ، وعنفوان المرح ،
إذ به يلمح حيرا مقبلة !

وكانت لا تزال في أول الأفق ، فأيقن أنها مكيدة دبرتها
لتفجأه مع يو ، وأنها قد كشفت من سره ما بالغ في كتمانها .
فتناول اذن صاحبه فنفت فيها نفثة سحرتها في أقل من
لمحة بقرة بيضاء ناعمة ، ثم شرع يلاطفها ويمسح عنقها .
ووصلت حيرا ، ولم تنطل عليها حيلة الآلهة ، وماشكت
قط في أن البقرة الواقفة تبحث بأنفها في الحشيش الأخضر
كأنها تنشد الكلاء ، أن هي إلا يو .. ! عدوتها اللدود !
فبسمت لزوجها بسمة كلها دل وكلها قتون ، وسألته ،
وهو يحاول منها قبلة ، أن يمنحها هذه البقرة الخصبة
التي لم أر في حياتي أرشق منها ولا أجمل .. لقد
أحببتها ، وهي من غير ريب ، حين تكبر ستعطينا أجود
اللبن وأسلمه ، وسيكون لبنها خير غذاء لولدينا
الحبيبين ايرس وهيفيستوس ولطفلتنا الجميلة هيب (١) ،
وارتبك زيوس ، ولم ير بدا من اجابة زوجته الى ما تريد .

(١) ايرس هو مارس الروماني إله الحرب ، وهيفيستوس هو فلكان
الروماني إله النار ، وهيب هي ربة الشباب وندمانه الشراب ، وحاملة
الكؤوس فوق الأولمب

ومضت حيرا بالبقرة فرصدت لها احد أتباعها
الاقوياء : أرجس الهائل ، ذا مائة العين التي لا تنام !
ناطته بها ، وأمرته ألا يغفل عنها .. « والا فالويل يا
أرجس اذا هربت منك ، أو احتال أحد عليك فألهاك عنها
... اذن يحل عليك غضبي ، وأسحقك سحقا .. »

وظل الحارس الساهر يرعى يو ، ويرقب كل حركة
من حركاتها ، حتى فزعت المسكينة من سوء منقلبها ،
وصبت اللعنات على هذا الحبيب الشيطان الذي ردها بعد
جمالها الى هذا الخلق الشائن ، وصيرها الى ذاك المصير
المؤلم . لقد كانت تتحين الفرصة لتستطيع ان تفلت من
رقابته الثقيلة ، ولكن كيف ؟ ان الخبيث كان اذا أضناه
السهد وأعياه السهر ، ينام بخمسين عينا ، ويقطع
الشرر بخمسين اخرى !! فاذا استيقظت هذه نأمت تلك ،
وهكذا دواليك حتى تشرق الشمس فتصحو المائة كلها !
وكانت تقابل صواحبها عرائس البحر كلما مررن بها ،
فتود لو تستطيع مخاطبة احدهن ، ولكن ... هيهات !
لقد كانت .. مو .. مو .. تنطلق من فمها الكبير مألثة
أشداقها ، فتزعج صواحبها ايما انزعاج !

ومضت أيام .. وأيام ..

ثم لقيت أباه مرة ، فنظرت اليه وهو ينكرها ، ونظرت
ولكنه لم يستطع أن يفسر نظراتها ، فذرفت أحر الدموع
وأدمى العبرات ! وحاولت ان تلفته الى أنها ابنته ، فلم
يأبه لها !

وبدا لها أن تخط على ثرى الشاطئ حكايتها ، وما
كادت تفعل حتى فطن أبوها لما تريد ، فلما قرأ ما رقصته
في أديم الرمل ، أجهش المسكين وسكب دموع الحنان ،
ثم عانقها عناقا طويلا ! ولكنه أسقط في يديه ، ان ماذا

يستطيع رب نهر صغير أن يصنع فى سحر الاله الاكبر !
ولما شهد أرجس ما كان من بكاء البقرة ثم بكاء رب
النهر وعناقه اياها ، تأثر تأثرا باديا . ولو لم يفقه من
كل ما كان شيئا . ثم ذكر وعيد حيرا ، فانطلق بالمسكينة
الى مكان سحيق ، وثمة ، تخير يفاعا عاليا أقام عليه
ليشرف منه على كل شيء ، فلا يخشى على بقرته رهقا ،
ولا تستطيع هى مهربا

وذكر زيوس فتاته المسكينة التى كان حبه اياها سبب
تعسها وشقاقها ، وذكر تلك الاويقات الحلوة التى يسرت
له فيها أصفى لحظات السعادة التى لم يتيسر له مثلها
فى مملكة الاولب على ما جمعت من صنوف الرفاهة
والنعيم ، فثارت فى قلبه عوامل الرحمة ، وتحركت فى
صميمه تلك الشفقة الالهية التى اتصف بها فى قديم
الآباد . .

وفكر وفكر . . . ثم استدعى من فوره ابنه من زوجته
مايا ، البطل الطيار المشهور ، هرمز ، وأمره بالتوجه الى
حيث أرجس فيحتال عليه ويقتله . .

ومرق هرمز كالسهم الى حيث الاكمة التى جلس فوقها
أرجس فألفاه يحرس البقرة حراسة شديدة منكرة ، وكانت
القمراء تغمر السهل والغاب والجبل ، وكانا البدر يتنقل
فى دارات السماء ، والرياح تهب سحسجا والبلايل تغرد
فوق أغصان التفاح تطرب وتشجى ، وكان سنة من النوم
خفيفة رقصت فى خمسين من عيون أرجس فأطبقت قليلا ،
ولكن ما برحت الخمسون الاخرى تنافس الثريا ببريقها ،
وكانت البقرة معلقة على الثرى المندى من الاعياء ، فلما
شهدت هرمز لم تحفل به

ولكن ما هذه الموسيقى الحنون !
ومن العازف فى هدأة الليل !

وما للنجوم تضطرب هكذا من الطرب ؟

آه .. لقد تحول هرمز الصنّاع الى شاب ذى قوة وذى فتوة وذى جمال ، وبدا فى شكل راع من رعاة الضأن ، وجلس القرفصاء على صخرة مقابلة لأرجس ، ثم انبرى يعزف على يراعه المثقب الذى اتخذه من قصب البسرية الفسيحة التى أقبل منها ، وانبطحت فى السفح شاؤه ونعمه (١) تغط فى شبه نوم عميق ..

واستيقظت الخمسون الاخرى من عيون أرجس ، ودب النشاط فى هيكله الضخم لما سمع من حسن التوقيع وروعة اللحن ، فانتفض انتفاضة كان بها عند هرمز - الراعى الفتى - فسلم عليه وصافحه . وجلس بين يديه كالعنز يسمع ويضطرب وينتشى ، ثم أخذ معه فى حديث طويل عن موسيقاه العذبة وألحانه الرقيقة ، ثم استطرد فسأله عن نايه ، مم صنعه ، أو من ذا الذى وهبه ؟ ... فقال هرمز : « فى احدى الغابات ذات الايك البالغ عنان السماء ، والدوح المنتشر فى الارحاء ، كانت تعيش سيرينكس عروس الماء المرحّة ، ذات السيقان الذاعمة ، والجسم الابيض الخصب الجميل . وكانت تهوى الرياضة وتقبل عليها ، وتؤثر منها الجرى والوثب والقفز ، والتعلق بأطراف الشجر ، ثم السباحة . وكانت تجرى فتسبق الريح ، وتعدو فيتعثر الظليم (٢) فى آثارها ، ولا تدرك الصافنات (٣) غبارها . وطالما طلبت اليها آلهة الغاب مسابقتها ، فكانت تأذن لهم فيجرون قبلها - مرحلة ، ثم تنطلق فتلحق بهم ، وتسبقهم بمراحل ! .. وتشاءب هرمز الخبيث وقال : « ومن طريف ما حدث لها ، ان بان العظيم ، رب الرعاة والاله المروج وسيد الغاب ،

(١) الشاء جمع شاه ، والنعم يطلق على الابل

(٢) ذكر النعام

(٣) الخيل

ومعبود الناس في أركاديا ، لمحها يوما تعدو كأنها زوبعة ، فتبعها ، ولكنها شأته (١) وأجهدته ! مع ما هو معروف عنه من السبق والتفوق في الجري ، وحاول أن يلحق بها ، فضاعف سرعته وأطال خطواته .. ولكن هيهات ! ... والتفتت سيرينكس فرأته يطوى أديم الأرض من خلفها . ففزعت أيما فزع وهالها منظره الشائه الغريب ، فسيقانه العنزية الازبع ، وأذناه البهيمية الشاخصة ، وجسمه المقتول ذو العضل ، ووجهه الواسع العريض .. كل ذلك بعث في قلبها الدعر ، وهاج في نفسها الرعب ، حتى كادت تذهب شعاعا .

وتشاءب هيرمز ثانية وثالثة ، ثم قال : « واعترضها نهر عظيم فصرخت عرائس الماء تستغيث بهن ، وتطلب اليهن النجدة ، فما أذهل بان عن نفسه إلا أن رأى بطائفة من هذه العرائس تبرز من الماء فجأة فتجذب سيرينكس حتى تغيبنها في اليم ، ثم ما أذهله أيضا إلا أن تنمو قصبات رقيقة ، ذوات أرياش صفيقة ، في الموقع من الماء الذي غابت فيه سيرينكس !

ووقف بان مشدوه القلب ، ذاهل الفكر ، يحملق في النهر الذي طوى منية القلب ، وهوية النفس ، ثم انثنى فنزع القصبات النامية ، وراح يصنع منها نايًا حلو النغم رقيق اللحن ، حنون الجرس

ولقيته مرة في روضة مونقة ، منضورة منسقة ، وكان بان يجلس على رابية بها معشوشبة ، عازفا على يراعه ، فطربت لموسيقاه طربا شديدا ، ودلفت إليه ، فرجوته أن يهب الناي لي ، فتبسم قائلا : « اليك يا بني أكرم القني (٢) وأعز الزكريات .. »

(١) شأته : سبقته

(٢) جمع قنية ما يقتنيه الانسان

وشهدت عبرات تنطلق من مقلتيه ، حاول ان يخفيها عنى . .
 وكان هرمز وهو يلقي هذه الاقصوصة التى اخترعها
 اختراعا ، يحاول أن يمطها مطا ، ويزيد فى ثناياها حواشى
 مملة ، ويزخرفها بتعليقات لا غناء فيها ، وكان يتشاءب
 ويتشاءب ، وكانت الكلمات تساقط من فمه كأنها
 مشدودة بسلسلة من حديد ، حتى تشاءب أرجس هو
 الآخر ، وغلبه نعاس شديد أغلق عيونه كلها . وابتهج
 هرمز الخبيث لذلك ، وجعل يروح على وجه أرجس ،
 حتى انطلق الشخير من أنفه الكبير يجاوب أصداء الضفادع
 وهنا . . امتشق هرمز جرازه المرهف وأهوى به على
 عنقه الطويل ، فانفصل الرأس عن البدن ، وغادرهما
 معفرين بالتراب ، وعاد أدراجه الى الاولب يحمل الى والده
 نبأ المعركة . . .

وحزنت حيرا على خادماها أمض الحزن واشده وذهبت
 بنفسها فحملت رأسه الى مخدعها فى قصر الاولب الكبير ،
 وطفقت تسمل العيون عينا عينا وتركبها فى ريش
 طاووسها (١) الجميل لتظل الى الابد رمز حبها له ووفائها
 لذكره . . ثم آلت لتسلطن على يو - البقرة المسكينة -
 ذبابة صفراء من ذباب الإبالسة تقرصها وتجعل من
 حياتها نكالا ، حتى ضجت المخلوقة التعسة ورفعت أكف
 الضراعة تستمطر الرحمة من زيوس . . . كبير الآلهة ورب
 الارباب : « يا الهى العظيم الرحيم ! يا أبا الآلهة ، وابن
 الآلهة ! أتوسل اليك بأبنائك الكرام الأرحماء ! أدركنى
 يا أبا زجريوس ! اغفرلى زلتى حين أحببت هذا الفتى
 الجميل وأحببته ! ان كنت قد صنعت بى ما صنعت

(١) كان الاغريق يرمزون لحيرا بالطاووس والكوكو وكانوا يحبونها
 حبا جما لانها آثرتهم بعطفها وضحت فى سبيلهم بحب زوجها وثقته فيها
 - واسمها اليونانى هو جونو

انتقاما ، فحسبك ما حل بى من عذاب الهون ، لن أزل
يا الهى اذا غفرت لى ورفعت عني وزر غضبك ! أقبل
يارب الاولب صلاتى واجعلها شفيعى اليك ! أنا . . . يو
المسكينة . . . كنت أعبد ابنتك أرتميس ربة القمر ،
فكنت أنزوى عن العالم ، وألبث وحدى بين يدي قمرى
الحبيب ، أصلى لك ولابنتك المعبودة ، فى هدأة الليل ،
وسكون السحر ، فما هو الا ان قطع على هذا الفتى صلاتى
وهو من خالقك ، وجماله الفتان آية من آياتك ، فإذا سحرته
وأذهلته عن عبادتى ، فانى أستأهل كل هذا الذى أنا
فيه ! يا الهى اغفر لى ، فقد وسع عفوانك كل شئ »

ويستجيب الاله لهذه الصلاة العارة الخالصة ، فينطلق
الى حيرا ، حيث يجدها مكبة على رأس أرجس تسمل
عيونه ، فيواسيها ويسليها ، ثم يرجوها أن ترحم يو ،
وأن تخفف عنها العذاب ، وهو لقاء هذا يعطيها كل
المواثيق . ألا يصل أسبابه بأسبابها مرة أخرى . فترق
حيرا ، وتتفجر الرحمة لأول عهدا بها ، فى قلبها ، وترسل
من يرفع الذبابة عن البقرة ، وتأذن لزيوس فيعيدها الى
صورتها الاولى . الصورة القديمة المحبوبة . ولكنها
تشتط عليه أن يرسل من يذهب بها الى أقصى أطراف
الارض ، حتى تطمئن عليه وعلى قلبه المتصابى من حبها
ويأمر زيوس بعض أتباعه فيحتمل يو الى . . . ضفاف
النيل ! وتخرج من الصحراء على المصريين ، فتبهتهم
بجمالها الرائع ، وحسنها الوضاء ، ومفاتنها البارعة ،
ثم يجتمعون على عبادتها ، ويقيمونها ملكة عليهم ،
ويسمونها : « ايزيس »

وتمر الايام . . .
فيتزوجها كبير آلهة مصر ، أوزوريس ، وتلد له ابنة
جوريس !

برسيوس و أندروميда والجُرْجُون الثلاثة



في احدى مدن الشاطئ الافريقي ، كانت تعيش أميرة
جميلة تدعى « داناي » ، هي وابنها الجميل برسيوس ،
الذي كتب عليه ان يحرم صدر والده الحنون ، ذلك
الوالد الذي طوحت به أسفاره ، فشط مزاره ، ولم يعرف
أحد أين انتهى قراره

ولقد كان هذا الوالد - فيما يظهر - على جانب عظيم
من البأس وقوة الجانب ، حتى لقد فرح أهل المدينة لبعده
فرحاً شديداً ، ولخوفهم من أن ينشأ طفله برسيوس على
وتيرته ، تأمروا فيما بينهم على نفيه هو وأمه من جزيرتهم
في زورق صغير يدفعون به الى اليم ، والامواج المتلاطمة
كفيلة ، ثمة ، بأجراء حكمها فيهما

يا للوحوش ! لقد أنفذ الاشقياء تدبيرهم ، وتسلطت
الامواج حول الزورق تقلد به ها هنا وها هنا ، والأم
المسكينة تغالب أحزانها وتنسى مخاوفها ، فتغنى لطفلها
الراقد في حضنها ، وتدله ، كي ينام ، وكى يكون بنجوة
من هذا البحر المصطخب

وبعد ان كان الموت المحقق قاب قوسين من هاتين
الفرستين ، وبعد ان كانت كل موجة تشق للزورق قبراً

في أعماق الماء ، شاءت العناية ان تسخر موجة هائلة تدفع به ، في هواده ورفق الى ساحل جزيرة نائية في وسط المحيط . وهناك ، نزلت الام الموهونة متهاككة على نفسها ، حاملة وديعتها البريئة ، شاكية الى الآلهة صنع الانسان بالانسان . ولحقت في الافق قرية متطامنة ، فيممت شطرها ، ومافتتت تتعثر في خطاها حتى بلغتها . والشمس تتوارى بالحجاب

ورحب الناس بالضييفين البائسين ، لان دينهم كان يأمر بايواء ايناء السبيل ، واکرام الغرباء واللاجئين ، فعاشا ناعمين ، وشب برسيوس سليما من الافات ، مكتنز العضلات ، بادی الفتوة ، موفور القوة ، عذب اللسان ، مشبوب الجنان ، واحبه الناس واعجبوا به ، والتف الجميع حوله يصغون الى احاديثه العذاب ، وقصصه الرطاب . . . وتسامع الكل به ، وترامت الى ملك الجزيرة اخباره ، فشغله انصراف الناس اليه ، وافتتانهم به ، وكان (قاتله لله) ، غيورا رعيديا ، فآلى ان يكيد له ويدبر حيلة يقصيه بها عن طريقه لينطمئن على نفسه . . . وعرشه !

وكان في احدى الجزائر النائية ثلاثة من الجرجون الضارية ، وهى من أفزع ما جاء في أساطير اليونان ، وكل من هذه الجرجونتين هائل له رأس امرأة ، ويدان من النحاس الاصفر ، ذواتا اظافر حادة ، تنفذ في اقصى المعادن واصلبها ، وليس لها شعر في رؤوسها كما للنساء ، بل لها ، عوضا عن الشعر ، حيات وافاع ذوات رؤوس تنفث السم الزعاف . وقد اوتيت قوة خارقة ، حتى تستطيع احداها ان تقصم جذع النخلة بضربة ضعيفة من ذنبها الجبار ، وليست هذه الجرجون مخيفة بسمها ، وقوة بشيتها فحسب ، بل الادهى والامر ، هو هذا السر الدفين في عيونها ، اذ كل من جرؤ على النظر الى هذه العيون ، يتحول في الحال الى صنم من الحجارة ، لا يتحرك ،

ولا يعى !

وكانت الجوجونة (مديوسا) أفضع انواع الجرجون
جميعا ، ولذا كانت أختاها الاخريان تحترمانها ، وتسهران
على راحتها

ولكن ماذا اعتزم الملك الجبار من كل ذلك ؟ لقد دبر ان
يفرى برسيوس بالذهاب الى جزيرة الجرجون لقتل
(مديوسا) والاياب برأسها كأحسن هدية تقدم الى ملك .
وكان هذا الرجل الخبيث يعلم تمام العلم ان مجرد محاولة
الذهاب الى جزيرة الجرجون هو ضرب من الجنون لا يقدم
عليه الا المأفونون ، فان نظرة واحدة من عين مديوسا كفيلة
بوضع حد لكل شيء ..

وأرسل الملك الى برسيوس فهتل بين يديه ، وطفق
يكيل له المدح جزافا ، ويبالغ فى الثناء على ما ترمى اليه من
اخباره وضروب شجاعته التى يتحدث بها الجميع

وامتلا برسيوس ، الفتى ، زهوا ، وشاعت فى أعطافه
الكبرياء ، وراح هو بدوره يشكر للملك حلو ثنائه ، وجميل
اطرائه ، فمما ان أدرك الملك ما بلغ ثناءؤه من قلب
برسيوس الغرير ، ونفسه الصغيرة ، حتى أخبره بما
انتدبه له ، فقبل الفتى المسكين وهو لا يدري ما هى هذه
الجرجون ولا أين جزيرة الجرجون ؟

وانطلق من فوره ، وأرسل الملك من حاشيته من أبلغوه
خارج الاسوار فى مهرجان فخم ، وموكب أنيق . ثم غربت
الشمس فغلقت الابواب ثم جلس برسيوس على صخرة
عظيمة مشرفة على البحر يفكر فى هذه الجرجون ، وينظر
الى القمر يشرق من الاتباج ، فيفضض الموج ، ويحور
به البحر رجرجا من لجين ! ويذكر فجأة انه لم يودع أمه ،
ولم يتزود منها قبلة أو دعاء لهذا السفر الطويل . فيبكى
.. ويبكى بكاء مرا !

وتصدغ قلبه حينما خيل اليه أنه قد لا يعود اليها
مع أنه غزاؤها الوحيد في هذه الحياة !

وانتصف الليل ..

وفيما هو غارق في لجة الفكر ، شرق بواكف الدمع ، اذا
بصوت رقيق يناديه من فوق الصخرة المقابلة : « برسيوس
ايها العزيز ! قيم بكاؤك ؟ ولم تدر ف كل هذه الدموع ؟
لقد هجعت الآلهة ، وأحزنت الرهبان الأولمب ! » . ونظر
برسيوس ليرى من صاحب هذا الصوت الرخيم الذي
يناديه ، فعجب عجباً شديداً ! لقد رأى مخلوقاً جميلاً
مشرق الجبين ، يترقرق البشر في وجهه ، لا يعقل ان يكون
بشراً ! يلبس فوق هامته قلنسوة ذات أرياش وأجنحة ،
وفي قدميه نعلان غريبتان يتصل بكل منهما جناح البازي ،
وفي يده عصا سحرية تتلوى بطرفها الأعلى ثعابين
وحيات !!

على أن برسيوس لم يعلم أن الذي يتحدث اليه ، ان
هو الا الاله هرمز (١) رسول الآلهة بين السموات
والارض ، الذي لا يفوقه في سرعته أحد

وبعد ، فلقد قص برسيوس قصته على هرمز ، وما فرغ
منها ، حتى قال الاله له : « بنى ! انك مقدم على أمر جليل ،
وشأن بعيد المدى ، صعب المنال . ولقد أراد الملك اهلاكك
حين اختارك لهذه المهمة ، لان احدا لا يجسر على الذهاب
الى جزيرة الجرجون الا اذا كان أحمق أو مجنوناً ، ولكن
اصغ الى ! انك لابد فائز اذا عملت بوصاياي ، ولم تحدد
عما أشير عليك به . وسأذهب عنك لحظة ، ثم أعود اليك
بالآء من الآلهة ، تقرب لك النجح ، وتسهل عليك كل شاق

(١) هرمز هو الذي يسميه الرومان ميركيوري والعرب عطارد ، وهو
قائد ارواح الموتى بين الدنيا والاخرة

من أمرك .. فانتظر ، ورقى هرمز ثم غاب فى السماء ،
وبهت برسيوس حين رآه يطوى الأديم الفضى ، ويطرق
أبواب أورانوس (١) !

وقص هرمز قصة صاحبه على الآلهة ، فرثت لافتى
المسكين وتحركت فى قلوبها الرحمة العلوية ، التى طالما
تنهمر من السماء ، لتغسل آلام الأرض : وتعاهدت أن
تؤازر برسيوس ، وتمده بكل ما يسهل عليه أشق أمره .
فنزل بلوتو ، اله الموتى عن قلنسوته التى تخفى من يلبسها
فلا يراه أحد ، وتبرعت مينرفا (٢) بترسها الذى يحمى
لابسسه من حراب الأعداء ، وهو ترس ثمين من الذهب
الخالص ، يلمع لمعانا شديدا ، حتى ليعكس المرئيات فى
صفحته ، كأنه السبحنجل



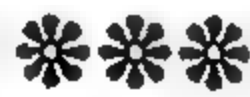
وحمل هرمز المنحيتين ، وعاد بهما الى حيث يجلس
برسيوس فقدمهما اليه ، وزوده بخرازه المتلوى القاطع ،
الذى ليس كمثله سيف ولا حسام . ومنحه نعليه
المنحيتين ، اللتين تسبقان به الريح ، فلبسهما ثم قال له :
« تلك يا برسيوس هدايا الآلهة أسبقها عليك . بيد أنه
ينبغى قبل كل شيء أن تذهب معى الى هذه الجزيرة
القريبة حيث تقيم ثلاث اناث من السيكلوب ذوات العين
الواحدة ، فتحتال عليهن حتى تعرف منهن موضع جزيرة
الجرجون ، لان أحدا من العالمين لا يدري أين موضعها
بالضبط غير هؤلاء السيكلوب . سر اذن على بركة الآلهة
فى اثرى ، واحترس لنفسك ، والأسماء تكلؤك »
وكم عجب برسيوس حين رآه يطير فى اثر هرمز ،

(١) السماء

(٢) اسمها بالا اثينا فى الميثولوجية اليونانية وقد آثرنا هذه التسمية
الرومانية لديونها

والبحر من تحتها يتسلاطم ، ويعج عجاجه ، وهما من فوقه كالعصافير المهاجرة ، وحطا في الجزيرة المنشودة بعد أن دوما فوقه طويلا . وكان ذلك بالقرب من كهف حالك في منحدر صخرة صعبة المرتقى . وقد لمح فيه برسيوس السيكلوب الثلاث ، بفضل ترس مينرفا الذي كان يعكس في صفحته كل ما في الجزيرة

انها مخلوقات غريبة حقا ، ليس كمثلها شيء في الافاق ، شاذة في خلقها ، عجيبة في تنسيق جسمها ، وهى اناث على كل حال يعشن في هذه الجزيرة المعشوشبة ، بعيدات عن العالم ، منزويات في هذا الركن السحيق من أركان الدنيا . وأغرب ما في أجسامهن من شذوذ أن ليس لهن عين كما للناس ، ولكن لهن ، وبالحري ، لثلاثتهن ، عين واحدة : تركبها لوقت معلوم ، فى حفرة غائرة من جبينها ، حتى اذا انتهى الوقت وجاءت نوبة السيكلوبة الاخرى ، نزعَت الاولى تلك العين وأعطتها للثانية ، وهذه للثالثة ، وهكذا دواليك ، وبوساطة تلك العين العجيبة تستطيع السيكلوب رؤية أصغر شيء فى أقصى جهات العالم ، من دون ما مشقة ولا عناء ..



وبعد ان زود هرمز صاحبه بوصايا غالية ، انتحى ناحية قريبة ، واختبأ برسيوس خلف شجرة باسقة ، ولشد ما دهش اذ رأى احدى السيكلوب تقود أختيها ، وفى جبينها العين العجيبة ترمق بها أصقاع العالم ، وتحدث أختيها عما ترى ، وبعد قليل ثار نزاع بين الأخوات على العين ، كل تريد أن تأخذ نوبتها ، وكل تدعى أن الدور دورها . وفيما كانت الأولى تنزع العين ، وتوشك ان تعطيها للثانية ، انقض برسيوس فتسلمها من السيكلوبة ، دون وعى منها !! لأنها بدون العين لا تستطيع أن ترى شيئا

في العالم . وينشب نزاع شديد بين السيكلوب على العين ، كل منهن تتهم أختها بأن العين معها وتدعى الانتكار ، حتى وضع برسيوس حدا لتنازعهن ، بأن هتف بهن : « أيتها الأخوات العزيزات ، لا تنازعن على عينكن ، فهي في هذه اللحظة معى وبين يدي » ، وانقضت السيكلوب هلمعات نحو مصدر الصوت ، ولكن هيهات أن يقبضن على شخص تحمله نعلا هرمز ، فلقد قفز قفزة هائلة ، أقصى بها نفسه عنهن ، ثم قال : « أيتها الأخوات العزيزات ! أنا أعلم انكن لا تستطعن الحياة بدون العين الغالية ، وأنا أعدكن بردها اليكن ، ولكن بشرط واحد : ذلك أن تخبرتنى عن المكان الذى تأوى اليه (مديوسا) وأخواتها الجرجون ، فان لم تفعلن فلا عين تكن عندي »

وهنا تميزت السيكلوب من الفيظ وكدن لا يجبن بشيء ، لأنهن منهيات عن اذاعة أسرار العالم ، ولكن اذاعة السر في هذه اللحظة أهون ألف مرة من هذا العمى المطلق ، والظلام المبين يغطش حياتهن ، فأخبرته بموضع الجزيرة ومأوى الجرجون فيها ، ولكى يثق مما أنبأه به نظر في العين التى بين يديه الجزيرة ، وأيقن أنهم لم يخنه ، ثم انه تحسب الفرصة الملائمة ودفع بالعين في جبهة أقرب السيكلوب منه وغاب في الجو ميمما شطر هرمز ، حيث وجده يمرح في غيضة ناضرة ، فتعاقبا عناقا طويلا ، وشكره برسيوس على جزيل مساعدته ، ثم افترقا على أن يبدأ برسيوس رحلته الى جزيرة الجرجون



وكانت رحلة طويلة شاقة ، برغم نعلى هرمز . فكتم بحار طوى ، وكم وهاد رأى ، وكم ربح صرصر كافح ، وكم مشقة احتمل ، حتى وصل الى جزيرة الجرجون ! ولم ينس ما أوصاه به هرمز من وجوب النظر الى أعلى دائما

حتى لا تقع عيناه على عيني أحدي الجرجون فيجور حجارة صماء . وكان يتخذ من درع مينرفا مرآة صافية يرى فيها ما تعج به الجزيرة من كهوف وزروع وغابات . ولشد ما سر سرورا لا مزيد عليه حين وجد الجرجون الثلاث مستغرقات في سبات عميق عند مدخل كهفهن السحيق . وفي وسطهن مديوسا العسائية ، تغط غطيظا مروعا . فاستخار الآلهة ، وامتشق جراز هرمز ، وتعوذ ثم تعوذ ، ثم انقض كالصاعقة ، فأهوى على عنق مديوسا بضربة قاتلة ، فانفصل الرأس عن سائر الجسد . وهنالك ، علا فحيح الأفاعي الباسقة في رأس مديوسا ، تدمدم في الكيس الجلدي الذي ألقاها برسيوس فيه ، حتى لقد استيقظ أختها ، وانطلقتا مرتاعتين في أثر الفتى ، تودان لو تمسكان به ، فتعتصران عظامه اعتصارا . . . ولكن قلنسوة بلوتو تخفيه عنهما ، وتحفظه من شرهما

وبينما هو يطوى الضحاضح والبحار ، وبينما هو منتش بخمرة انتصاره ، مفكر في اللحظة التي يلقي فيها الملك برأس مديوسا ، ويحظى لديه بثمرة فوزه ، بينما هو كذلك ، اذ يلوح في أحدي الجزائر زحاما شديدا ، وجماهير حاشدة ، متكبة حول صخرة ناتئة ، مشرفة على البحر ، وقد تدلت منها فتاة بارعة الجمال ، بادية الحسن ، مغلولة العنق ، مربوطة الأطراف بسلاسل وأصفاد من حديد صلب . ونظر فرأى تشينا بحريا هائلا يطفو فوق الماء ، ويقترّب من الفتاة قليلا قليلا ، وراعه أفزع الروع تلك الصرخة الهائلة التي صرختها الفتاة فرددت الغيران والكهوف ومشارف الجبال اصداؤها

ماذا؟ . . .

الفتاة مذعورة أيما ذعر ، والناس من حولها ينظرون ولا يحركون ساكنا . . . والتنين يقترب ويقترّب . . .

ولم ينتظر برسسيوس حتى يفترس الوحش تلك الفتاة
المفزعة ، بل استل جراز هرmez وانقض فوق ظهر التنين
وأهوى على عنقه بضربات سريعة متلاحقة غاص بها في
أحشائه ، ولبثا يتصارعان ساعة من الزمان كانت كلها
هولا ، وكانت كلها فرعا ، والناس ينظرون مشدوهين ،
زائغة أبصارهم ، لا يصدقون ما يبصرون . ثم انجسبت
المعركة عن جثة التنين الضخمة طاغية فوق الماء ، الذي
تحول بدوره خضما من الدماء . وقفز برسسيوس الى
الشاطئ ، وذهب الى الفتاة ففك أصفادها ، وهذا من
روعها ، ثم حملها على حصانه ، وسأل الناس فقادوها الى
والدتها المسكينة المعذبة ، التي حبست نفسها في حجرة
مظلمة ، وانتظرت ثمة من ينمى اليها ابنتها

أما هذه الام فهي الغادة الاغريقية كاسيوبيا ، المشهورة
بجمالها ، وحسن روائها ، والتي كانت أفتن حسان
هيلاس في زمانها . ولقد امتلأت رهوا بما أضفت عليها
الآلهة من قسامة ، وما أسبغت عليها من وسامة ، فزعمت ،
وهي تفاخر أترابها ، أنها من عرائس البحار التي لا يدانيها
في جمالها الباقي ، جمال هذا البشر الفاني . ففضبت
عرائس الماء ، لهذا الادعاء ، وأقسمن ليعذبن أهل الجزيرة
التي فيها كاسيوبيا بهذا التنين المروع الذي شرع يغزو
كل يوم الى شواطئ الجزيرة فيقتل ويلتهم عشرات من
سكانها ! ..

وذعر القوم . وحاروا في أمر هذا التنين ، وذهبوا الى
الهيكل يقدمون قرابينهم للآلهة ، ويستوحيون كهنتها نبوءة
تبعد عنهم شره ، وتكفيهم أمره . ولقد أجيب أدعيتهم ،
وتقبلت أضحياتهم ، وأرهقت الأسماع ، وشمل الهيكل
هذا السكون المقدس الرهيب ، وما هي الا لحظة حتى
انطلق صوت خفي من أعماق المذبح ، يقول : « قدموا

الغلاء أندروميذا ، ابنة الفانية كاسيوييا ، ضحية حلالا
لثنين البحر ، جزاء غرورها وكبريائها — ذلك ان أردتم ان
يكف الاثنين عنكم شره ، ولا يعاودكم آذاه ! » .

وانكفأ القوم محزونين مروعين ، لاثم كانوا يحبسون
كاسيوييا وابنتها ، حبا هو العبادة . وحازوا كيف يتقدمون
للام بهذا النبأ العظيم ١٩

وكان لابد من النفاذ ، لانقاذ الجزيرة وجميع سكانها .

والآن ، لقد أنقذ برسيوس أندروميذا الجميلة من
التنين ، وشعر في سويدائه بعاطفة نورانية تجذبه الى هذه
الفتاة وأحس كأن مستقبله مرتبط بمستقبلها برباط
قدسي تباركه السماء وتحرسه العناية ، فتقدم الى والدتها
يطلب يد أندروميذا ٢٠

ووافقت الوالدة ، وسعدت الفتاة بهذا البطل الشاب
الذي أنقذ حياتها مرتين : مرة من هذا الوحش الضار
الذي تركه برسيوس جثة هامة ، ومرة ثانية من ذلك
الشيخ الفاني الهرم الذي تقدم اليها يريد لها زوجة له ،
وكادت أمها ان تقصر على الموافقة لما للشيخ في الجزيرة من
صولة وجبروت ، لولا المقادير التي تتابعته بعد ذلك

وأقيم مهرجان كبير ، وزينات فاخرة للاحتفال
بالعروسين ، فمدت الاخونة ، واعدت الاسمطة ، وبدأت
الموسيقى الاغريقية تعزف أشجى الحائنها ، وأخذ الجميع
في قصف حلو وسمير برىء

وانهم لفي كل ذلك اذا بالرجل الهرم الذي تقدم لخطبة
أندروميذا من قبل ، يقتحم الحقل هو وعصبة قوية من
رجال المسلحين ، واذا بالرجل يهتف ببرسيوس قائلا :
« برسيوس ! لقد اعتديت على مولى هذه الجزيرة اعتداء
صارخا بانتزاعك أندروميذا من يدي ، وانك ان لم تنزل

عنها طواعية فساكرهك على تركها قسرا ، بعد ان تروى
هذه السيوف من دمائك ودماء من يلوذ بك ! .. » فحده
برسيوس بنظرة ساخرة وقال : « من انت ايها الرجل
الذى يجسر على مخاطبتي بهذا الهرثاء ؟ لقد أصبحت
أندروميذا زوجتى ، وان كانت من قبل خطيبتك ، أنت من
غير ريب تحلم ... غير أنى أسألك . أين وليت وجهك
يوم اضطرت أمها المسكينة ان تنزل عنها قربانا لثنتين ؟
لقد كان أولى بشجاعتك أنت ورجائك لو توليتم انقاذها
من الافعوان البحرى الذى اذلك واذلهم .. » ومد يده
الى الكيس الذى كان به رأس مديوسا ، فأخرجه وقال :
« ولكن انظر الى هذا قبل أن تقتلنى » . وما كاد الرجل
ينظر الى مديوسا ، حتى تصلبت عضلاته ، وتحجر
جسمه ، وظل مكانه كأنه تمثال ! ودهش أصحابه لجموده ،
وظنوه قد سمر حيث هو ، فلما لمسوه استطيرت ألبابهم
ولاذوا من الفزع بالفرار

وأخفى برسيوس رأس مديوسا ، واستمر القوم فى
سمرهم . كأن لم يحدث شيء . . . اللهم إلا هذا التمثال
المنتصب فى أول الردهة ، والذى كان يهرف منذ لحظة ،
فأصبح عبرة الزمان ، وضحكة الايام !

وحان يوم الرحيل ، فخرج أهل الجزيرة يودعون
الزوجين ، وظلت كاسيوبيا تعانق برسيوس مرة ،
وأندروميذا مرة أخرى ، والدموع فيما بين هذه وتلك ،
تنهمر على خديها انهمارا . . . والناس ينظرون . . .
ويبكون . . .

ثم حمل برسيوس عروسه ، ومرق فى الهواء كالسهم ،
والقوم من عجب يتصايحون ويهتفون

وكانت الرحلة هذه المرة ، على شدتها وطولها ، من
أروح الرحلات الى قلب برسيوس . وتستطيع أن تتصور

القبل الحلوة تنطبع على هذين الثغرين الحبيبين ، فى ملكوت السماء ، لتدرك أى سعادة شعرية ، وأى هنيهات سحرية ، فازا بها فى لازورد الفضاء .

وبلغ مدينة الملك بعد نأى طويل ، وسنين عدة ، فذهب أول ما ذهب الى منزل أمه ، وناهيك بما كان من عناق ، وما تبادلا من تحيات ، وبكت داناى المسكينة ، وهى تهنىء ابنها باندروميدها ، ثم أخذت تقص ، ملء أحزانها ، وفى فيض أشجانها ما انتابها من سوء ، وما لحقها من عسف ، لأنها أبت أن تكون خلية الملك المخاتل الجبار ، الذى صب عليها جام نغمته ، وأذاقها من الهنـوان ألوانا ! فحزن برسيوس حزنا ممضا ، وهيج حتى خيف عليه ، وذهب من فوره الى قصر الملك بكل عتاده ! ودخل الى البهو الملكى بدون استئذان وهو يضر فى القلب غصة ، وفى النفس لوعة ، وفى الكيس رأس مديوسا !!

وقال الملك حين لمح برسيوس : « أهلا ! برسيوس ! لقد عدت أخيرا ، وما أحسبك وفيت بما قطعنت على نفسك من عهود ! لعل شجاعتك التى بالغ الناس فى اطرائها والثناء عليها . قد واثت فى حربك مع الجرجون ؟! »

فأجاب برسيوس ، دون أن ينحى بالتحية الملكية : « أيها الملك ! لم تخاطبنى هكذا ولا تتريث حتى تنظر ان كنت قد عدت اليك برأس مديوسا الرهيب ؟ »

فقهقه الملك ، وملا التهكم شذقيه ، وقال : « طبعاً ، بمتدعى أنك قتلت مديوسا ولكن رأسها وقع منك فى البحر ، فالتقمه الحوت ؟ ... يا للشباب المخدوع ؟ ! »

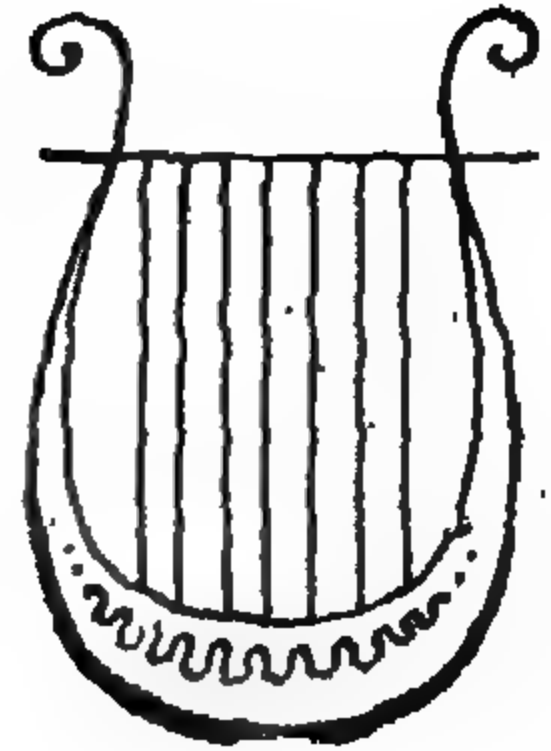
وثارت ثائرة برسيوس ، ولم يجد الى صبر من سبيل ، فحسر عن رأس مديوسا وقال : « أيها الملك ... أنظر ! »

وبهت الملك مكانه حين وقع بصره على عيني مديوسا ،
ثم تحول في لمحة الى تمثال من الحجر ما يأتي بحركة ،
ولا ينبس ببنت شفة !!

وحدث عما شمل أهل الجزيرة من الفرح حين ترامت
اليهم أخبار الملك ، وما تم له مع برسيوس . لقد كانوا
يؤثرون الموت على أن يحكمهم مثل هذا الظالم العسائي
المستهتر ، ولقد كانوا يودون له الهلاك ، حتى خلصهم
برسيوس منه ، فهرعوا إليه ، وهتفوا في كل مكان بأسمه ،
وحملوه على الاعناق الى حيث للملك التمثال وهناك ،
صبوا لعنائهم على الطاغية ، وانصرفوا ، يهنئ بعضهم
بعضا ، بعد أن اختار لهم برسيوس ملكا منهم
فاضلا ، عادلا وقد عرضوا عليه الملك فأبى لان
مملكته الكبيرة المكونة منه ومن أمه ، ومن أندروميذا كانت
آثر لديه من كل ملك عتيد !!

وتوجه الى حيث لقي هرمز ، عند الصخرة المشرفة على
البحر ، فوجده ينتظره ، فتعانقا عناقا يفيض محبة ،
ويقطر ودا ، ثم رد اليه هدايا الآلهة بالحمد والثناء
أما رأس مديوسا ، فقد أهداه الى مينرفا ، وفرحت به
فرحا شديدا ، وهو الى اليوم مركب في وسط ترسها
ترهب به أعداؤها الالدا

أرفيوس الموسيقى



أرفيوس ! لسان الطبيعة ، ونجى الآلهة ، ووحى
السما إلى جى (١) وصاحب القيثارة ذات الرنين ...
والإنين !

كان يعزف ، فتشيع الحياة فى الصخر ، ويقف أبولو
العظيم فى مركبته الذهبية (٢) مطلا برأسه من عليين ،
يسمع ويضطرب ... وكذلك كانت تصنع ديانا ، فطالما
كانت تنزل من مركبتها الفضية (٣) فى أعلى أجواز السماء،
لتلبث هنيهة بباب أرفيوس ، تتزود لرحلتها الليلية
المرهقة ، من مشرق الدنيا إلى مغربها

وكانت الوحوش تسكن إليه ، وتجتمع من حوله
تنصت وتلتذذ ... وتغفو ...

والاشجار ! ان لها لجذورا متغلغلة فى أطباق الأرض ،
ومع ذلك فقد كانت حين تسمع أرفيوس ، تنزع إليه ،
وتسير وراءه خبيا ! وكم تشهد الناس حول بيته غابة من
الدوح العظيم ، والإيك المذهب ، سمعت إليه تلتذذ

(١) جى هى الأرض فى الميثولوجية اليونانية

(٢) مركبة أبولو الذهبية هى الشمس

(٣) القمر

موسيقاه ، ثم هي تنصرف فى المساء فتتغرس فى أصولها ،
وقد ازدادت تضارة وازدهارا !

ومع ذلك ، فقد كان ذا غرة مشرقة ، وابتسامة حلوة
ما تكاد تفارق ثغره الصغير الجميل . وكان جم الحياء ،
لم ينهر مرة أحد رواده ، أو المترددين عليه ، بل كان
يلقى الجميع ببشاشة الاخوة ، وهشاشة الود
وكانت له زوجة أجمل من روعة الفجر ، وآفتن من وشى
الاصيل ، وأندى على قلبه من أنفاس الصباح
اسمها يوريديس . . . مصدر الهامة ، ومعين عبقريته ،
وجمال لحنه ، وأغنية حبه ، وأنشودة هواه . سئل مرة :
« ماذا تملك من الدنيا يا أرفيوس ؟ »
فاجاب : « قيثارتى . . . ويوريديس ! »



كانت يوريديس تجمع الازهار البرية فى ربرب من
أترابها ، لتصنع منها باقة مفوفة تقدمها لارفيوس ،
وكانت كلما راقتها سوسنة ، أو وقعت فى نفسها زنبقة ،
طبعت عليها قبلة ندية وضمتها الى الباقة ، وهى تقول :
وأنت أيضا لحبيبي أرفيوس . . .

وبينما هى كذلك ، اذا أفعى هائلة تنسل من بين
الاشجار ، فتلدغ قدمها الصغيرة الجميلة المطمئنة فى
الحشيش الاخضر ، فتصرخ المسكينة صرخة مدوية ، ثم
تنطرح الى الارض ، وتتناثر الورود والرياحين التى جمعتها
حولها ، كأنها تنضد سرير موتها

وتجتمع صديقاتها مذعورات ، فتعولن وتبكين ،
وتحملنها الى أرفيوس الذى يستطار من هول الكارثة ،
وينخلع فؤاده من فداحة المصاب ، ويحاول المستحيل
لإنقاذ أعز الناس عليه ، ولكن . . . ولكن هيهات ! لقد
ماتت ! واحتلست الدنيا فى عيني أرفيوس التعس ،

وأجدبت قيثارته من ألحان المرح ، واستروحت الى البكاء
والانين . فيا رحمتاه لمن ينصت اليها ويصغى لها ! زفرات
حارة تصعدها أوتارها ، وأنات مؤلمة ينبثق منها الدم
تنبعث من أنغامها !

وأرفيوس ، مع ذلك منزو عن العالم ، عزوف عن
الناس ، مستغرق في وحدته القاسية ، يفكر في
يوريليس

وصمم على ألا يفقدها كما يفقد الناس أحبائهم . بل
لابد من رحلة طويلة الى الدار الآخرة .. الى هيدز ..
حيث اله الموتى بلوتو ، فيضرع اليه أن يرد عليه زوجته
التي لا حياة له الا بها

فكرة غريبة ، وتصميم عجيب ، رجل من دار الفناء ،
له جسم ، وفيه نفس تتردد من إخمصيه الى ذؤابة رأسه،
كيف ينفذ الى دار الموتى وعالم الارواح ، ومملكة الظلال
والاشباح ؟ !

لكنه أمل ملأ قلبه على كل حال ، وها هو ذا يحمل
قيثارته ، ويبدأ رحلته ، ولا يدري الى أين ؟

ضرب في الآفاق على غير هدى ، وذرع الارضاء في ضلال
وحيرة ، حتى رثت له الآلهة ، فرشيدته ، وأنارت له
سبيله ، فاهتدى الى ضفاف ستيكس (١) ذى الزبد ،
حيث وقف شارون النوتى الجبار ، الذى يحمل أرواح
الموتى فى زورقه ، يعبر بها أنهار الجحيم للقاء بلوتو
العظيم ..

وصاح شارون صيحة راجفة حينما لمح أرفيوس ،

(١) ستيكس هو النهر الكبير الذى يحيط بالدار الآخرة « هيدز »
فى الميثولوجيا ، وهو يحيط كذلك بالأنهر التى تنحصر بينها جهنم ،
وسيجىء ذكرها

وَرَمَجِر قَائِلًا : « يَا ابْنِ الْعَدَمِ ، يَا سَسْلِيلَ الْفَنَاءِ ، يَا مَنْ
لَمْ تَفْضُ رُوحَهُ بَعْدَ ، مَاذَا جَاءَ بِكَ إِلَى هُنَا ، وَلَا تَزَالُ تَتَعَثَّرُ
فِي بَرْدِ حَيَاتِكَ الْهَرِثِ ، وَتَتَكَفَّى فِي قَيْدِ دُنْيَاكَ الْوَبِيلَةِ ، عَدَ
مَنْ حَيْثُ أَتَيْتَ ، وَالَا فَوْحُ بِلُوتُو الْمُتَعَالِ لَا سَحْتَنَ عِظَامِكَ ،
وَلَا قَذْفَنَ بِكَ إِلَى سَتِيكْسِ ، فَيَطْوِيكَ الْيَمُّ وَتَشْوِيكَ الْحَمَمُ
.. عَدَ .. عَدَ .. عَدَ أَقُولُ لَكَ .. وَى .. وَكَأَنَّكَ
لَا تَسْمَعُ !!

وَلَكِنْ أَرْفِيُوسُ يَثْبِتُ غَيْرَ هِيََابٍ ، وَيَتَنَاوَلُ قِيْشَارْتَهُ غَيْرَ
وَجَلٍ ، ثُمَّ يَغْزِفُ لَحْنًا مِنْ أَلْحَانِهِ الْبَاكِیَةِ فَيَزَلْزِلُ بِهِ أَرْكَانَ
شَارُونِ !

شَارُونُ ! هَذَا الْفِظُ ، غَلِيظُ الْقَلْبِ ، أَقْسَى حِرَاسِ
جَهَنَّمَ ، يَذُوبُ رَقَّةً وَيَمْتَلِئُ حَنَانًا وَرَحْمَةً لَمَّا رَأَى وَمَا سَمِعَ ،
فَيَهْرُولُ إِلَى أَرْفِيُوسُ مُسْتَمِيعًا مُعْتَسِدًا عَمَّا بَدَرَ مِنْهُ مِنْ
سُوءِ الْلِقَاءِ ، وَعِبَارَاتِ الْبَدَاءِ ، وَيَسْأَلُهُ فِي لَيْنٍ وَرَفَقٍ عَنْ
حَاجَتِهِ فَيَجِيبُ : « لَا شَيْءَ إِلَّا لِقَاءَ بِلُوتُو ! »

فَيَسْأَلُهُ شَارُونُ : « وَكَيْفَ ، وَهَذَا بِدَنِّكَ لَا يَحْتَمِلُ زَفِيرَ
الْجَحِيمِ ؟ »

فَيَجِيبُ أَرْفِيُوسُ : « لَا عَلَيْكَ مَا دَامَتْ هَذِهِ - وَيَشِيرُ
إِلَى الْقِيْشَارَةِ - بِيَمِينِي »

فَيَقُولُ شَارُونُ : « يَا صَاحِبِي أَنْتَ لَا تَعْرِفُ هَوْلَ مَا تُرِيدُ
أَنْ تَقْتَحِمَ ، وَأَنْتَ مُخْلِصٌ لَكَ أَمِينٌ ، إِنَّكَ غَضُّ الْإِهَابِ ،
مُوفُورُ الشَّبَابِ ، وَإِنْ جَهَنَّمَ لَا تَبْقَى وَلَا تَذُرُ ، وَإِنَّهَا أَبَدًا
تُرْمَى بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ، وَأَنْتَ أَمْحَضُكَ نَصْحًا عَلِمْتَنِي
مُوسِيقَاكَ كَيْفَ أَمْحَضُكَ آيَاهُ ، وَأَسْتَنْقِذُكَ مِنْ عَذَابِ مُقِيمٍ
.. أَلَا فَلْتَفَكِّرْ فِيمَا أَنْتَ مُقَدِّمٌ عَلَيْهِ ، فَإِنْ مِنْ دُونِهِ مَهَالِكُ ،
وَأَنْ مِنْ دُونِهِ أَنْكَالٌ وَأَهْوَالٌ .. »

وَتَبْسُمُ أَرْفِيُوسُ بِسَمَةِ حَزِينَةٍ ، كَانَتْ رَدَا صَامِتًا عَلَيَّ

ما حذر شارون ، ثم أعد قيثارته وانطلق يتغنى أغنياته
وما يكاد يفرغ من هذه الزفرة الحارة ، حتى تتحدر
الدموع من عيني شارون ، ويتقدم اليه معتذرا ، فيحمله في
الزورق ، ويجوس به عياب ستيكس ، وما يكاد يفعل
حتى يرى أرفيوس الى تغيظ الموج وتلاطمه ، فيسأل
شارون عما يهيج النهر برغم سكون الريح ، فيقول :
انك ، وأنت من أنت ، من فوقه ، سبب هياجه واصطخابه ،
ولو خلى بينك وبينه لما أنجاك منه شيء حتى تكون في
أعماقه !! « ولكن أرفيوس يبتسم ابتسامته الحزينة ،
ويتناول قيثارته فيوقع إحدى أناته المشجعية ، فيهدأ
ستيكس الصاخب ، وتصفو صفحته بين دهشة شارون
وشدة تعجبه ! ..

وتطول الرحلة ، ويعبران (أشيرون) نهر العدم ،
و (ليث) نهر النسيان ، و (كوكيتوس) نهر الآلام ،
و (فليجتون) نهر الحمم واللب ، ويصلان آخر الأمر الى
(هيدز) - دار الموتى - ومملكة بلوتو ، بعد عقبات
وأهوال تغلبت عليها جميعا قيثاره أرفيوس ، بألحانها
الرقيقة ، وأنغامها الباكية ..

وتبدأ من هذا الشاطئ الأخير رحلة شاقة في ظلام
دامس وحلك شديد ، في مسالك ملتوية ، وشعاب متداخلة ،
لا تجدى معها موسيقى أرفيوس فتिला ، وهنا يبدو له أن
يقصر هذا السفر الطويل بالسؤال عن يوريديس ، كيف
حملها شارون في زورقه ، وكيف عبر بها هذه الفجاج
الى المقر الأخير ، وهل كانت تبكى ؟ أم كانت راضية
بالقضاء الذي فصلها من أحب القلوب ، وأقصاها عن أعز
الناس ؟ وهل حدثته عن الشاب أرفيوس ؟ أم كانت في
شغل عن كل شيء بما هي فيه ؟ وهل كل روح من أرواح

الموتى، تستغرق كل هذا الزمن فى عبور أنهار هيدز
وفيافيها ؟ وهل تأملت يوريديس حين كانت تعبرها ؟
وكان شارون يجيب عن هذه الاسئلة المتتابعة اجابة
مستفيضة حتى وصلا الى بوابة كبيرة الحجم تصل الى
قصر بلوتو ، ولكن كلبا ضاريا بآدى النواجذ بارزالانياب
كان رايبضا عندها ، فلما لمح أرفيوس ، وهو من غير
الاموات هاج وماج ، وتوثب يريد البطش بهذا الالاجىء
الممنوع . . . !

وتنبه أرفيوس ، فحرك أوتار القيثارة ، وتغنى على
أوتارها ألحانه وآلامه ، فتأب الكلب وهدا ، وبعد أن
أقعى قليلا ، تقدم الى الضيف الحبيب يلحس قدميه ،
ويتمسح به ، ويا للموسيقى !

ثم هذا عرش بلوتو ، والى جانبه زوجته ربة الربيع ،
برسيفون (١) كسيرة القلب مهیضة الجناح ، تعسـلو
أساريرها عبوسة قاتمة ، وتجشم على قلبها لوعة دائمة ،
يا لبرسيفون ! ويا لهذا المنفى السحيق !

ولشد ما دهش بلوتو حين بصر بهذا المخلوق الذى
استطاع أن ينفذ الى هيدز ، وفيه رمق من حياة !!

وقبل أن ينبس بلوتو ، جثا أرفيوس لدى قاعد
العرش ، وطبع على الارض قبلة كايا احترام ووقار ، ثم
تناول قيثارته ، وطفق يتغنى قصته المشجية ، يرسلها
خلل أنغامه الحزينة ، وملء ألحانه اليتيمة . . حتى أتمها
وكانت الموسيقى الممزجة بالغناء الحلو والشعر
السامى ، قد تغلغلت فى السويداء من قلبى الزوجين ،

(١) برسيفون ، أو پروزرين كما يسميها الرومان ، هى ربة الربيع
التي اختطفها بلوتو لتؤنسه فى وحشته فى هيدز ، بعد اذ رفضت جميع
الربات مقاسمته ملكه

وكانت الرنات ، الممتزجة بالانات ، والهديل ليس مثله
هديل ، قد أحدث أثره في نفسيهما ، حتى أن دمعسة
مترققة شوهدت تنسكب على نخذ برسيفون !

وفي الحق ، لقد هاجت قصة يوريديس شجون
برسيفون ، لما لاحظت فيها من الوشائج بينها وبين قصة
حياتها التعسة ، في هذا الملك البغيض !

وانزعج بلوتو لمجرد وسواس ليج في صدره ، لما شاهد
من تأثير زوجته ، وانسكاب هذه العبرة الحزينة على خدها
الشاحب ، حتى لقد خيل اليه أن شـسـياطين الحب قد
قفزت من فم أرفيوس الخبيث ، ومن موسيقاه الشاجنة ،
الى قلبها الغض الصغير !

وقال بلوتو: «انهض أيها الشاب » فوحق أورينوس (١)
لقد كدت تكون من الهالكين ، لولا قصتك الباكية ،
وموسيقاك المبللة بالدموع . والآن ، ماذا جاء بك الى هنا ؟
وما الذي تطلب أن ينتهى اليك من احسان بلوتو ؟ »

فركع أرفيوس ركعة التذلل والضراعة ، ثم قال :
« مولاي ! يوريديس يا مولاي ؟ تأمر فتعود أدراجها معي
الى الحياة الدنيا ! »

فأجاب بلوتو : « طلبت المحال أيها العبد ، ولكن بلوتو
الكريم ، لن يرد رجية بائس مثلك . . . لك ما سألت ،
وستعود يوريديس معك ، ولكن على شريطة واحدة ، ألا
تراها حتى تخرج من هيدز . انها ستتبعك ، فلا تلتفت
وراءك أو تغادر دار الموتى ! »

وركع أرفيوس ركعة الشكر ، ثم قال : « سأنفذ مشيئة
مولاي »

وأمر بلوتو فأحضرت روح يوريديس ، وبدأت الرحلة

(١) أورينوس هي السماء ، أبو الالهة ، في الميثولوجيا

الى الدار الاولى يدلجان ، فى ظلمات بعضها فوق بعض ،
والحبيبان يدلجان خبيا

وكان قلب أرفيوس يذب ٠٠ ويدق

وانهما ليكادان يبلغان العدو الاخرة من نهر ستيكس،
حتى يوجس أرفيوس خيفة ، ويظن - ويا شر ما يظن -
أن يوريديس قد ضلت سبيلها من ورائه ، فينسى شرط
بلوتو ، ويلتفت فجأة خلفه ، ليرى أنها ما تنفك تتبعه .
ولكن يا للهول ! لقد رأى يوريديس بأسطة ذراعيها اليه ،
كمن يتلمس طريقه فى الظلام ، وحين تراه يلتفت اليها ،
فيخل بالشرط الذى عاهد ربها عليه ، تنثنى من لدنه
راجعة أدراجها الى هيدز ٠٠٠ متمتعة فى صوت ضعيف
خافت : « وداعا يا أرفيوس » ! يا حبيبى أرفيوس ٠٠
وداعا ٠٠٠ » . فيصرخ المسكين صرخة يكون معها فى هذه
الحياة الدنيا ، حياة الشقاء والآلام !

ويظل على شاطئ ستيكس سبعة أيام مفجعا محزونا
٠٠ يحاول عبثا ان يعود الى هيدز ٠٠ ولكن ٠٠ هيهات !
ويدخل الدنيا محطما القلب ، خفق الاحشاء ، موهون
القوى . . . لا يطيب له عيش ، ولا يسبح لذة من لذائدها ،
ويتخذ مأواه فى شعاب جبل تزمزم الرياح فى جنباته ،
وتزمجر الوحوش فى غيراته ، وتدوى البواشق فى قننه ،
ويكون كل أولئك خير صحابه ، ويا ما أعز الرفاق !



وتلقاه نسوة ممن اعتدن التخلف اليه فى أيامه المواضى ،
فيحتلن عليه ليعزف لهن من الحانه ، ولكنه يعزف عنهن
ويشيع ، ثم يفر منهن ، فيقتفين أثره ، فيمعن فى الفرار ،
فيتضايقن ، ويصمينه بسهامهن ، ثم يرجمنه بالحصى
المسومة ، والحجارة الثقالة ، حتى يموت !

ويسمعه . اذ هو يجود بروحه يقول : « يوريديس . . .
يوريديس ! »

فتردد الاصداء نداءه الحزين : « يوريديس . .
يوريديس ! »

ولا تزال الأشجار والأطياف تهتف الى اليوم هتاف
موسيقارها المغيبون المحزون : « يوريديس . . يوريديس ! »

وانطلقت روحه البريئة تعبر بدورها ستيكس ،
وأشيرون ، وليث وكوكيتوس ، وفليجتون فيتلقاه
شارون الجبار باسمها هاشا محينا . . . ويجلسان معا في
الزورق ، يقصان ذكريات الماضي . . . القريب ! ويتلقاه
الكلب عند البوابة ، فيهرول اليه ، ويتمسح به ، وقاء
وذكرى !

ويتلقاه بلوتو كذلك ، فيهنئه بالعود . . . اذ كان العود
أحمد ! !

أما يوريديس . . . !

فلشد ما يكون فرحها بعودة حبيبها !

مأساة أم



رأها زيوس تقطف الزهر وتتيه في حدائق السوسن ،
وتنشد مع البلابل الحان الشباب ، فتنصت الطبيعة
وتتفتح آذان الورد ، وتحملق أحداق النرجس ترى الى
كليستو الرقيقة رقة النسيم ، الحلوة كأنها حلم جميل
في أجفان عاشق ، الموسيقى التي يستطيل نغمها حتى
يبلغ السماء ، ويتسع حتى يغمر الكون ، فيشوى بكل أذن ،
ويستقر في كل قلب ، ويخفق مع نبضات المحبين ،
وينسكب ذوبا من دموع المذنبين المعذبين !
رأها زيوس فجن بها ! وبالرغم مما اعطى على نفسه
من موثيق لزوج حيرا الا يصبو الى انثى غير أزواجه
اللائى كن الى هذه اللحظة ستا أو أكثر من ست ، فقد
ذهب يقتفى اثر كليستو ، ويرهف سمعه ليملأ بموسيقاها
قلبه ..

كانت تمشي بين صفين من أعواد الزنبق ، تنمقهما ورود
ورياحين ، وكانت تنثنى وتميس ، فيهتز البروض وينثنى
الزهر ، وكلما ترنمت بأغنية من أغنياتها الساحرة ، رددت
الازهار والاطيار ما تغنت ، كأن كل شيء في تلك الطبيعة
الرائعة الفنانة عضو في فرقة كليستو الموسيقية

وجلست تتفياً ظل خوذة وارفة كانت تداعبها فتساقط
عليها من ثمرها الجنى ، ورطبها الشهى ، فتتذوقه كليستو
وهى تبتسم

وأسكر النسيم الخمرى عينيها السساجيتين ،
فاستسلمت للكرى الطارىء ، والغفوة العارضة ، وتمددت
على البساط السندسى ليحسر الهواء عن ساقبيها ، ولتكون
فتنة يضل في تيهها قلب زيوس ، وتضرب في يديها نفسه
... على غير هدى !! ..

وبدا للاله الاكبر ان يرتد فتى موفور الشسباب ريان
الاهاب ، ثم يسوق آلهة الاحلام فترقص في أجفان كليستو ،
تبهرج لها من الرؤى ما يشب في نفسها رغائب الهوى
ولذائد الحب ، ويشير فيها حرارة الحياة
ونام الخبيث الى جانبها ، وطفق يروح على وجهها ثم
نشر ذراعه على جيدها الناهد ، وراح يضغط قليلا ...
قليلا ..

ولقد فعلت الاحلام الحلوة فعلها في قلب كليستو ، فلما
استيقظت ، ووجدت نفسها في حضن هذا الشباب اليافع
الجميل ، لم تنفر ، بل خجلت خجلة زادتها جمالا ،
وضاعفت سحرها ، وفتونها ، وفترت أهدابها فاسترخت ،
وفنيت في حبيبها المفاجيء .. وفنى هو الآخر فيهنسا



وجاءها المخاض !

ووضعت غلاما أحلى من القبله الحساره على الثغبر
الحبيب ، وأعذب من ابتسامه الزهرة ظلها الندى
فلما زارها زيوس وبشرت به ، اهتز الآله الاكبر وشاعت
الكبرياء في اعطافه ، فباركه ، وطبع على جبينه الوضاح .
قبله أولمبية خالدة ، ثم زف الى كليستو تلك البشرى

التي ظل يخفيها عنها طوال حبه لها ، وذلك حينما أشار
الى ابنه بيمينه البيضاء هاتفا :

— « بورك يا أركس ! يا أجمل اطفال الاولب ! »

وقد اضطربت الام الصغيرة حين سمعت هذا الدعاء
ونظرت الى حبيبها كأنها تستريب ، وقالت له :

— « أجمل اطفال الاولب ؟ اذن من انت ايها الحبيب ؟ »

— « براك يا كليستو ! فأنا ربك وزوجك وحبيبك
زيوس ! »

ولم يسمع كليستو الا ان تسجد لربها وهي ترتعد
من الخوف ، فقال لها :

— « انهض ! انهض ! ماذا تصنعين يا حبيبة ؟ انهض
فقد رسمت ابنا أركس لها ، فاكفليه حتى يشب ، وإياك
ان تراكما حيرا فتسحقكما .. »

وقبل الغلام وقبل الام .. وغاب في الافق ..



وكانت كليستو أحرص على فتاها من أن تدعه وحده
لحظة واحدة ، فاذا خرجت للصيد في الغابات القريبة ،
أقامت عليه حارسين من كلابها الكواسر ، يكفي أحدهما
لتنشيت شمال جيش بأكمله .. وكانت تحمل اليه
اثمار اللوز والبندق كلما عادت من الغابة ، حتى اذا اشتد
ساعده ، علمته الرماية والعباء الفروسية ، مستعينة في ذلك
بالسنتور العظيم ، شيرون ، مؤدب هرقل ومدربه

وذاعت الانبياء في دولة الاولب ، أن ازيوس خليفة
يختلف اليها في الفينة بعد الفينة ، وأنه أولدها طفلا
بارع الحسن ، وسيما قسيما ، يكاد يكون في مستقبله
هرقلا آخر ، يضارع هذا الهرقل الهائل ، ابن الكمين الذي
كان يدوخ أبطال العالم في ذلك الوقت ..

وقد مادت الأرض بحيرا حين علمت هذه الانباء ، لأنها
كانت تغار من أزواج زيوس ، وتخشى أن تلد احداً من
بطلان يكتشف شمس ولديها مارس وفلكان . وكانت الحرب
بينها وبين هرقل على أشدها ، فكم نشرت في طريقه
شوكا ، وكم فجرت تحت قدميه ينابيع من نار . أفلا
يحزنها إذن أن يبرز لها خصم آخر يغطش حياتها ،
ويراوحها بالاشجان والآلام !!

وكانت كليستو تصدح في أصيل يوم من أيام الربيع ،
فتستجيب لها الغابة ، ويردد غناءها الطير ، ويمشي
في أثرها الدوح ، وتهتز الأرض والسما ، وكانت حيرا
قد عرفت أوصافها من شيوخ ، مدرب فتاها أركس فلما
سمعتها تغنى ، ويمشي وراءها العالم بأسره ، عرفت
انها هي !!

وكاد قلب حيرا يصبو إلى كليستو ، مسحورا بروعة
الغناء ، مأخوذاً بترجيع البلابل . . حتى لكانت تغال
الورد نفسه يغنى معها !! وكادت بذلك تنسى غيظها ، بل
كادت تنخرط في هذا الحشد الموسيقي الذي يصفر
لكليستو ويستجيب لآحانها ! ولكن ! . .

لقد ذكرت ابنها مارس وفلكان ، وذكرت كيف صرعهما
هرقل في حفل الاولمب ، حتى لكانا ضحكة كل راء ،
فتنسيبت الغناء وأصمت أذنيها ، وغرقت من ماء قريب
بيديها غرفة جعلت تتمم عليها بتعاويد سحرية ، ورقى
غيبية ، ثم صاحت بالفتاة فسمرت مكانها دهشة
مأخوذة ، فنشرت حيرا في وجهها الماء وهي تقول : «شاهت
دبة ! شاهت دبة ! » . . وأسفاه . .

أفد احسبت كليستو في ذراعيها العاجيتين بخدر شديد
ثم نظرت فرأت شعرا خشنا ينمو بسرعة فيغطي جسمها

البض الجميل كله !
وأحسست أظافر طويلة غليظة تنبت فى أطراف أصابعها ،
ومخالب مربعة تبرز من اصابع رجليها المعبودتين !

وشعرت بوجهها الوضاء المشرق يتغير ويتحول ، ثم
يتغير ويتحول حتى ركب فيه أنف كبير أسود ، وفم
مغبر فى منتهى القبيح ، يسيل على جنباته لعاب ثمائه كريه!
وخيل لها ان ذنبا ينبت وراعها ، فتحسسته فأيقنت انه
ذيل خبيث .. ما فى ذلك ريب !

وفزعت كليستو ، فأرادت ان تصيح تستنصر الغابة ،
ولكن .. يا للهول ! لقد راحت تصرخ كما تصرخ
الحيوانات ، وتعوى كما تعوى الذئاب !!

وانخلع قلب الفتاة فحاولت أن تغادر هذا المكان
الساحر ، ولكنها لم تستطع ان تنهض على قدمين ، بل
انطلقت تعدو على اربع كأنها بهيمة من بهائم الارض !

وأصابتها حيرا بظما كاد يصهر حلقها ، فذهبت الى
غدير ترتوى ، ولما انحنت ترشف الماء رأت صـورتها
المفرعة تتقلب فى صفحته ، وأنها لم تعد كليستو الحسناء
بعد ، بل انها قد انسحرت فصارت دبة قبيحة قذرة
ذات أنف طويل أسود ، وعينين رجراجتين قدحان الشرر
وانطلقت فى الغابة تعدو وتعدو ، وتتوارى بين الاشجار
حتى لا يراها أحد ، وكانت الحيوانات - حتى ضواريها -
تفرع منها كلما مريت بها ، وهكذا شاعت المقادير الظالمة
الا يكون لها صديق حتى من سباع الغابة الموحشة ،
التي كانت قبل لحظات ترقص بين يديها .. وتنشد
وتغنى !!

وضربت فى القفار والفلوات ، مؤثرة الا تعود الى ابنها
الحبيب أركس فتفرعه ، وكانت تختلف الى الغابة ، فاذا

مر بها بعض اصدقائها القدماء عرفتهم ثم تتواري عنهم ،
وفى نفسها هموم وحسرات ..
خمس عشرة سنة !!

خمس عشرة سنة قضتها كليستو التاعسة فى هذا
الشقاء الطويل ، لا تمر بها هنية دون أن تفكر فى ابنها
وتبكي .. وتفكر فى آمالها .. وتبكي ، وتفكر فى ذكريات
شبابها .. وتبكي ، وتذكر الموسيقى والغناء .. وتبكي !!
وأشبهت قلبها شوقا الى أركس ، فجلست الى أليكة
حزينة تتناجى :

« ترى ! ماذا تصنع الان يابنى ؟ ألا تزال تنهل كأس
هذه الحياة المرة ؟ أم أنت قد طواك الردى ونسيك كبير
الاولمب ؟ هل أنت مريض يا أركس ؟ هل فى جنبك جرح
يتفجر دما لبعد أمك عنك ، كهذا الجرح الذى تنزف منه
نفسى ، وتنسكب حياتى ؟ وهل اذا أصابك ضر ، فأنت
واجد قلبا يحنو عليك ويترفق بك .. ويرعاك ؟ ومن هو
صاحب هذا القلب الرفيق ياترى ؟ أى بنى ! . ياولدى !!
ياحبة القلب يا أركس !! »

وتبكي البائسة بكاء يذيب الصخر ، ويحرق فحمة
الليل ، ويزلزل أركان الكهف المظلم الذى تعودت قضاء
ليالها فيه ..

أما أركس فكان هو الآخر يبكى أمه ، حتى استطاع
مؤذبه شيرون أن يفل بنصائحته غرب حزنه ، ويطفىء
بمواظفه نار أساه ، فنسى ، أو تسلى .. أو تناسى ..
واشتد ساعده ، وثقف الرماية حتى ما يطيش له سهم ،
ولا تخيب له رمية ، وأحبه شيرون من سويدائه ، ولازمه
طويلا ، حتى كانت حرب السنطور فودعه ، وعاش الفتى

وحيدا . . يحيا حياة هى بحياة أمه فى شبابها الاول أشبه ،
يختلف الى الغابة يصيد منها الثعالب ، والى البرية يرمى
فيها الوعول ، ويعود مع الغروب مثقلا بالصيد

وفيما هو يرتاد الغابة فى ضحى يوم شديد القيظ ، اذا
أمه المسكينة تلمحه فجأة ، وتعرف فيه ابنها ، وأعز الناس
عليها ! . . فتذهل عن نفسها وتقف مشدوهة باهتة لاتنبس
ولا تحير !

فهل عرفت هذه التماثيل المرمية التى تقف صامتة
كاللغاز فى المتاحف ودور الآثار ؟ لقد كانت كليستو أشد
منها تحجرا عندما شاهدت ابنها بعد هذه السنين الطوال !

ولقد خشيت أن تزعجه بوجودها ، لان الصيادين
لا يرهبون من ضواري الغاب شيئا كما يرهبون الدباب ،
فحاولت أن تختبئ وراء شجرة أو نخسوها ، ولكن . .
هيهات !! فلقد عجزت عن الحركة المجردة لما تولاه من
الحيرة والارتباك !

والتفت أركس ففرع أيما فزع لوجود دبة متوحشة
كبيرة الجرم على مقربة منه ، وهو غير متهيئ للرمية ،
فارتبك لحظة ، ثم تناول قوسه بيد مرتجفة ، وأصابع
مرتعشة . . ولكنه ، ويا للعجب ! أحس ببريق غريب
ينبعث من عيني الدبة ، وشعر بحنان وعطف يتحركان
فى صميمه من أجلها ، وحاول أن يتعرف مصدر هذا
الحنان فلم يستطع ، وضاعف دهشته أن الدبة سمرت
مكانها دون ما حراك ، وان دموعا حارة أخذت تنسكب
بفزاراة من عينيها اللتين جعلتا ترنوان إليه ، وما تريمان
عنه !!

وكم كانت كليستو تتمنى لو تقدر على الكلام فتقص
حكايتها على ابنها ، بيد أنها خافت أن تضاعف انزعاجه
بصراخها الحيوانى المخيف . . فصمت . . وتكلمت

عبراتها ! .. ثم ..

سدد أركس سهمه الى رأس أمه ، وكاد السهم المميت يمرق فيودى بحياة أعز الامهات .. لولا أن زيوس .. الاله الذى طال رقاذه ! . كان يسمع فى تلك الاونة ويرى ، ولولا أن تحركت فى قلبه الرحمة هذه المرة ، فلم يبال التدخل فى سحر زوجته - حيرا الخبيثة - فأطلق لسان كليستو ، وصاحت فجأة :

« أركس .. ابنى العزيز .. انا هى .. انا هى أمك .. »
وسقطت القوس من يد أركس .. وكانت مفاجأة مشجية ! وظل الفتى يرمق الدبة عن كذب وهو لا يصدق ! وقال لها :

- « ماذا تقولين ؟ أدبة تتكلم ؟ أم من ؟ .. من أنت ؟ »
- « انا هى يابنى .. أنا كليستو أمك البائسة .. فعلت بى حيرا ما ترى .. خمسة عشر عاما يا أركس وانا أتعذب وأبكى من أجلك فى هذه الغابة المتوحشة ! .. »
ولم ينبس أركس ببنت شفة ، بل تقدم مهدما من الهم ، فعانق أمه .. ووقفا لحظة يبكيان !

ثم تدفق حنان السماء ، وامطرت رحمة الالهة ، وأمر زيوس فحملا الى الاولب .. أركس وأمه ، ومن ثم أطلقهما رب الارباب فى السماء الخالدة ليكونا برجين من أبراجها ، لا نزال نراها الى اليوم ، ولا نزال نحتفظ لهما بعنوان المأساة المؤلمة اذ نسمى الام « الدب الاكبر » ونسمى الابن ، أركس الحبيب « الدب الاصفر » .. ولا نزال حيرا القاسية تنظر اليهما وتتميز من الغيظ (١)

(١) أورد الاستاذ جريس هـ . كيفر فى كتابه الجميل عن اساطير اليونان زيادة فى اخر هذه الاسطورة لم يأت بها غيره ، بل لم يشر اليها أحد من مؤرخى الاساطير . والزيادة - اذا صدق حدسنا - هى من ابتكار الاستاذ ، ولذا لم نر أن تكمل بها قصتنا

يوم قيامة وطيش فيستوت



عاد الفتى الساذج فيتون الى أمه الحسناء الهيفاء
كليمين ، بعينين مفروقتين ، ونفس مكلومة ، وفؤاد
خافق متصدع ، فجرى بينهما هذا الحديث :

— مالك يا حبيبي ! لماذا تبكى ؟

— .. ؟ ..

— لا . لا . . . فيتون يبكى ؟ هذا عجيب ! أياكون أبوك
أبوللو وتبكي ؟ !

— أبوللو أبي ؟ كذب ، كذب ؟

— كذب ؟ وكيف يافيتون ! أمك كذابة ؟

— لا . لا ، عفوا يا أماء ! انت لا تكذبين ، ولكن ربما
يكون كلامك سخرية بي !

— ولم أسخر بك يا بني ؟

— الاولاد في المدرسة يغمزونني في أبي ، وكلما حلفت لهم
ان أبي أبوللو ضحكوا !

— دعهم يضحكوا يافيتون . ماذا يضرك ؟

— يضيرني انني لم يعد لي وجه أريق ماء بينهم ، لا بد
اذا كان أبوللو أبي ان القاه

— تلقى أبوللو ؟

— ولم لا ؟ أليس كل الابناء يلقون آباءهم ؟ فلم لا ألقى
أبى ؟ أنا بدع من الناس ؟

— لست بدعا ، ولكن أبوللو فى بلاد بعيدة .. انه فى
الهند !

— ولم لا أذهب الى الهند لارى أبى ؟ صفى لى الطريق
بحق الآلهة عليك يا أماه

— اذهب الى الأرض التى تشرق من أفقها ذكاء ، فهناك
ترى أباك

وذهب الى الهند التى تقع فى مشرق الشمس مباشرة ،
وكان عند شاطئ المحيط قصر باذخ منيف ، لا يبلغ البصر
مداه ، ولا يدرك الطرف أوله ولا آخره .. وكان مع ذاك
قائما على عماد رفيعة من ذهب ركبت فيها ماسات كبيرة
ذات سناء وذات ألواء . وكان سقفه العظيم المطعم بالعاج
المصقول يلمع ، ويكاد سناه يذهب بالابصار ، أما أبوابه
فصيفت من الفضة الخالصة ونقشت فيها أبهى الرسوم ،
وافتن فلكان فصور فوق الجدران بالرسم البارز الأرض
والبحر والسماء بما فيها من قطان ، فأقام فى الأرض غابها
وأدغالها ومدنها وأنهارها وجبالها ووديانها .. حتى
آلهتها . وأبرز فى البحر عرائسه المائسات الفاتئات ، فجعل
منهن سابحات يتواثبن فوق الموج ، وجالسبات على النوى
يمشطن شعورهن الداكنة التى تحسكى خضرة البحر ،
وراكبات على ظهور السمك وحيوان الماء يتلاعبن
ويتضاحكن .. وجعلهن ذوات صور متشابهات وغير
متشابهات ، دليلا على حذقه وجليل قدرته ، وجعل
فوق هذا كله صورة السماء بكل بروجها الاثنى عشر ،
بحيث جعل منها ستة الى اليمين ، ومثلها الى اليسار ..
خلق فلكان ، ومن أحسن من فلكان خلقا (١) !

(١) ليدكر القارئ ان القصة اسطورة

وهكذا كان قصر الشمس آية من آيات ألفن عجبا ، ومع
هذه الابهة البالغة والعظمة الاخاذة ، فقد تقدم فيتسون
غير هياب ، ودخل في غير وجل ، وكان يلمح اللمحة من
الرسوم الجميلة والتصاوير الساحرة ، ثم يسلك سبيله
قدما حتى كان في البهو الاعظم الذي يستوى في صدره
أبوه ، على عرش ممرد ناصع ، تنعكس منه أضواء لامعة
خاطفة ، تبهر الانظار ، وتخشى الابصار . وسار الفتى
مسافة قليلة ، ثم وقف مكانه عشيا من شدة الخطف
والايماض ، ولم يدر ايان يذهب ، وكان أبوه متشجعا بوشاح
فضفاض أرجواني ، وعن يمينه وعن يساره وقفت الايام
والشهور والسنون ، ثم الساعات في صفوف منظومة
متلاحقة ، ثم وقف الربيع - وتمثله هنا امرأة - وفوق
رأسه اكليل جميل من الغار والزهر ، ومن بعده وقف
الصيف ، وقد نضا جيب قميصه عن صدره ، وقبض على
حزمة من سنابل القمح الناضجة بيمينه ، ثم هم الخريف
متهاكما على نفسه ، وعلى قدميه اثارات من عصير العنب .
اما الشتاء ، فقد بدأ شيخا وقورا جلل الشيب رأسه ،
وتراكم الثلج والبرد على شعره الناصع
وقد لمح ابوللو ولده فيتون حيث سمر مكانه ، وقد
خطفت الاضواء بصره ، وأخذته المنظر العجب الذي سحره
عن نفسه ، فيهتف به ويباركه ويقول :
- فيتون ! فيم قدمت يا بنى ! لأمر ذى بال ، ليس من
ذاك بد ؟

- أوه ! يانور السموات والارض يا فوبوس (أ) ! يا أبى
ان أذنت لى أن أتاديك بهذا النداء ! ان كنت حقا ابنك
فزودنى ببرهان أقدمه للناس حين أقول انى انا ابن ابوللو
- برهان ؟

(أ) أحد أسماء أبوللو

— أجل ، هب لى من لدنك برهانا يثبت أبوتك لى ،
فلقد استهزا بى التلاميذ ، ففضحونى فى بنوتى لك لأبد
من دليل ، هل تسمع ؟ لأبد من دليل !

— لا عليك يا بنى ! لك ما أردت .. على أنه كان ينبغى
أن تصدق كل ما قالت لك أمك ، وأنا من جهتى لست
أتركك ، فأنت ابنى . وأنا والدك ، والان سل ما شئت فانى
مانحك ايا ماتريد

— صحيح يا أبى ؟

— أولا تصدق ما أقول ؟

— بلى ، ولكن ليطمئن قلبى !

— صحيح يا بنى ، وأقسم لك بهذه البحيرة المقدسة التى
يحلف بها الآلهة !
فيتلفت فيتون حوله ليرى البحيرة ، ولكنه لا يجد لها
أثرا ..

— وأين هى تلك البحيرة يا ابتاه !

— ولد ظريف يا فيتون ! أنا ما رأيتها قط ، ولكننا نحلف
بها فى كل أمر جلل يا بنى !

— اذن هب لى ان أسوق محفة الشمس يوما واحدا
بدلا منك

— وى ! فيتون ! أى طلب هذا ؟

— لأبد !

— محال يا ولدى ! انت حدث ، ثم أنت بشرى من بنى
الموتى ! سل ملء الارض ذهباً أمنحك ماتريد ! أما هذا ،
فلا !

— كلا ، كلا .. لأبد ان أسوق محفة الشمس من المشرق
الى المغرب ليرانى سفهاء التلاميذ ، وليتأكدوا اننى ابن
أبوللو ! !

— انها ستحرقك وتحرق التلاميذ اخوانك قبل ان

يروك !

— لا . . لن تحرقنى ، أنت قادر على أن تجعلنى أحتمل كل شيء ! . . ألسنت الها ؟ . .

— بلى ، ولكن . .

— لكن ماذا ؟ لا بد ، لا بد ، محال أن أسألك شيئاً آخر !

— يا بنى ، ان هذا ليس فى طوقك ، انك ضعيف صغير ،

والعمل الذى تطلب أن تتولاه شاق حتى على الالهة ، انى

أقوم به والرعب يملأ قلبى ، وانا ، من انا يافيتون . . ان

سيد الاولمب نفسه ، الاله الاكبر زيوس ، جل سناؤه ،

وتقدست أسماؤه ، لا يستطيع أن يسوق عربتى الملهبة

ذات اللظى يوما او بعض يوم ، فما بالك أنت ؟ ان الثلث

الاول من الطريق صعب المرتقى لانه يميل قليلا قليلا عن

خط العمود ، وخيلى ترقى مزالفه (١) فى صعوبة ليس

بعدها صعوبة ، والثلث الثانى عال شديد العلو ، لانه يرتفع

فوق قمة العالم ، حتى لاجزع انا نفسى من ان انظر الى

أسفل تقية للدوار ان يأخذ فى رأسى (٢) حين أرى الى

البحر المتمرد والبطاح الشاسعة والجبال الشم تزدلف من

تحتى ، اما الثلث الاخير ، فحدور شاق كمهاوى الجبل

اذا وقفت عليه فوق شعفته (٣) ، ولذا فهو يقتضى الحذر

وحصر البصر ، حتى ان تاتيز الواقف فى نهايته ليتلقانى ،

يرتعد من الخوف على ، والرثاء لى ، خشية أن أتردى فى

هاوية اللانهاية هذه ، ولا تنس السماء التى تجرى فوقى

لمستقر لها ، بكل ما فيها من كواكب وانجرام ، فاذا غفلت

لحظة ، او أخطأت قيادة العربة ، جرفتني فى دورتها الى

حيث لا أعلم أين تذهب او تستقر بى . ثم تدبر معى

قليلا يافيتون ، اذا انا سمحت لك بقيادة العربة ، فمماذا

يصيبك من الهلع حين تنظر الى السفلى فتسرى الارض

(١) المزالف : المراقى (٢) هذه عبارة القاموس (٣) قمته

تلف ، والسباع تهمهم في الادغال ، والناس يظنون المدن ،
والآلهة تطل من قصور الاثير ، والاشباح تسرى حواليك
كالسمادير ؟ ماذا من الروع يعتريك يا ولدى ؟ هل
تستطيع ان تكبح جماح الخيل او تملك الا يفلت العنان
منك ؟ انك ستمر بين قرني الثور امام الحوت ، وعلى
مقربة من فكي العقرب وذراعي السرطان (١) . . . يا بني !
هل تستطيع ان تقود الخيل التي تنفث اللهب من مناخرها
وأفواهها وسط هذه الدنى الدائبة ؟ اختر لنفسك يا بني
ولا تجعل الناس ان يقولوا اهلكه أبوه »

وتشبت فيتون ، وركب رأسه ، ولم يشأ أن ينكل قيد
شعرة ، فلم يسرع أبوللو إلا أن ينطلق به حيث عربية
الشمس ؟ العربية العظيمة المظومة ، المصنوعة كلها من
الذهب الخالص ، وقليل من الفضة المزركشة باللالىء
والجواهر ، وأحجار الماس التي تعكس أشعة الشمس
جميعا فتضاعف أضواءها ، وتزيد كثيرا في لائها

وتقدمت أورورا ربة الفجر ففتحت أبواب المشرق ،
ونضرت بالورد طريق أبوللو ، ثم أخذت النجوم تثب
كالحمائم قبل المغرب ، وفي أثرها نجمة الصبح فريدة كأنها
الورقاء . . .

وتلفت أبوللو الى الساعات المنتشرة عن جانبيه ، فأمرهن
أن يسرجن الخيل ، فأطعن ، وقصدن الى الاسطبل الكبير
حيث وجدن الخيل قد التهمت كفايتها من العلف المقدس ،
فوضعن في أفواهها اللحم ، وأسرجنها بكامل عدتها . . .

وتناول أبوللو وجه ولده فنضحه بطيوب الهية ، وضمخه
بدهن كريم ، ثم قطر في عينيه قطرات من ماء أولمب ، كي
يقوى الفتى على تحمل الحرارة الفائقة ، والصبر لضوء

(١) كل هذه أسماء بروج في السماء

الشمس - القوى ، ثم وضع على رأسه الصغير هالة النور
الربانية ، وأشار إليه فاستوى على العربية العظمى التى تجر
الشمس ، فتثير أقطار السموات والارض ، وقال يوصيه :

— « أى بنى ! ها انت قد استويت على عربة أيبك
التى ماقادها من قبل أحد غيره ، ولا يقدر عليها أحد
سواه ! أى بنى فاشدد اليك أعنة الخيل ، وتجنب أن
تلهبها بهذا السوط ، فهى قد مرنت على الطريق ، وهى
لا تبطئ حتى تحتاج الى ان تساط . أى بنى ولا تنحرف
عن شمالك أبدا ، وظل منتهجا سبيل الاستواء الذى
هو الدائرة الوسطى من الدوائر الخمس ، واحذر ان تعلو
الى الدائرة العليا أو ان تسفل الى الدائرة السفلى ،
وسترى آثار رحلاتى من قبل ، فسر على دربها تصل ان
شاء الله . أى بنى ولا ترتق معارج السموات فتصيب
مساكن الآلهة ، ولا تهو قريبا من الارض فتجعل كل ما فيها
هشيما جرزا ، بل خذ الطريق الوسطى أبدا ، فان خير
الامور أوسطها . . فاذا أفلتت الازمة من يدك ، فظل
حيث أنت ، ولا تذهب مذاهب شتى فى رحب السماء .
وسأتولى انا بعد ذلك انارة الارض والسموات . أى بنى
وما دمت قد اخترت لنفسك برغمى ، فلا أقل من أن
تعى نصيحتى والسلام عليك »

ورد فيتون على ابيه السلام . . وانطلق من أبواب
المشرق ، وطفقت الخيل الصافنات تنفث اللظى فتمسوه
السحب بالذهب ، وتسابق أنفاس التسيم التى تهب هى
الآخرى رخاء من أبواب المشرق . .

وعجبت الخيل بعد شوط قصير من هذا الحمل
الخفيف الذى لا عهد لها به ، وعجبت أكثر حين أحست

بالعربة تتأرجح خلفها كالزورق الذي ليس له صبرة (١) ،
تثبت به في مهب الاعاصير

وجمحت الخيل .. وانطلقت في غير طريقها المعهود
.. ولاول مرة ارتفعت حتى كادت تلامس الدين الاكبر
والاصغر ، فشار ثأثرهما من لفح الحر ، ولاول مرة كذلك
تحرك الشعبان المتحوي فوق نجم الشمال حين أحس
الدفع فنفت سمة الزعاف ، وفرت من طريقه الكواكب
.. ونظر فيتون تحتة ، فرأى الارض تلف كالخدروف
فربيع قلبه ، وزلزلت نفسه ، وسقطت من يديه أعنة
الخيال فجرت به في السفلى حتى اقتربت من الارض ..
ونظر وراءه .. فرأى انه لم يقطع من الثلث الاول الا
أقله ، ثم نظر أمانه فوجد أكثر الطرق وأوعره ، فزادت
حيرته ، وأسقط في يده ، وترك كل شيء للقضاء والقدر
.. وضاعف ربكته نسيانه أسماء الجياد .. وحدث ان
ارتفعت هذه فجأة ، حتى كانت قاب قوسين من فكي
العقرب ، ذلك الهولة المخيف الذي أوشك ان يبتلع
العربة بمن فيها .. وشدهت ديانا ربة القمر حين رأت
عربة أخيها تتخبط في الافاق ، وتصطدم بالكواكب ،
فتحدث الشهب ، وتحرق العوالم السماوية : « ترى
ساذا أصاب أبولو ؟ مسكين ! لابد أنه نام . على كل حال
سيستيقظ ! » ولكن العربة هبطت فجأة حتى صارت في
سماء الارض ، وحتى صارت الارض منها على مدى رمية
سهم .. فما هي الا لحظات حتى شبت الحشرات في كل
الارجاء .. هاهي ذى الغابات العظيمة تشتعل .. وها
هى ذى السن النيران ترقص في كل فج .. وهاهى ذى
الوحوش تجرى هنا وهناك ثم تسقط في كل البقاع ..

(١) الصبرة والصبرة : الحجر الذى يضعه الملاح في قعر زورقه حتى
لا يميل فيغرق ، ويسميه العوام (الصابورة)

والمدن ! المدن العامرة الآهله .. انها تحترق بمن فيها من
شيوخ ضعفاء ونساء وولدان .. اما الشباب ! فواأسفاه
على الشباب ! انهم يجرون كالجان الى البحار والمحيطات
والانهار والينابيع ! وهاهم أولاء يقذفون بأنفسهم فيها .
ولكن ! واأسفاه : ان مياه البحار والمحيطات والانهار
والينابيع تغلى وتفور ، ويعب عباها بالحمم ، فالشباب
يستجيرون فيها من الرمضاء بالنار ! لقد بادت أمم ،
واختبأت أمم فى الفيران والكهوف وشقوق الارض والجبال
.. أما الطيور فقد خربت أوكارها ووكناتها ، ولم يسلم
منها الا ملاذ بأفحوص أو أدحى (١) .. ومسكينات
عرائس البحار ! لقد شحبت ألوانهن ، وذوى جمالهن
وغصن فى الاعماق مع السمك يلتمسن الماء البارد ،
ولجأت أسراب منهن الى البحار الجنوبية ، وآثرن أن
يعاشرن البنجوين ! .. اما قمم الجبال العالية التى ظلت
منذ الازل الاول مجللة بركام الثلج ، فقد خلعت حللها
الناصعة ، وحلت عمائمها المخملية ، وصارت تلتهب ..
فهذه طوروس السماء وتلك القوقاز العاتية ، وهاتيك
الآلب المزهوة كلها تلتهب .. كلها تقذف بالحمم .. حتى
أولب مشوى الآلهة ، لقد غدا كومة عالية جدا من النار

ولقد كانت الصحراء اللويبة فراديس يانعة ولكن
فيتون المجنون حولها الى رمال وكثبان ، ولولا أن أدخل
النيل رأسه فى كثيب مهيل منها لجف مأوه ، وتبخر فى
السماء كله ، ليجرى فى كوكب آخر ! وهكذا فعل الفرات
وأخوه ، وكلما صنع الكنج والسند .. فشكرا لكل
الانهار التى ضححت بنفسها من أجل سعادة البقية
الباقية من النوع البشرى !

(١) الافحوص مش فى الارض ، والادحى بيت النعام

يا له يوم قيامة ؟ • لقد ضجعت الآلهة فى الأرض ، وكلما حاول نبتيون الجبار اله البحار أن يخرج رأسه من اليم ليجار بالشكوى الى أخيه كبير الآلهة ، خاف وذعر أن تحرقه الشمس الهوجاء التى يسوق عربتها فيتون .. ولولا أن جازفت أمنا الأرض فبسررت من المحيطات وهتفت بزيوس العظيم لاصاب من بقى العذاب الاليم .. لقد قالت له : (يا جوف العلى ! يارب الارباب ! اصنع الى ، واستجب لدعائى ! ما هذا الذى نامت عيناك عنه فذهب بزوى وضرعى ؟ أهذا جزاء خصوبتى وما تهب عبادك من حب وأب وعنب وقضب وحدائق غلب ؟ ! أهكذا تكون عاقبة اخلاصى فى مكافأة عبادك الذين يقيمون لك الهياكل ويبنون باسمك الصوامع والمعابد ؟ ماذا من القرايين يارب الارباب يذبح باسمك بعد أن يهلك كل ما على من قطعان وأسراب ورعال ؟ ثم هذه العوالم التى ما أنشأتها الا بعد عناء وجهد ؟ كيف تدع هذه الشمس الرعناء تأتى عليها جميعا ، وتصير كل شىء فى ملكك الى هيولى ؟ استيقظ يا جوف واستمع ، وأدركنا بلطفك هذه الساعة التى نحن فيها أشد مانكون فى حاجة اليك »



وهب جوف من سباته العميق على جوار ربة الأرض ، وأبصر فرأى ماحل بالعالم الجميل من تدمير ووبال .. فآلم وتصدع .. ونظر الى عربة الشمس ينتفض فوقها غلام يافع عرف فيما بعد أنه فيتون ابن أبولو فهباج وماج ، وأخذ صاعقة من أكبر صواعقه وأقتلها ، ثم أحكم تسديدها الى الراكب المجنون .. وأرسلها تقصف وتعزف .. وتهز الافلاك . فأصماه وأرداه !!

وسقط الغلام الاحيمق من علو العالم يتقلب فى نهير اريدانوس المتدفق فى سهول ايطاليا .. حيث مات ..

وأستراحت الدنيا كلها منه ! وعادت الشمس الى ربها . .
أبوللو المسكين . . فهو يجرى بها الى اليوم لمستقر لها !
أما كليمين البائسة ، فهي الى اليوم تبكى ولدها . .
وقد بكته معها أخواتها ، وكن في كل صباح يذهبن الى
النهر الذي سقط فيه فيسكنن دموعهن ، حتى رثت لهن
الالهة ، فسحرتهن الى ايكات ثلاث من شجر الحور ، فهن
حانيات على النهر منذ ذلك اليوم

وكلما سكنن دموعهن حارت الدموع الى كهرمان كريم
وحزن سيكنوس ، صديق فيتون ، على خدن صباه ،
فجمع رفاتهن ، وبنى لها قبرا من الرخام تظله الشجرات
كتب عليه : « ما أتعس الانسان اذا احتاج الى برهان على
أنه ابن فلان ! »

بلونو يخطف برسفونية

أسطورة الريح



كانت ديميتير الطيبة (١) ، ربة الخيرات ومغدقة البركات ، الرحيمة البارة ، ملونة الزهر ومنضجة الثمر ، واهبة الحقول خضرتها والبساتين نضرتها . . . كانت ديميتير الطيبة تسكن في قصر منيف يشرف على سهل انا Enna ، أروع سهول جزيرة صقلية جمالا وأعذبها وأطيبها هواء ، وكانت حين يتنفس الصبح ، تلبس تاجها اليانع الذي ضفرته من سنابل القمح ، وتتناول باقة من زهرات الخشخاش ريانة ، وتقبض بيمينها على صولجانها العتيد ، المرصع بالزبرجد ثم تستوى في عربتها المظهمة ، فتنتقل بها الصافنات الجياد تجوب أنحاء الأرض ، وتمر بكل مزرعة ، وتقف عند كل كرمة ، تهب القمح من نفحاتها فيربو من بركاتهما ويزكو ، والينع من أنفاسها فيطيب . ثم تعود اذ يجن الليل ، فتهرع اليها ابنتها الصغيرة

(١) برسفونية اليونانية هي بروزور عند الرومان ، ربة الربيع . وهي بنت ديميتير ربة القمح والخصب ، ويسمونها الرومان سيريز Cérés وكان هؤلاء يقدسونها ويقدمون لها القرابين من الخنازير خاصة في عيدها العظيم الذي كانوا يسمونه Cerealia وكانت لوائح منجلس الشيوخ الروماني تحتفظ بها عادة في معبد سيريز . وقد اشتقوا من اسمها اللفظة Cereals للحبوب

برسفونيه فرحة متهللة ، لافه ذراعيها الجميلتين حول
ساقى أمها ، كأنما تبثهما ما فى قلبها الصغير من لوعة
وغليل !

وكانت الفتاة برسفونيه - تقضى سحابة النهار ، الى
أن تؤوب أمها ، فى سرب من أترابها ، بنات الغاب الحسان
فيظللان يقطفن الزهر ، ويجمعن الرياحين ، ثم تنشب
بينهن معركة حامية من معارك الطفولة ، وملحمة صاحبة
من ملاحم الصبى ، فيتراشقن بالورد ، ويترامين بالزنبق
الفض ، ويتضاربن بأفواف السوسن . . وهن فيما بين
هذا وذاك يقرقعن بالضحك ويتبادلن النكات ، ويتفنن
الاغاريد ، فتستجيب الغابة لهن ، وتترقرق الغدران من
تحتهن ، وتهدل الاطيار من فوقهن ، وتمتلئ الدنيا حولهن
نشوة وحبورا

وكان بلوتو : اله الموتى ، ورب الدار الآخرة ، قد مل
هذا السكون المخيم فى مملكته تحت الارض : هيدر ، وسثم
هذه الاشباح التى تطيف به هنا وهناك فى الظلمات المحيطة
به ، وأزواح الموتى تشن وتتوجع فى كل مكان من ملكه
الموحش الحزين ، فأسرج عربته الضخمة ، وألهب جيادها
بسياطه القاسية ، فانطلقت تهدو به الى . . الدار الاولى .
هذه الحياة الدنيا !

خرج بلوتو يروح عن نفسه ، وينشق هذا النسيم الجلو
الذى يغمر ملكوت أخيه زيوس ، ويروى روحه الظامئة
بالتفرج على عرائس الماء وبنات الغاب ، اذ أبين جميعا أن
يشاركه ملكه الرحيب ، ورفض الزوج منه ، برغم
ما أغراهن به من اللآلىء واليواقيت

وفيما هو ينهب الارض بعربته ، اذا به يسمع فى غيضة
قريبة ، ضحكات مرنة ، وأصواتا موسيقية ، وأحاديث
كأنها دنانير من ذهب فى كف صير فى جدي ! فساقه الفضول

الى استكشاف أولئك الفيد اللائي يتضحكن هكذا ، كأنما
يترنمن بالشدو ، ويرجعن بالغناء ؟ ففرق العساليج التي
كانت تحجبهن ، فرأى البسودور البيض على الحشيش
الأخضر ، كأنهن نغمات حلوة تنطلق من أوتار أرفيوس !
وجن جنون بلوتو ! . وأقسم ليخطفن هذه الفتاة
الخدلجة المشوقة التي تدل على الجميع كأنها فينوس في
دولة الحب ، أوديانا تخطر بين أماليد ؟

« الام أظل في هذا الديجور الحالك وجدى ؟ ! وحتام
أقاسى منفاى السحيق من غير صديق أو رفيق ؟ ! وما
قيمة ملكى الشاسع ، وأنهارى الفائرة بالحمم مدمت
لا سمير لى ولا مؤنس ، الا زبانيتى وكلايى ؟ والاشارون (١)
المسخ الكئيب ؟

لقد مللت ؟ ولا بد لى من هذه الكاعب الحسناء ، والفادة
الهيفاء ؟

ان لها لفما رقيقا . . . وانها لتنشئ كالقصن ، وتخطو
كالقطاة !

يا للشديين . . !

مالهما بارزتين هكذا ؟ اتطلبان حضنا قويا كحضنى ؟
أم يملؤهما لبن الالهة ، ورحيق السموات ؟ !
يا للفخذين الملتفتين المثلثتين ! !

انهما مترعتان باللذة ، فياضتان بالاغراء والترغيب !
مالهما تنفجان شهوة هكذا ؟ !

وهاتان حماتا (٢) الساقين ! ويلى عليهما وويلي منهما ! !
انهما حماتان خبيثتان كأبرع ما تنحت يدا فنان ! انهما
تمثلتان لذادة ، وتطلقان رقى السحر في قلوب الناظرين !

(١) شارون حارس بوابة الجحيم ونوتى أنهارها

(٢) حماة الساق أو ربلتها : بطنها

كورتا تكويرا خفيفا من فوق ، وانعقد دهاء الفتنة عند
التفاف العضل ، فأفعمهما رغبة واشتهاء !!
وقدماها !!

ياللعقبين المستديرتين ، وألجنة النائمة فيهما !!
والذراعين الناعمتين !
والظهر العاجي الناصع !
والشعر الذهبي يداعبه النسيم كأنه خصلة من ظلال
الخلد !!
ويلي !

، أنا لا أرى إلا هذه الأعضاء السايية ، وأغفل عن هذه
الابتسامة التي ترف حول الفم !!
أنها أجمل من زهرة التفاح في أوائل فصل مايو ، وأرف
من بتلات أزهار اللوز في شهر إبريل !!
تلمظ يافمي ، فانك ظمىء الى قبلة تطبعها على هساتين
الشفيتين الأحمرائيتين !
وسمع إحدى الفتيات تناديه : « برسفونيه ! أنظري
هالك بنفسجة حلوة ! »
فتحدث الى نفسه :
« برسفونيه !

هذه عروس الربيع اذن ! ابنة ديميتير من أخى زيوس !
لقد كبرت وترعرت ، ونهدت ، وطأبت في جسمها البض
ثمرة الحياة !!

اغفر لي يا أبى ساترن (١) ! سامحيني يارها (٢)
سأخطفها ! سأجلسها بجسائبي على عرش هيدز

(١) تراوجت السماء (أورانوس) والأرض (جي) فأعقبت آلهة كثيرة
منها ساترن الذى أعقب بدوره الآلهة زيوس رب الأولب وبلوتو
رب الموتى وهستيا رب النار المقدسة وديمتر وحيرا الخ ومن
أشهر أبنائه يوسيدون رب البحار
(٢) رها زوجة ساترن وأخته

ستصبح مليكة دار الموتى ! ستنقشع ظلمات ملكوتى بوجهها
المشرق الجميل ..

لن أشعر بشقوة ، ولن أحس خبء فى ملكى ! انها
ستكون جوهرة التاج وفتنة العرش ، وستجد الارواح
تحت قدميها المعبودتين !!
سأترك لها ان تغفر وتثيب ، وسأدع لها مقاليد السفلى
تصنع فيه ما تشاء ! »

ثم ألهب جياده فانطلقت نحو الفتيات ، ولشدهما تفرعن
اذ لمحن وجهه الاغبر ، يتدلى عليه شعره الاشعث والظلال
المظلمة تتخيل فوق جسمه كالسمادير (١) !
ولقد كان كلبه سير بيروس ، ذو الرؤوس الثلاثة ،
يلقى الرعب فى القلوب !

وفر الحسان مذعورات ... الا برسفونيه ، فتسدد
قبض يلو تو على ذراعها الرخصة وجذبها اليه فى العربة ،
وذهب يسابق الريح ويلحق البرق ، حتى اعترضه ماء
نافورة اخذ عليه سبيله . وسرعان ما فار الماء كالتنور ،
وصار يغلى كالحميم ، حتى خشى بلو تو الجبار ان يعبره ،
وأوجس ، ان هو انثنى عن طريق آخر ، ان يضيع الوقت ،
وتفلت الفرصة ، وتروح ديميتير تفتقد ابنتها حتى
تستنقذها من يديه . فتناول صولجان الهائل ، وضرب
به الارض فرجفت وزلزلت وانشقت عن اخدود كبير
بعيد الغور ...

وكانت برسفونيه قد افيقت من هلعها ، فلما رأت
النافورة تغلى وتصطخب ، أدركت ان احدى عرائس الماء
قد عرفت من أمرها كل شيء ، وانها قد تستطيع ان تؤدى
لها خدمة فى ذلك المأزق الحرج ، فحلت (برسفونيه)

(١)- الظلال التى تتراءى فى عين كليل البصر

زنارها الحريري الأبيض ، وألقت به عند ضفاف النافورة
عسى أن يصل يوما إلى أمها عن طريق هذه العروس ، فتعلم
أين هي ، وماذا تم من أمرها

وانطلق بلوتو في ظلام الاختدود حتى وصل منه إلى
مملكته . . . هيدز ! فاستوى على عرشه مثلوج الصدر
خفاق الفؤاد !

ثم طفق يترضى برسفونيه بشتى الوسائل ، وهي
لا تزدد إلا شماسا ونفورا . . . طاف بها أرجاء مملكته
الشاسعة ، وأراها شطآن ستيكس وأششرون وليث ،
وسائر أنهار الجحيم ، ثم خاض بها وادي الأفاعي والعقارب .
ومدينة الزنابير واليعاسيب ، والدرك الأسفل من النار
حيث المنافقون والكذابون ، وحديقة الخونة والصصوص
ذات الأشجار من لظى ولهب . . . ولم يفقه المغفل أنه
كان يضاعف فزعها أضعافا مضاعفة كلما مر على منظر
جديد من ملكه البغيض !



وعادت ديميتير في المساء ، ولكن پرسفونيه لم تهرع
للقائها كمعادتها ، فحسبتها نائمة . . . بيد أنها لم تجد لها
في مخدعها ، فافتقدتها في جميع الغرفات ، ولكن عبثا
حاولت أن تقف لها على أثر ! فاضطربت نفسها بالوساوس ،
وخرجت تبحث عنها في الحديقة ، فلم تجدها كذلك !
ريعت الأم وارتعدت فرائصها ، وانطلقت تعدو وهي
تصيح كالمجنونة :

« پرسفونيه ! پرسفونيه ! أين أنت يا پرسفونيه ! »
ولكن لسان الصدى — أيخو — هو وحده الذي كان يردد
نداءها . . .

ووصلت إلى ابن أخيها هيفيستون (١) إلى النار فأغارها

(١) هوفلكان الروماني

شعلة عظيمة تنير لها ظلمات العالم ، ودياجير الليل ، عسى
أن تهتدى الى پرسفونيه

جاست خلال الغابات ، واخترقت الأودية . وفتشت
الشطوط ، ونفذت الى أعماق الكهوف ، وجالت في مهاوى
الجبال ، ورقت الى شعاف الآكام وبحثت عنها في
جميع الآفاق فلم تعثر بها !!

استعانت بالآلهة ، واستنجدت بعرائس البحار ، ولكن
جهودها ضاعت عبثا

وجلست ديميتير كاسفة الثبال ملتاعة القلب ، تعلو
جبينها عبوسة قمطير ، وتنوء بروحها آلام وأشجان . . .
وأضربت عن الطعام

وآلت لا ينضر حقل ولا يذر نبات ، ولا تثمر شجرة ،
مادامت ابنتها نائية عنها . ! فجفت السهول ، ويبست
سوق الحنطة قبل ان تؤتى أكلها ، وخرفت البساتين
دون الأشجار ، فعبثت الناس ، وضمرت بهيمة الأرض ، ونشر
الجوع ألوية الخراب في العالمين !!

وانصرف الناس يصسلون لزيوس ، ويضرعون الى
ديميتير ، ولكن الحزن صرغها عنهم فلم تسمع لصلاتهم
ولم تلب نداءهم

وفيما كانت تجوب القفار ، وتطوى المهامه البيد ، اذا
بها تصل الى النافورة التي ألقت عندها پرسفونيه
بزئارها . . .

وانها لتجلس عند حفافيه تفكر في أعز البنات ، اذا
بعروس الماء أريثودا ، التي لمحت بلوتو يخطف پرسفونيه ،
والتي أهاجت النافورة لتقطع عليه سبيله ، تظهر من الماء
فجأة لترى من هذه الجالسة عند دارتها تئن وتتوجع ،
وتعلم أنها الربة ديميتير أم الفتاة ، فتحدث اليها قائلة :
« ديميتير ! عزيز علينا أن تجزعي هكذا ؟ ! طيبي نفسا

وقرى عينا ، فان بلوتو وبهيدز هو الذى خطف برسفونيه!
وهاك زنارها شاهدى على ذلك ولقد تبعتها الى الدار
الآخرة احسب انى أستطيع ان اؤدى لها يدا او معونة
ولكن الآله القاسى أغرى بى زبانيته ، فانطلقت مذعورة من
اللعين الفيوس فعليك أن تخلصى الفتاة فانها لا تذوق
طعاما ، ويكاد الحزن يصعقها برغم أنها أصبحت مليكة
دار الفناء »

وتناولت ديميتير زنار ابنتها فعرفته ثم طفقت تلقيه
على عينيها وصدرها . . . ساكبة دموعها الغوالي !
وقصدت من فورها الى زيوس فحدثته بما قالت
عروس الماء اريثونا وأقسمت لديه ان لم يأمر أخاه برم
برسيفونيه ، لتهلكن عباده جوعا ، ولتجعلن وجه الأرض
فدفا يابا . . . لاتسمن بزرع ، ولا تروى بضرع !
فتأثر زيوس من قولها ، وابتسم ابتسامة حزينة ،
ثم قال : « لا بأس من عودة برسفونيه اذن . . . ولكن !
على شريطة ألا تكون قد ذاقت طعاما فى هيدز ، مملكة أخى ،
فإنها ان كانت قد فعلت ، لاتصلح للحياة فى الدار الاولى »
ولسوء الحظ كانت برسفونيه ، بعد امتناعها عن ذوق
شئ من طعام هيدز طوال هذه الأشهر ، قد أكلت فى نفس
ذلك اليوم الذى وعد فيه زيوس بعودتها الى الدنيا ست
حبات من الرمان فحسب ! فلما علم زيوس بذلك ، عدل
حكمه ، ففضى أن تلبث برسفونيه فى هيدز عند شقيقته
بلوتو ستة أشهر من كل سنة ، أى شهرا بكل حبة مما
أكلت !! وتعود الى أمها فتلبث معها سبعة أخرى ،
فيعود بعودها إلنماء الى الزروع ، والازدهار الى الحدائق
عاشت برسفونيه ربة الربيع ! ولا طال على الناس
مغيبتها فى هيدز . . . ! عند الشرير بلوتو . . . الذى حرم
الحياة من أن تكون ربيعا كلها !

مَصْرَع بَرُوكَرِيس



رأته أورورا حينما كان الصبح يتنفس أنفاسه الندية
العطرة يشب فوق الجبال ويصيد الوحوش بين الأدغال ؛
فهامت به ، ووقفت تعبده ، وتروى من جماله ، وتسقى
نفسها الضادية أبدا الى كل ريان مفتان .. وحاولت أن
تكلمه فشاح بوجهه ، وتصدت له فأعرض عنها ، ثم انطلق
في أثر ظبي قاتم يزل به حتى إرداه ، وانحنى يحمله ..
ولكنه وجد مكانه أورورا ؟ . وجدها متجردة تمرغ جمالها
تحت قدميه ، فنفر نفرة جرح بها كبرياء ربة الفجر
الوردية ، وجعلها ترمقه بعيني أفعى ، تود لو تنفث في
صدره سمها فتروديه ..

« أنا أورورا ، ربة الفجر والندی ، حبيبة الزنبق
والبنفسج والورد ، لا أروق هذا الانسى المخلوق من تراب !
وحق أبى لأسرته ولاسجنه ، ولاجعلنه يتلوى تحت قدمي ،
ويبكي من أجل قبلة آمن بها عليه ؟ »

وأرسلت رقية من رقاها الساحرة فنشرت الظلام على
عينيهِ ، والنسيان في قلبه ، وبات لايملك لنفسه حلا ولا
عقدا .. ثم حملته الى كناسها (١) في شعاف الاولب ،
وحبسته ثمة ، وأذهبت عنه طائف السحر فأدرك ووعي ؛

(١) الكناسي بالكسر . بيت الظبي

وهب مذعورا ، ثم غرق في شيء كالحلم ، لما رأى العماد من ذهب ، والطنافس من عجب ، والكأس حفاها الحبيب ، والندامى والطرب ، وكل راقصة كالخيال يراقصها أمرد كالطيف ، فتميل وتختال ، ويتأود كالسيف . . وأورورا مع هذا وذاك تدل وتتبرج ، وتفوح وتتأرجح ، كأنها ربيع بأكمله ، زخرف الدنيا بالزهر ، وشاهها بالبروض ، وابتعث فيها المرح والحياة

— أين أنت اذن ؟ سيفال ! أين أنت ؟

— أين أنا ؟

— ألا تعرف ؟ هذه غرفات الاولب ؟

— الاولب ؟ !

— أجل . . اولب أربابك

— محال ؟ لن يكون الاولب هكذا !

— ولمه ؟

— لان الاولب مأوى الصالحين ! اليس الآلهة اجدر منا بالتقوى ؟ ماهذا ؟ أخمر وزقص وطرب . . وفسق في الاولب ؟ لا . . ليس هذا الاولب . لن يكون الاولب هكذا ! — بل هو الاولب ياسيفال ؟ وليس ماترى هنا الا قليلا مما هناك ! هل ترى فينوس ؟ ألم تصل لها ؟ انظر من هذه الكوة فهي تطل على حديقتها !

— وأنا ما شأنى ؟ أريد أن أذهب .

— تذهب ؟ تذهب الى أين ياسيفال ؟ لن تبرح عاكفا على اللهو الذى ترى !

— لا ، لن يقوى الاولب كله على قهرى !

— ها . ها . مضحك . انت مضحك ياسيفال ! كل الاولب ؟

- أوكد لك !
 — ولمه ؟
 — لاني أحب زوجتي وأقدسها .. انها جميلة جدا
 — أجمل من أورورا ؟! أليس كذلك ؟
 — أجمل من أورورا لدى كل من ينظر بعيني زوج أمين
 مخلص !
 — أنت عنيد ياسيفال ! انك تزدريني !
 — بل أنا أنتصر للفضيلة التي كان ينبغي أن تنزل علينا
 من الأولاب ! من جاء بي هنا ؟
 — أنا ..
 — ولماذا ؟
 — أنت تعرف !
 — لا أعرف شيئا .. والذي أعرفه لا يليق بشرف ربة !
 أرجو أن تطلقى سراحى ! ..
 — اذن أنت تفضل على زوجتك ! أهى أجمل منى ؟ الا
 تزال تعتقد هذا يا سيفال ؟
 — انا افضل زوجتي لانها لم تتلوث .. وما زلت اقول
 انها أجمل منك لاننى انظر اليها بعيني لا بعينيك !
 — زوجتك أجمل من ربة الفجر الوردية ؟
 — أجمل من ربات الأولاب جميعا ، الا من تجملن بمثل
 روحها ، ولست منهن .
 — أيها التعس !
 — ولم أكون تعسا . وانا أسعد الناس بزوجتى بروكريس !
 — بروكريس ! ها ! عرفتھا ، احدى وصيفات ديانا ،
 حقيرة مثلك ، أغرب من وجهى ايها القدر اذهب ! اذهب
 الى زوجتك بروكريس التى تفضلها على أورورا ، ستتمنى

يوما أنك لم تعرفها ، وانها لم تكن زوجتك ، اذهب ، اذهب»
وبلغ بيته وهو يلهث من التعب ، ويرتجف مما ألم به ،
فلقيته زوجته الجميلة الحسان بابتسامة شفت صدره
وقبله ذات حميا أذهبت بعض ما وجد .. الا انه كان
ينتفض آنة بعد آنة ، ويعود فيبتسم ، ثم تغرورق عيناه
بدموع نقية كاللؤلؤ كما نظر الى زوجته ، حتى هجس
وسواس في قلب بروكريس فقالت له :

— ماذا ياسيفال ؟ أتخفى عنى ذات صدرك ؟

— كلا ، ولكنها أورورا ...

— ماذا .. ؟ ماذا صنعت بك ربة الفجر ؟

— كانت تحاول ان تسحرني عنك .. أو .. تشركني
فيك على الأقل ؟ !

— ... ؟ ...

— ولكنها فشلت .. لقد أذلت كبرياءها

— وهل استطعت ؟ انها جميلة وصناع ، ولها في الغزل
الصارخ اساليب خارقة ياسيفال ...

— لقد قهرتها وأساليبها ... ان قطرة من معين
اخلاص ، تطفئ لظى جحيم يا بروكريس !

— لا ريب يا حبيبي .. أنا أمزح فقط ... سيفال ،
عندى لك مفاجأة طيبة

— مفاجأة ! أية مفاجأة يا بروكريس ؟

— تعال ... افتح هذه الغرفة

— أوه ! ما هذا .. كلب عظيم ، من أين يا بروكريس ؟
انه سينفعنى كثيرا في صيدى

— ومفاجأة أخرى أعظم ! انظر في ركن الغرفة !
— هه ! حربة لم أر قط مثل هذه الحربة ! أنها ليست
من صنع بشر ! آه ! أنها من صنع فلكان لاشك . . ! البشر
لا يجيدون أن يصنعوا مثل هذه !

— أحزر اذن ممن الهديتان ؟

— من الملك ؟

— واني لى ان يهدى الملك الى ؟

— ممن اذن ؟

— احزر !

— لا ادرى !

— انهما من ديانا يا سيفال ! أهدتهما الى هذا الصباح !

— من ديانا ؟ آه ! لقد ذكرت ذلك أورورا . .

— ماذا ذكرت لك أورورا ؟

— انك كنت احدى وصيفاتها !

— وأى ضمير على أو عليك فى هذا ؟ أليست هى احدى

تابعات أبوللو ؟ لقد كانت ولا تزال تتمنى أن لو كانت احدى
وصيفات ربة القمر !

— لا ضمير ، لا ضمير يا بروكريس

— انى أهب لك ما أهدت ديانا الى ! . .

— أشكرك !

— الكلب لا تسبقه الريح ، والحربة لا تخطئ الغرض

وظل سيفال يعود أصيل كل يوم الى زوجته مثقلا
بأنواع الصيد ، وأحب كلبه وحرپته حبا لا يعدله الا حبه
بروكريس

واشتهر أمر الكلب في الاقليم كله وذاع صيته ؛ حتى
لقد اخطأ بعض أفراد الشعب في حق بعض الآلهة ، فسلط
عليهم ثعلبا سلقا (١) لم يستطيعوا مكافحته ، ولم تقو
كلابهم له على طراد ، فاجتاح ماشيتهم ، واتى على دجاجهم
وعاث في حقولهم ، ونفش في زروعهم ، ولم يدروا كيف
يكون خلاصهم منه ، حتى سمعوا بـ كلب سيفال فرجوه فيه ،
كيما يطلقه في أثر الثعلب فيريحهم من شره . . . وانطلق
ليلاب - وهذا هو اسم الكلب - وراء الثعلب ، كما يمرق
السهم عن القوس ، أو كما تميرق النظرة الخاطفة عن العين
النجلاء ، وما انفك يحاوره ويداوره ، وينبح به فيزلزله ،
حتى هم ان يفتك به ويمزقه اربا . . . ولكن حدث ان كانت
الآلهة تتطلع من قلال الاولب ، تتفرج بهذا الطراد ، وتشرح
صدورها بمراة ، فالتفت بعضها الى بعض ، وعز عليها ان
يقتل كلب الهى ثعلبا الهيا أمام الملاء من الناس ، فقضوا
لتوهم ان ينقلب الاثنان فيكونان تمثالين من البرمر الناصع ،
فهما كذلك الى اليوم !!

وأسف سيفال على كلبه ، وانقلب على عقبيه غضبان
اسفا . . . ولم يزل في كل يوم ، وفي مثل تلك الساعة التى
حاقت بـ كلبه العزيز هذه النازلة ، يتوجه اليه ، ويقف
قليلا عنده ، حانا الى ذكراه ، آنا على ماحل به ، ثم ينطلق
بعد ، وفي يده رمح ديانا ، فيصيد الظباء بدون ليلاب
وانطلق مرة في اثر ظبى فأنهك قواه ، ونال منه الاعياء ،
وانسبح على العشب الأخضر في دوحه باسقة ، ثم
راح يتخلج (٢) من شدة التعب ، وكان الوقت ظهيرا ،
وكان القيظ قد اجج الدنيا حوله ، فتفصد (٣) العرق من

(١) السلق . الدب . واستعمل هنا صفة لتوحش الثعلب

(٢) يشكو من التعب ويضطرب

(٣) جرى وتصيب

جسمه المنهوك ، وتراخت عضلاته ، ووهنت زوجه ، وأنشأ
يردد كلاما كالأغنية يرسله هكذا :

أين أنت يا نسمة ؟ يا ابنة الربيع اللعوب
يا منعشة الروح المتعبه ، أين أنت ؟
هلمى يا نسمة ، هلمى الى سيفال ،
فهو مشوق اليك ، يرجو لو تنفسين عنه ،
هلمى يا نسمة ففرجى عن سيفال المضنى ،
وهبى على رأسه الملهب ، وصدرة المكروب ،
لقد كنت يانسمة ، يا أحلى قبل الحياة
تداعبين جبينى ، وتنعشين بين نفسى ،
فما ذا حال بينك وبينى ، يا نسمة الربيع ،
وساقية الحب ، ورسولته بين المحبين ..

وكانت أورورا ما تفتأ تتعقب سيفال فى كل فج ، وتترقبه
فى كل حنية ، وكانت تقف فى صورة بلبل فوق رأسه ،
مختبئة فى أفنان الدوحة التى نام فى ظلها ، فلما سمعته
يتغنى غناءه ، ضحكت وأستبشرت ، وانتهزتها فرصة
نادرة للايقاع بينه وبين زوجته ، وانطلقت من فورها الى
بروكريس ، حيث تكشفت لها فى صورة احدى صويحيباتها :
- بروكريس !

- مرحبا بأعز الحبيبات ، ماذا جاء بك فى هذا القبط ؟

- نبأ أسودا ما كنت أؤثر أن احضر اليك به !

- نبأ أسود ؟ يا للهول ! ماذا ؟

- أرجو الا أثير سخطك على ..

- كلا . . . كلا . . . عجلى أرجوك !

- سيفال !

- ماله ؟

- أتدكرين يوم زويت لى ما كان من أمره مع أورورا ؟
 - لم أنس ! ولكن مال سيفال ؟
 - يبدو لى انى لم أكن مصيبة فى تبرئته ! لقد نفيت
 شكوكك فيما ذهبت اليه من الميل الى ربة الفجر ، وقلاه
 لك لما عرف أنك كنت وصيفة ديانا !
 - وماذا حدث يربك ؟
 - انه يحب فتاة اخرى اسمها نسمة ! انه مولع بها
 أشد الولوع !
 - لا أصدق !
 - لا تصدقين ، وهل أنا كاذبة ؟
 - وكيف عرفت ؟ هل أوحى اليك ؟
 - بل سمعته يهتف باسمها ، ويشدو بحبها ، ويتغنى
 أحر الغناء !
 - لا أصدق ، لا أصدق ، سيفال لا يحب واحدة سواى !
 - هل لك فى أن تسمعى غناؤه بأذنيك يا صديقتى !
 - واين هو ؟

- قريب من الدغل (١) الذى عند النبع . . . سأحضر
 لك حصانا صافنا وغابت أورورا ، ولم تتلبث طويلا ،
 بل عادت بعد هنيهة ومعها حصانان مطهمان ، ركبتهما
 وأسرعنا الى الدغل . . . وكان فؤاد بروكريس يخفق
 كالعاصفة ، وكان وجهها قد شحب وامتقع حتى صار
 كالليمونة ، وكانت ألف فكرة تزحم رأسها وتشور فيه
 كالبركان ، وكانت ماتنفك تحدث نفسها بالهواجس فتقول :
 « نسمة ؟ ترى ما نسمة هذه ؟ عروس من عرائس البحر ؟
 أم غادة من غيد السوق ؟ أم ربة كأورورا من ربات

(١) الشجر الكثيف الملتف

الأولب ؟ أهى جميلة ؟ أهى أجمل منى ؟ ألها عينان
كعنى ؟ ألها روح تستطيع أن تمتزج بروح سيفال بقدر
ما امتزجت به روحى ؟ أهكذا ياسيفال ؟ لقد غلبت اليقين
على الشك يوم أن ذكرت لى أمر اورورا معك ، فلم تعد
الشكوك لتفترسنى ؟ يا ترى ؟ ألسنت تعود الى أصيل هذا
اليوم مثقلا بصيدك كسابق دأبك ؟ حنانيك يا آلهة السماء «
وكانت زفرياتها لا تخفى على اورورا ، فكانت هذه تواسيها
واقتربا من الدوحة التى نام تحتها سيفال وراح
يفنى . . . وأشارت اورورا الى الزوجة البائسة فاخبت
فى الحشائش الطويلة القريبه من سيفال ، بعد ان تركت
جوادها بعيدا عن المكان . . . وهناك أنصتت بكل سماعها
وقلبها ، فسمعت زوجها لا يزال يتغنى باسم نسمة ويقول :

يانسمة ، الام أهتف بك يا نسمة
يانسمة يا أحب شىء فى هذا الحرور
تعالى قبلى خدى ووجنتى وجبينى
كم أنا مشتاق الى نسمة يا سماء
فابعثها رحية ندية ، غيلة بليلة
تنعش فؤادى وتثلج برفيفها صدرى

وكان ما خافت بروكريس أن يكون ! فها هو ذا سيفال
يهتف باسم حبيبته نسمة ويتغنى ، ويتمنى لو جاءته تقبل
خديه ووجنتيه ، وها هو ذا يضرع الى السماء أن ترسلها
اليه رحية ندية تشرح الصدر وتثلج الفؤاد . فماذا بعد
هذا ؟ واى برهان وقد سمعت الاذنان : « اذن ، لقد كذب
على فى الاولى ، ولن يكذب على فى الثانية . . اذن لقد صبا
فؤاده الى اورورا ، ولا يزال فؤاده يصبو الى الغايات من
كل جنس وفى كل فج . آه للنساء الضعيفات من الرجال
الاقوياء ، ويلى عليك يا سيفال ، ويلى عليك وألف ويل !
وعانت الوسائوس فى صدرها ، وانقلبت أضواء الظهر

الساطعة ظلاما داجيا في عينيها الحزینتين ، فأرسلت آهة عميقة قطعت بها على سيفال غناءه ، فهب الفتى مذهولا مروعا ، وحسب أن وحشا يتربص به في الحشيش ، فجمع قوته ، وتناول حربته - حربة ديانا التي لا تخطيء - وأطلقها الى المكان الذي صدرت منه الهمهمة ، وذهبت الحربة لتستقر في صدر بروكریس ! .. واأسفاه !
لقد جرى سيفال ليرى هذا الصيد الجديد ، فماذا رأى - بروكریس ؟ يا للهول ؟ أهو أنت ؟
- ... ؟ ...

وماذا جاء بك الساعة يا حبيبتي ؟
- لا .. شيء .. فقط .. لا تتزوج .. نسمة .. من بعدى !

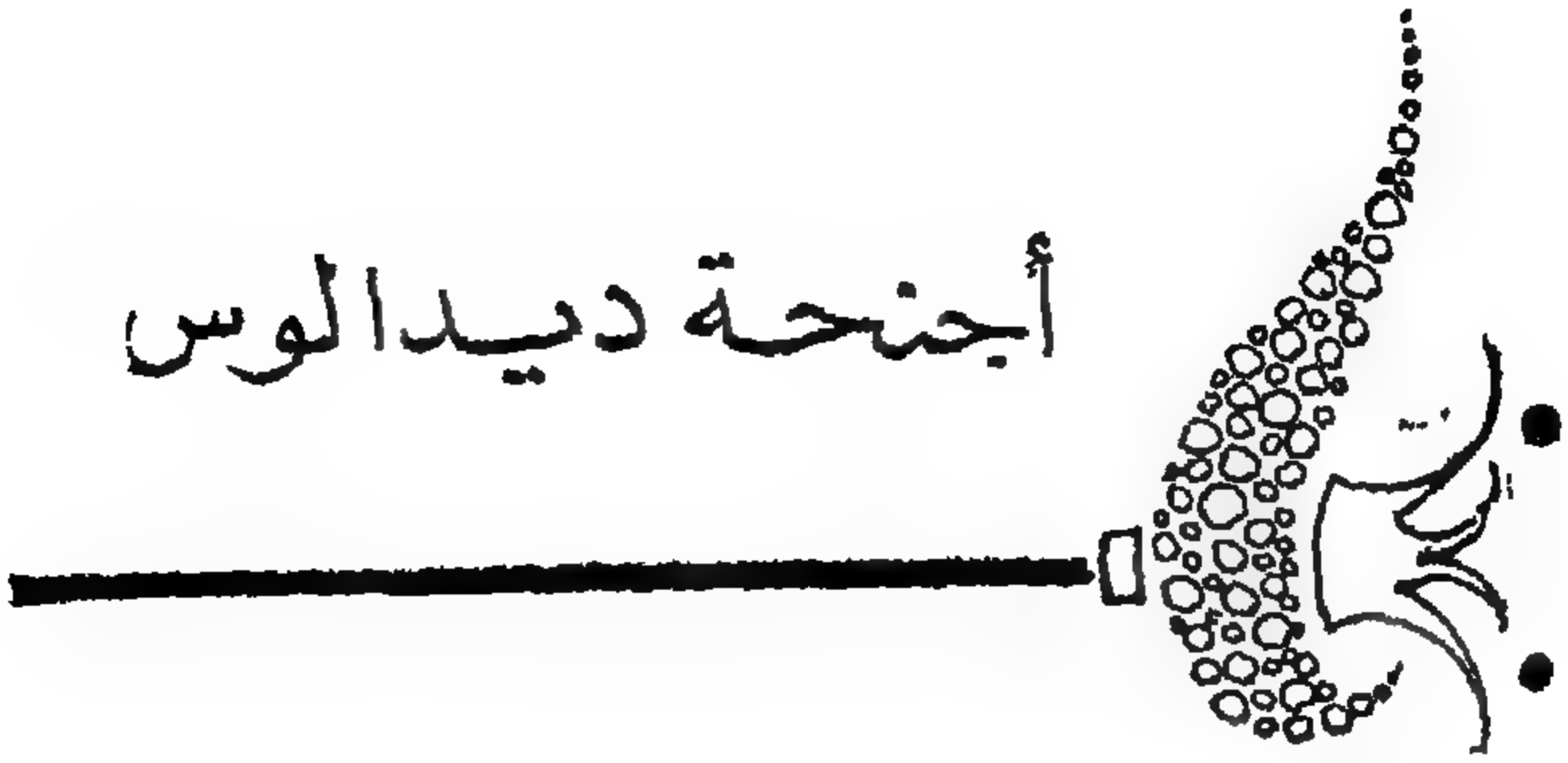
- نسمة ؟ أوه ! انها .. لا شيء .. لقد كان الجو متأججا من الحر يا حبيبتي ... وكنت أتمنى ان تهب على نسمة من الريح تروح على !
- أحق ... هذا ؟ ...

- هذا هو الحق وحبك يا بروكریس !
- اذن .. سلام .. عليك !

- بروكریس ! بروكریس ! لا .. لا تغمض عينيک دونى ؟
افتحيهما لسيفال !

ولكنها ماتت ، وماتت بيد زوجها وحبيبها الأمين الوفى !
وأرسل الفتى أنينه في الآفاق ، ورفع وجهه ليقبله في السماء بالشكوى ، ولكنه رأى أورورا واقفة تبسم وتضحك ... فجئن جنونه ، وانطلق هائما على وجهه ، لا يلوى على شيء ، ولا ترقأ له دموع ... حتى مات !!

أجنحة ديدالوس



لم يكن فى أثينا القديمة على ما اشتهرت به من روعة الفن وكثرة الفنانين ، من هو أمهر من ديدالوس العظيم فى نحت الدمى وصناعة التماثيل وهندسة المباني الضخمة . ولقد كان يتنقل بين المعاهد اليونانية ، وخاصة بين كريت وقبرص وأثينا ، لكثرة الدعوات التى كانت تصله من ملوكها ، ليقوم على بناياتهم ، وليتعهد تماثيلهم ، وليشرف بنفسه على هياكلهم ، ليقال فى مواضع الفخر ، ان هذا التمثال ، أو تلك الدمية ، أو هذه الزخرفة من عمل ديدالوس

واستفاضت شهرته ، وذاع صيته ، وملا الخافقين اسمه ، ولا سيما اذ شاد اللابيرنث (التيه) لمينوس ملك كريت ، واللابيرنث عمل من أجل الاعمال الهندسية القديمة ، ان لم يكن أجلاً جميعاً . ذلك أنه كان لمينوس وحش هائل مخزب يسمى (المينوطور) نصفه الأسفل نصف عجول جسد ، ونصفه الأعلى نصف رجل له أتياب الأسد ، وغدرة الذئب وقوة التنين العظيم ..

وكان لا ينفك يقتل كل من اقترب منه ، ولو كان من

(*) أول محاولة للطيران عرفها التاريخ

خاصة الملك . فلما استطار شره ، وعظمت بليته ، دعا مينوس الملك ، ديدالوس المهندس ، ليشيد هذا البناء الرائع . ذا المنعرجات والحنيات ، والشعاب المتداخلة ، التى لا يستطيع أحد أن يفلت منها ، اذا انفتل فيها . وقد بناه ديدالوس على شكل دائرة عظيمة محيطها هذه الشعاب والمنعرجات ، وفى وسطها فضاء فسيح يربض فيه المينوطور أو يركض .

ولندع الآن ذاك المينوطور الرهيب جائما فى اللابيرنث ، لنرى ما كان من أمر ديدالوس بعد ذلك

ظل الناس يتحدثون عما وهب ديدالوس من عبقرية ، وما أوتى من حذق ونبوغ ، وظلوا يتهافتون على آياته الفنية التى كساها الهامه ظلالا كظلال السحر ، وموهها بأمواء القداسة والخلود ، حتى كبر الفتى بردكس ، ابن أخى ديدالوس ، وكان شهابا ممتلئ الجسم ، مفتول العضل ، قوى الملاحظة ، دقيق الفهم ، سريع التصور ، ما كاد يتتلمذ لعمه حتى بلغ شأوه بل هو قد فاقه بمزج الشعر والموسيقى بفن الحفر والمثالة ، ولاءم بين روحها جميعا ، فكان يبرز تحفه فى مظهر دقيق وطرأز أنيق ، ثم هو يضيف عليها من شبابه الفض ، وروحه العطرية الشاعرة ، ظلال الحب ، وسمات الفتنة ، ويحرك فيها عواطف الآلهة !

ولهج الأثينيون باسم هذا الفنان الشاب ، وتناسوا عمه الذى هو أستاذه وملهمه . وضاق ديدالوس بابن أخيه ذرعا ، وساءه أن تكشف شمس الوضاعة المتلاثلة ، نجمة الذى لبث زمانا يسلسل نور الفن فى أرجاء هيلاس . وما فتىء العم يحنق ويحنق ، وما فتىء بردكس يسمو بفنه الى الذروة ، حتى لسعت عقارب الغيرة قلب الشيخ الفنان ، ونفشت فيه سمها ، فلم يعد يطيق هذا الخصم

الذى صنعه لنفسه بيديه ، ولم يعد يحتمل ان يرى نفسه هملا بجانب الفتى العبقري ، فأقسم ليزيحه عن طريقه ، ولو بتجريبه كأس المنون

وزين له أن يحتال عليه ، فيذهب واياه الى شعاب جبل شاهق ، ذى مهاو تنتهى الى اللج الجياش فى اليم ، حتى اذا كانا فوق القنة المشرفة على البحر المصطخب ، نهز منه غرة ودفع به الى الأعماق ، حيث ينشق له قبر من الموت ... والنسيان !

وانقذها ديدانوس المسكين !

ولكن الآلهة كلها كانت تنظر ، وتستعد للمعجزة ! وكيف ؟!

لقد استجمع الشيخ كل قوته ، ووضع فى يديه كل منته ، ودفع باين أخيه من فوق القنة ، فتردى الفتى على حدود الجبل ، حتى اذا كان من الموت قاب قوسين ، هبطت منيرفا (١) سيدة الاولب ، وصاحبة أثينا ، من عليائها ، فأنقذت بردكس من قتلة محقة ، ثم نفشت فى أذنه نفثتين ، كان بهما فرخا حزينا من أفراخ القطا ، راح يرف فى السماء مدوما فوق عمه ، حتى كاد يصعقه من حيرة وعجب !!

وانقلب ديدانوس الى بيته أسوان أسفا ، ووقر فى نفسه أن الآلهة التى سحرت بردكس لتنقذه من تدبيره السيء ، لا بد أنها تترصده ، ولا بد أنها ستأخذه بأوزاره فى القريب ، غير متجنية ولا ظالمة ..

ثم مضت سنون ، وولد لديدانوس طفل جميل ولكن الطفل لم يستطع أن يخفف من البروع الذى كان

(١) منيرفا هى باللا أثينا ، وقد خلقت شجرة الزيتون فملأت الارض الصورة ، طلق المحيا ، مشرق الغرة ، سماه أكاروس ! بركة وكان بردكس يصنع لها تماثيل رائعة ، وهى هنا تنقذه لترد له قليلا من جميله

يشتاب أباه ، أو يذهب بسورة الهم التي كانت تجثم على قلبه ، وتثقل على نفسه كلما تصور الهامة الفرعة التي يضطرب بها نومه ، فتقضى مضجعه وتزول كيانه

لقد كانت القطاة تتمثل له كلما أغمض طرفه ، كأنها روح ميت تـسـرـنق على خصمها تكاد تصعقه . وازداد الشيخ خيالا حينما ألحف عليه الاثينيون يسألونه عن بردكس أين قضى وأيان ولى ! وأخذ الفوغاء يلفطون ، وشرع الخاصة يتسقطون أخبار الفنان ؛ ودأبوا على عمه يسألونه عنه ، وهو يضللهم ويخترع لهم ، حتى أوجس أن ينكشف سره ، فينكل الناس به . فآثر الهجرة عن أثينا المحبوبة ، إلى صديقه مينوس ملك كريت ، مصطحبا معه ابنه الطفل ايكاروس

وتطامن الدهر ، وشب ايكاروس وترعرع ، وأخذ من والده من الفن ما أخذ بردكس من قبل ، وحسب ديدالوس أن الزمان قد غفل عنه ، وأن أعين الآلهة قد غفّت واستنامت ، وأن الأيام قد ابتلعت أئمه الكبير في تضاعيفها القائمة المظلمة ، فاستيقظ الغرور في قلب الفنان الشيخ ولم يتقبل ما غمره به مينوس الملك من النعم بالشكر الواجب على لاجئ طريد مثله ، بل بطر واستكبر ، وكفر بأنعم مولاه ، ومد له هواه فولغ في اناء الملك ، بعد أن اختلط بأهل بيته اختلاطا شائنا أدى إلى كثير من القيل والقال

وعلم الملك بما كان من خيانة ديدالوس فأمر بالقبض عليه ، واعتقاله في إحدى غرف القصر حتى يقضى في شأنه ، فألقى به في حجرة منفردة في طرف القصر ، مشرفة على الماء ، متصلة بالسما

وطالت عزلة الفنان الشيخ في معتقله هذا ، وضاق ابنه بالحيز الضيق الذي يكاد يحبس أنفاس روحه ،

ويحسر مرامى مقلتيه ، ويشيع الهم فى حنايا ضلوعه ، فقال لوالده وهو يحاوره : « اهكذا قضى علينا ان نموت هنا صبرا يا ابتاه ! » وكانت كلمات ايكاروس المبللة بالدموع تذهب كالصدى فى آذان الشيخ ، وكان الغلام يجذب اللفظة المفردة من فم أبيه ، فما يكاد يفوز الا بلا . . . أو بنعم . . .

وكانت للغرفة التى اعتقلا فيها شرفة صغيرة تطل على البحر الابيض المتوسط ، وكان منظر السيفائن الماخرة فى البحر كالاعلام ، والطيور صافات من فوقها كأنها تسبح فى لبح من زرقاء السماء ، يشر فى نفس الفتى أحلاما وأخيلة وأمنيات . وانه لفى أصيل جميل يناجى الطبيعة من شرفة سجنه الصغيرة اذ به يذهب الى والده مستبشرا متهللا ، ويقول : « أبى ! أعجزنا عن ان نصنع لنا أجنحة كهذه الطير . فنفلت بها من هذا المكان الرهيب ؟ »

وكان الشيخ جالسا فى زاوية مظلمة من زوايا الغرفة يجتر أحزانه ، ويتغنى آلامه ، فلما سمع ما خاطبه ابنه به ، افتر فمه العجوز عن ابتسامة منقبضة مفضنة ، وشاعت فى أساريره بوارق أمل جديد !

وقال لابنه : « أجنحة ؟ وأنى لنا بالريش يا ايكاروس ؟ » فقال الولد : « لا عليك يا أبى ، ان غرفة الدجاج قريبة من هنا ! »

وعبس الفنان الشيخ ، وقال : « والحارس اللفظ ؟ . . » فتضاحك ايكاروس قائلا : « الحارس ! أمه أهون مما ترى . . . سنرشوه يا ابتاه ، فيحضر لنا ما نشاء من الريش ، وسنخدعه اننا صانعان له لباسا لا تحلم الملوك بمثله ! »

ولكن العبوسة التى رفت على جبين الشيخ انشبت

فيه جميع مخالبيها ، وقال : « دعنى أفكر يا بنى ، دعنى أفكر يا إيكاروس ... »

وهكذا كانت العبقرية البكر ، الكامنة فى هذا الفتى الصغير ، لقاحا بعيد الأثر فى عبقرية الشيخ الفانى المتهدم ، وهكذا بدأ الفنان الأكبر ، بائى اللايرنث ، ومشيد هياكل الآلهة ، يفكر فى هذا المقترح الشارد الذى اقترحه عليه الفنان الصغير !

« أجنحة .. دجاج .. ريش .. الحارس الفظ .. مينوس .. بردكس .. فرخ القطا .. الطير .. إيكاروس ابنى .. ! » وهكذا انبطح الشيخ على حصيرة تتداعى هذه الخلجات فى رأسه الساخن المتأجج تذكى فيه الذكريات والمآسى !

واحتال الفتى على الحارس حتى حصل على مقادير هائلة من ريش البط والاوز والديكة ، وفكر الشيخ كيف يثبت الريش فى مكانه من عضد الجناح ، فادخر الشموع التى كانت تترك له يضيئها فى الليل ، ليتضاعف بهيبها الخافت حزنه ، حتى اذا كان لديه قدر كبير منها ، عمد اليها فصهرها ، وثبت بها ما شاء من الريش ، وبذلك صنع زوجين من الأجنحة الكبيرة ، يكفى أحدهما لحمل فيل !

وجلس يحض ابنه النصيح ويقول :

« أى بنى ! أى إيكاروس العزيز ! سنطير من هنا يا ولدى ! الى أين ؟ لست أدري ! ولكننا سنفلت من هذا السجن على كل حال ! وهأنذا قد صنعت الأجنحة التى تخيلها أملك الصغير هـو أكبر من جميع أمالى ! ولقد رأيت الى كيف كنت أذيب الشمع قريبا من النار يا ولدى ، فأوصيك اذا طرنا ألا تترك سميتى ، وأن تكون دائما قريبا منى ، فانى أخشى اذا علوت علوا شاهقا أن

تصهر الشمس شمع جناحيك ، فتهوى في البحر ،
وتتردى في أعماق الموت ! وكما أخشى عليك من العلو
الشاهق ، فكذلك لا أرى لك أن تدنو من الماء فإنه ان
وصل الى الشمع أيبسه ، ولم يعد يصلح لمهمة الطيران ،
اذ يساقط قطعة فقطعة ، ويتناثر الريش ، وتسقط ،
أما في البحر فتغرق ، وأما في الأرض فيندق عنقك .
فلا تنس يا بنى أن تتبعني أبدا ، واحذر أن تعلق فتدنو
من الشمس ، أو أن تسفل فيصيبك رذاذ الماء ورشاشه .
الى يا ولدى أثبت لك جناحيك ، ولنمض على بركة ز . .
ز . . زيوس ! ! »

وتلجلج لسانه حين أراد أن ينطق باسم الاله الاكبر ،
لأنه يشق أنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ،
وهو محيط بعباده ، لا ينسى أن ينتقم من الظالمين
للمظلومين !

وانطلقا من الشرفة ، والقيما على القصر ، وما أحاط به
من حرس وعسس ، نظرات كلها نقمة وتغيظ . .

ومرا بشطوط كثيرة ومروج كبيرة ، وكان الصيادون
والزراع والبحارون وأهل القرى كلما رأوا هذين
الطائرين الكبيرين ، ذوى الهيئة الأدمية ، خروا للاذقان
سجدا ، يحسبون أنهما الهان من آلهة السماء ، هبطا
يباركان الناس والخلق ، فيهللون ويكبرون ! !

فهذا شيخ يطلب اليهما أن يباركا في عقبه ويمدا في
أجله ، وهذه شمطاء تدعو أن يرذا عليها جمالها الضائع
وشبابها الذاهب ، وتيك رؤوم تناجي ابنها في قبره ،
فتطلب اليهما ان ينفضاه من الثرى ، وهؤلاء فلاحون
يصرخون أن يمنا عليهم فيخلصاهم من الفقر والمثربة . . .
وشاع الزهو في أعطاف ايكاروس ، فكان يرتفع قليلا ،
أو يهبط قليلا عن سمت أبيه ، ثم تشجع وتشجع ،

وبهرته زرقاء السماء وأديمها الصافي ، فجازف وأرثف
ارتفاعا شاهقا ، ونسى وصية أبيه ، فعلا وذهب في
السماء صعدا ، وكان يفريه أن يصغر العالم الأرضي في
عينيه ، فيعلو ويعلو .

وأسفاه !! لقد دنت ساعة الانتقام لك يا بردكس !
فلقد صهرت الشمس شمع الجناحين ، وهوى إيكاروس
إلى الأعماق ! ولما دنا من والده صرخ صرخة هائلة دوت
في أذن أبيه ، فتلفت الشيخ ليرى ولده يغوص في اليم ،
ويبتله مرة ويلفظه أخرى !

فأسرع الوالد المسكين إلى البحر ، وانتشل ولده من
الماء جثة هامدة ، وكان هو بدوره قد أذاب الماء شمع
جناحيه ، فعالج الموج معالجة شديدة وسبح بفلذة كبده
إلى جزيرة قريبة ، بلغها بعد جهد وعناء !

وجلس يبكي ولده .. وبرزت عرائس الماء من اليم
تواسينه !

ثم شق له قبرا صغيرا في رمل الشاطئ ، وما كاد
يسره فيه ، حتى رأى قطاة حزينة تدوم في السماء ، ثم
تهبط قليلا قليلا ، حتى تكون بمقربة من القبر ، فتقف
كأسفة مشجونة وتنظر إلى الجثة والدموع تنهمل من
عينها . عبرة ، فعبرة ..

ويفرغ الشيخ من مواراة ولده في التراب ! وينتبه !
فيرى القطاة ! فينشج نشيجا مؤلما : « بردكس !! أتيت
تبكي إيكاروس !! سامحنى يا بردكس ! »

فتزقو القطاة كأنها تنتحب ! ثم تدنو من القبر حتى
تكون فوقه ، فتذرف عبرتين غاليتين ، وترف في الهواء
حتى تغيب عن عيني ديدالوس !

بومونا



عروس من عرائس الغاب يترقرق الجمال في اهابها
الوردى ، وتلتمع في فمها الرقيق الخمرى ثنايا من اللؤلؤ
الرطب ، وتبتسم ... فتثور من عينيها وشفتيها أسراب
من النحل في قلوب العاشقين ، تسمعهم ، وتسقيهم
رحيقا !

هى بدع من عرائس الغاب ، فهى لا تغشى الانهار
تتلاعب فى طيات أمواجها ، وهى لا تحب البحر لا هادئا
ولا متمردا ، وهى تكره الغابة لانها تعج بالافاعي
والوحوش ، ومنظر هذه حين يساور أحدهما الآخر يبعث
فى نفسها اشمئزا ، ويشير فيها غضبا على الطبيعة
الظالمة التى جعلت الضعيف فريسة للقوى يذله ويقتله
.. ثم يأكله

لذلك أولعت بومونا بالحقول الساكنة الهادئة ، الا من
نشاط الحياة يسرى فيها فتتهز وتربو ، ثم تكتسى
بالسندس ، وتنضر بالزهر ، وتطن بموسيقى اليعاسيب
... وأولعت كذلك بالحدائق ... وقد غرست حديقتها
على عدوة النهر ، وسوجتها بسياج من شوك ، ثم جعلت
لها بوابة جميلة عرشت فوقها عساليج الشبر والياسمين

... وكانت في جنينتها أكثر وقتها ، ولو استطاعت
لم تبرحها قط ، لان الزنبق الغض ، والنسرين الجميل ،
وأكمام الورد ، وهالات البنفسج ، ونضرة الشفقات ،
وأرج التفاح ، وعبق الرياحين ، وشذى أزهار الخوخ
العقيقية ، وابتسامات الاقاح ، والآلى الندى المبعثرة فوق
العشب ... كل هذا كان أحب الى قلبها الخلى ، ونفسها
العزوف ، من هؤلاء الناس ، والآلهة ، وأنصاف الآلهة ،
الذين كانوا ينتظرون أوبتها في المساء الى دارها ، فيقفون
في طريقها ، ليفوز من يفوز منهم بنظرة أو خطفة أو لمحة ،
يعود بعدها الى منزله مصدع القلب ، حائر الروح ،
خفق الاحشاء ، موهون القوى !
وكأين من قائل لآخر :

— أرايت بومونا هذا المساء يا صاح ؟

— الحسان المفتان ! أجل والله ... رأيتها ، وأورثتني
ألف حسرة يا صديقى !

— أو مشغوف أنت بها حبا ؟

ومنذا الذى لم تشغفه بومونا حبا ، وقد تبليت قلوب
الآلهة ؟

— انى أغار من كلماتك أيها الصديق ... فأقصر !

— وأنا أغار من غيرتك ، فاذهب لطيتك !!

ويكاد أحدهما يحرق صاحبه بالشر الذى ينقذ من
أغوار قلبه ... عن طريق عينيه ... ثم يأخذ كل فى
سبيله ، وهكذا تعادى الناس فى بومونا ، وهكذا تنافس
الجميع فى حبها حتى الآلهة فلقد رأها أبولو وجن بها
جنونا ، ولقيها مارس وفتن بها فتونا ... ولكن العروس
كانت لاهية عن الجميع ، لا يفتح قلبها لحب ، ولا يرق
لشكاة المفرم الصب ، وكل ما كان يصيبها ويشغل بالها ،

هو هذا الفردوس ، الحبيب ، الذى لا يضايقها بكلمات
الغزل ، ولا يضجرها بالانظار الجائعة ، بل يحييها دائما
بالابتسامات البريئة ، وبالروح والشذى

غير أن واحدا من عشاق بومونا كان لا يعدل حبه لها
حب ، ولا يسمو الى افئتانه بها افئتان ... فتى لمحها
مرة تطوى الطريق قبيل الشروق الى حديقتها ، فوجد
نفسه منجذبا اليها ، مجنونا بها ، فتبعها ، وجعل يقلب
عينيه فى مفاتن شعرها المتهدل فوق ظهرها وكتفيها ، حتى
ليكاد يقبل العقبين الرائعتين ، اللتين أخذتا تعلوان وتهبطان
على ثرى الطريق ، كأنهما ختم الطبيعة فى صك البكور ،
أو زهرتان من اللوتس ، ترشفان صلافة الندى ... وكان
جسمها الرخص يتأود كالخيزران ، وساقاها الناصعتان
المرمريتان تضحيان فى غبشة الصبح ، فتضمرمان فى قلب
فرتمنوس نيران الحب ، وتزلزلانه زلزالا عظيما

وعرف الفتى ميعادها ، فكان يصحو مع الفجر ، ويهرع
الى الطريق ، ويلبث يعد الدقائق والثواني كأنها ساعات
بل أيام بل دهور وآباد ... حتى اذا أقبلت ، شعر بقلبه
يخفق ، واعصابه تذوب ، وأحس كأنه خف على الأرض ،
وغدا طيفا يوشك أن يسرى مع نسيم الصباح الذى تنشقه
بومونا ... له الله ! لكم منى نفسه بقبلة يطبعها على هذا
الفم الشتيت تذهب حر قلبه وتشفى صدى روحه الظامشة
المتعطشة ، ولكنه كان يعود أدراجه كل صباح بعد أن يتأثر
سالبة لبه ، ولا لب له ، ولا قلب معه ، ولا مداوى لجراحات
فؤاده إلا دموعه يسكبها عبرة فى اثر عبرة ، والا آهاته
يرسلها من أعماقه فتزيد فؤاده جراحا !

وذوى فرتمنوس وذبل شبابه ، وشفه الهم ، واضوى
جسمه الفكر ، واستسلم لبكاء طويل يتعلل به ، وغنساء

يشبه العويل ، يرسله في تبرات تشبه الآنين ، يضـمـنه
بشه ، وينظمه شكواه ، ويلف فيه بقايا فؤاده المـعـذب ،
ويودعه النطف الأخيرة من روحه الحيرانة ، ويذهب به في
الليلة القمرية فتجتمع حوله الوحوش ، وتسـكـر بمـوجـع
أنغامه الهوام ، ويرقص من فوقه الشجر ... ثم يبكي
كل هؤلاء له ... ويعود من حيث أتى !

ولقيته مرة فينوس فرقت له ، ورثت لحاله ، ورأعها
أن يلقي محب كل هذا العذاب ، في هوى عروس غاب ،
فجلست إليه تسامره وترفه عنه

— أهكذا يقتل الناس الحب يا فرتمنوس ؟

— أى وخفك يا ربة ! لقد نال منى هواها ، ولم أعد
أفكر في أحد سواها !

— مسكين ! وهل كلمتها قط ؟

— مرة واحدة اجترأت أن أهتف باسمها ، ولكنها
أشاحت وأعرضت عني

— وفيم تطمع اذن ؟

— أطمع في رضائها ، وأطمع بعد ذلك في العيش في ظل
حبها ...

— وإذا لم ترض ؟

— سأعيش لحبها وآلامى ! ولكن ؟

— ولكن ماذا يا فرتمنوس ؟

— ألا تساعدننى ياربة الجمال ؟ ألا تتفضلين فترققى
قلبك على ؟

— عندى فكرة !

— أضرع اليك ياربة !

— سأمنحك قدرة التشكل ، فتستطيع ان تبدو فى أى
صورة شئت

وانحنى ربة الحب والجمال فتناولت من ماء الفدير
قطرات ، ثم نفثت فيهن ، وتمتت بكلمات سحرية ،
ونظرت الى الفتى في ظرف ودل ، ونشرت الماء في وجهه .

ـ والان فكر فى أى صورة تنقلب اليها

وأخذ فرتمنوس يتقلب فى صور شتى . . . وكلما حاول
ان يرتد الى صورته الأولى لم يستطع ، فتضاخت
فينوس وقالت له :

. . . فكر أيضا فى صورتك الأصلية قليلا . . .

وسرعان ما عاد اليها . . . ثم ودعته ربة الجمال
والحب وهى تقول له :

ـ تستطيع الآن أن تلقى بوموتا ، وسأرى ما يسوقك
اليه ذكاؤك !

ورفت فينوس فكأنت فى سماء الاولمب !



واستطاع فرتمنوس أن يدخل حديقة حبيبته فى أى
لحظة شاء ، وكان يدخلها فى صورة بلبل غرد ، فلا يزال
يفنى ويهتف حتى يلفت اليه أنظار بوموتا وأسماعها ، وكان
يتبعها أينما ذهبت ، فيقف على أقرب شجرة ، ثم يرسل
أغاني الحب وأغاريد الغرام ، فتسكب فى أذنى عروس
الغاب ، فتقف لتسمع لحظة ، ثم تأخذ فى عملها كأنها
لم تسمع شيئا . . . فيتضايق الفتى ، ويطير أسوان
أسفا . . .

واستمر على هذه الحال أشهرا ، وكل يوم يمر يزداد
بالعروس هياما ، ويفنى قلبها حبا ، حتى خيف عليه من
المرض ، وأحس هو أن ريب المنون يهوى فى عظامه ،
وبرد اليأس يوشك أن يقف نبضات قلبه ، ثم بدا له آخر
الامر أن يزور حبيبته فى صورة أخرى تختلف عن تلك
الصورة البلبالية التى اعتاد أن تراه فيها ، ثم عول هذه

المرّة — إذاً لم يفز بحبيبته بومونا — على أن ينتحر تحت قدميها في صورة البلبّل الحزين !

رأى أن يزورها في صورة عجوز شمطاء ! ولم لا ؟ أليس عجائز النساء أقدر على إيلاف قلوب العذارى من كل أحد غيرهن ؟ أليس لهن حديث طلى يتصل من حيث ينقطع ، ويتشفق عن كل خرافة حلوة وكلمة طيبة ، وبأسلوب ظريف يشبه (تنميل) الخمر في أطراف السكرى ؟!

وقف فرتمنوس في ظل أكمة باسقة نامية في منحرج قريب من حديقة بومونا ، ثم طفق يفكر في صورة عجوز طيبة القلب ، سمحة الملامح ، وراح يتخيل شمسها الأشمط (١) وذوائبها الخلس (٢) وغدائرها الزعر (٣) ، ويديها عاريتي الأشجاع (٤) ، وعينيها الغائرتين ، وجبينها المجعد ، ووجها المعروق (٥) . . . فكان له كل ذلك ، ثم كانت له هيبة ووقار وأسر ، في سكينه ودعة وحسن سميت . . . وأضفى عليه حبرة سوداء فضفاضة ، وجعل في قدميه خفين هرمين ، وفي يده عكازا مقوسا أشسبه بصولجان الموت !

ثم جعل يدب في هيئته تلك ، حتى كان لدى باب الحديقة فطرقه ، وكانت بومونا تقطف الزهر وتصنع منه باقات تقدمها لصويحباتها عرائس الغاب في مثل ذلك اليوم من كل أسبوع . . . فلما لمحت العجوز تنهالك على نفسها بباب حديقته ، أسرعت إليها وحيثما أحسن تحية والطفها ، ثم فتحت لها وأدخلتها ، وكانت الخبيثة — أو كان الخبيث — تبالغ في اظهار الضعف وتعمل الأعياء ، فكانت بومونا

-
- (١) بياض الشعر يختلط بسواده ويزيد عليه
(٢) بمعنى أشمط واحداً منها خلساء وخليس
(٣) جمع زعراء أى قليلة الشعر جدا
(٤) بدت هروقتها
(٥) قليل اللحم

تسندها من هنا ، وتشد ازارها من هناك . . حتى وصلتنا
آخر الامر الى ظلة وارفة ذات أفياء ، يعرش فوقها كرم
نضير تدلى جناه الحلو الناضج ، يغازل العيون والأحشاء ،
وأشارت العجوز كي تجلس على إحدى الأرائك التي صفت
عليها الوسائد والحسانات (١) ففعلت ، ولكن . . . بعد
أن أخذت بفودي بومونا . . . وطبعت على ثغرها القبلة
الأولى الحارة . . . قبله الأمانى والأحلام !!

لقد شدهت بومونا من أسر هذه القبلة ، لأنها لم تكن
من تلك القبل الباردة الباردة التي تخرج من شفاه العجائز
كزمهرير الشتاء ، بل كانت قبلة ناعمة فيها خمر ولها
حميا ، وفيها شعر وموسيقى ، وفيها روح وامقة صادية
كانت تتردد على شفتي العجوز كأنما حاولت أن تلقى في
صدر الفتاة بكل أسرارها !!

ولولا أنها كانت عجوزا حيزبونا لعشقتها بومونا . .



ووثبت الفتاة فقطفت عزقا (٢) من العنب وقدمته
للضيقة العجوز . . ولكنها بدلا من أن تجددها تهش للثمر
الجنى الشهي ، وجدتها غائبة عن رشدها . . . أو . . .
كالمفشي عليها ! ترى ماذا أصاب أخانا فرتمنوس المختبئ
في جلد هذه العجوز ؟ ! آه ! مسكين ! انه لم يكده يقيق
من سحر القبلة ، حتى رقع يصره الى بومونا ، فشهد
العجب العاجب ، والجمال النادر ، والحسن الباهر ،
والبرونق والرواء !! لقد شهد الساقين الجميلتين والقدمين
الصغيرتين ! وشهد الركبتين الملتفتين . . . وقليل من
الفخذين اللجينيتين . . فاستطير لبه ، وصبا قلبه ،
وشردت أفكاره ، وغشى عليه !

(٢) عنقود

(١) المساند

ولما أفاق - أو أفاق العجوز - سألتها ماذا أصابها ،
فشكت وطأة السنين وضعف البدن ، وتهافت أعضائها
من الكبر ، ثم شكرت لها عرق العنب ، وأخذت في أكل
حباته ، وهى تخالس العرويس النظرات ... ثم نظرت
إلى الكرم العارش فوقهما ، وأرسلت من أعماقها آهنة
طويلة حامية ، ثم قالت تحدث الفتاة :

- أرايت يا حبيبتي (!) لو نما هذا الكرم على الأرض
من غير أن يحمله هذا العريش، هل كان يؤتى أكله ، ويحلو
عنبه ، كما هو حلو هكذا ؟

- كلا يا أماه ! هذا شيء بدهى !

- تعنين أن الكرم لا يستغنى عن هذا العريش !؟

- طبعاً !

- ولا غناء للعريش من غير كرم !

- لا يكون منظره جميلاً رائعاً كما يكون ومن فوقه

الكرم !

- عجباً لكن والله يا عذارى !! تعرفن ذلك ، ولا تفكرن

في عطلكن !!

- أو عاطل أنا يا أماه ؟ ماذا تقولين !

- عفوا يا ابنتى ... فإن لك ألف حلية من جمالك

الذى لا جمال مثله ... إنما قصدت أنكن تزهدن دائماً

في أن يكون لكن أزواج كما لهذا الكرم عريش ... ولا سيما

أنت يا صغيرتى بومونا ... انى أعرف أن كل شبيب

المدينة مولعون بك ، وكل أمراء النواحي متيمون فى هواك ،

وأنا أعرف أيضاً أن منهم من يتعذب بالليل ، ويذل بالنهار ،

لأنك ترفضين أن تمنحيه نظرة حين يلقاك فى الطريق ،

وقد وقف لهذا اللقاء ساعات وساعات

بل أعلم يا أجمل عرائس الغاب أنك قد بززت هيلين
الهيفاء ، وبنلوب اللعوب فى كثرة العشاق الذين يعبدون

جمالك ، وتخبت قلوبهم لحسنك ، وتتصدع صدورهم من هول ما تهجرين وتصدين . ماذا ؟ لم يا بنيتى لا تختارين لنفسك من بينهم كفاء يقاسمك هذه الحياة وتقاسمينه ، ويشركك هذه الحديقة الفيحاء وتشركينه ، ويبسم لك وتبسمين ، ويواسيك وتواسين ؟ ما غايتك من هذه الوحدة ، وأنت بها فى منفى ، ولو أينعت حولك ألف ألف بنفسجة ، ومثلها من الورود والرياحين ؟ وهذا الفتى المسكين الذى اسمه . . اسمه . . ماذا ؟ آه ! فرتمنوس ! ذكرت أنى سمعت أنه يحبك حبا أورثه السهد ، وأولاه الضنى ، حتى لم يبق منه هـواك الا حشاشة تترقرق دموعا فى عينيه ، وتتأجج نيرانا فى صدره . . لم لا ترحمينه يا بومونا ؟ لم لا ترثين له يا أجمل عرائس الغاب ؟ انه ليس الها ولا نصف اله ، ولكنه خليفك بحبك ، جدير بأن تكونى له من دون العالمين ، لانه مغرم بك أكثر من كل عشاقك ، وهو ليس كجميع العشاق ، لانه لم يحبك الا عن بصر بك ، وتقدير لحسنك ، ولان عشاق هذا الزمان مفاليك لا أبواب لهم ، فهم ينظرون النظرة فتهيج شياطين الهوى فى صدورهم ، ثم ينظرون النظرة الى حسناء أخرى فتتجذب شياطينهم اليها ، فاذا لقيتهم ثالثة لم تاب تلك الشياطين أن تتصرع تحت قدميها . . أما فرتمنوس ، فقد أحبك ولم يشرك حسناء فى هواك ، لانه لا يرى لك فى قلبه شريكة تسسمو الى اخمصيك . . ارحميه يا بومونا ، اعطفى عليه ، وانظريه كأنه يتوسل اليك بلسانى ، ويشكو لك بثه بعينى (١) . . ألا تخافين أن تقتص له فينوس منك ؟ ألا تعلمين أنها تثار للعشاق من كل حبيبة قاسية القلب ؟ ألم تعرفى ما صنعت بالقاسية أنا جزرتيه ؟

— ومن أنا جزرتيه يا أماء ؟ وما قصتها ؟

— ألا تعرفينها ؟ ولا تعرفين مأساة الفتى ايفيس ؟

— وما مأساة ايفيس ؟ قصيها على بالله عليك !

« لقد كان ايفيس فتى جميل المحييا وضياء الجبين ، ولكنه كان من صميم الشعب ، وكانت أناجزرتيه من بنات الاعيان والعلية الموسرين .. وكانت بينهما من اجل ذلك هوة سحيقة لم تمنع ايفيس من حب الفتاة لدرجة الجنون . وكان كلما لقيها غشيه من الغرام ما لو حمله جبل لناء به ، ولكن الفتاة كانت تعرض عنه وتزور ، وتطوى الطريق عجلانة الى قصرها الباذخ المنيف ذى الشرفات .. وكان الفتى يتبعها بقلب وامق متصدع ولكنها كانت تدخل من باب الحديقة الحديدى ثم توصله من دونه ، فيقف ثمة يتزود منها نظرات الموجه اللهفان من خلل القضبان ، ثم يذرف دموعه ، وينثنى الى داره ، وليس فى قلبه الا حبها مع ذاك ، ولا فى عينيه الباكتين الا صورتها ! وطالما كان يهب من نومه فى جنح الليل فيطوى الطريق مفزعا ، حتى اذا كان لدى البوابة الحديدية وقف عندها ، وعانق قضبانها ، وبكى ما شاءت له الآلهة ، وتغنى آلامه وغرامه ، ثم ارتد وقد تضاعف وجده ، وازدادت صبوته .. وكم ذا رآته أناجزرتيه فكانت تحقره وتسخر منه ، بل كانت لا تعفيه من كلمة قارصة ، أو غمزة تهكم واستهزاء ، ولم يشفع لديها ما قاله مرة لمرضعها العجوز وما بث من شكاة ، بل زادها قسوة وعنادا .. ولما جد به الجدد ، ولم يكن بد مما ليس منه بد ، ذهب اليها فى ضحوة ضاحكة من ضحوات الربيع ، ثم تعلق بالبوابة ، وكانت حبيبته ترتع وتلعب فى حديقة القصر ، فهتف بها وقال : « أيتها القاسية أناجزرتيه اسمعى ! لقد قهرت قلبى وغزت نفسى وتم لك النصر ! فهنئنا لك ! تغنى أناشيد الفرح واللذة العارمة لانك قتلت ايفيس ! اعقدى فوق

هامتك اكليل الغار لانك أذلت قلبه العزيز ، ومرغت
فى التراب روحه العالية .. ولكن اصغى الى يا متحجرة
القلب .. لقد عولت على أن أشرب كأس المنون ، ولكني
آثرت أن أشربها أمامك ان لم يكن بين يديك ، لتتـلذذ
عيناك بهذا المنظر الموجد الاخير ، وليبتهج قلبك بأخـر
صورة من صور انتصاراتك على .. بيد انى اهتف بك
يا آلهة السموات أن تشارى لى ، وأن تجعلى لى ذكرا فى
قصص المحبين يتناقله الخلف عن السلف ، ويتذاكره
الناس فى طويل العصور والآباد .. وكانت السماء
كلها تصغى لما يقول ايفيس فلبت واستجابت .. وكان
قد ربط حبل مشنقته فى قضبان البوابة ، وجعل
أنشوطتها فى عنقه ، فلما انتهى من مقالته القى بنفسه
.. وقبضت روحه ! ولم تتحرك اناجزرتيه مع ذاك ،
بل أرسلت خدماها الذين نقلوا الجثة الى أم ألفتى وهم
يبكون ويضجون .. وصرخت الام المفجوعة وولولت على
وحيدها ، ثم حمل الجسمان فى اران (١) الى المقابر ، ومر
الموكب الحزين من الشارع الذى فيه قصر الفتاة القاسية
فصعدت لتنظر اليه ، ولكنها ما كادت ترى الى الجثة
مسجاة فى النعش حتى ثلجت عيناها ، ثم استحالتا الى
رخام بارد .. وروعت لما أصابها ، وأرادت أن ترجع قليلا ،
ولكنها لم تستطع لان الرخام سرى فى قدميها أيضا ..
ثم فى ساقيه .. ثم فى ذراعيها .. ثم فى جميع جسمها
.. أما قلبها ، فقد كان رخاما منذ زمن بعيد .. وكذلك
تحولت أناجزرتيه الى تمثال لا يزال محفوظا فى متحف
فينوس بسلاميس .. عظة وذكري ..

وكانما عملت القصة عملها فى نفس بومونا ..

(١) نعش

فاندرفت من عينيها الحزینتین عبرتان حارتان .. ونظرت
لهری الی العجوز .. ولكن .. لقد كان فرتمنوس العاشق
الحزین الجمیل القوی یجلس مكانها ، ویأخذ برأس
الفتاة علی صدره .. فقالت له :

— من أنت آیها الفتی ؟

— أنا ...

وانفجر فی بكاء شدید وقال :

— حبیبك فرتمنوس یا بومونا .. فرتمنوس

فقالت : أهو أنت ؟! اه یا ساحر !

وتبادلا قبلات أشهى من الشهد ، وأشد أسرا من
الخمر ..

خرافة جاسون



غلب بلياس الظالم أخاه ايسون على ملك تساليا ، فهم الملك على وجهه في أقصى الارض ، وهامت معه زوجته الملكة الصالحة السميديّة ، وطفلهما الوحيد اليانج جاسون . . وعرجا في تطوافهم باستاذ اخيل العظيم شيرون ، فدفعوا اليه بالطفل يهذب ويؤدبه ، وينشئه على الفروسية ومكارم الاخلاق ، ورجواه أن يكتسب سرهما حتى يشب ويتزعزع ، ويبلغ أشده ، فيثير في صدره الحمية ، ويرسله ليثأر لأبويه ، وليستخلص العرش من غاصبه . وأخلص شيرون في تربية جاسون الاخلاص كله ، وكان يردفه خلفه ليعلمه الرماية ، وهو شرف عظيم لم ينله من تلاميذه غير أخيل الخالد ، وغير جاسون . . ثم مرت الايام ، وشب الفتى على غرار استاذه ، فلم يكن في الدنيا بأسرها أحمل منه لسيف ، ولا أرمى لسهم ، ولا أرجح في تفكير ، ولا أوفر في حظ من جمال وكمال . ووقفه شيرون على سر أبويه ، وما كان من اغتصاب عمه بلياس عرش والده ، فتار ثائر الغلام ، وازلزل قلبه ، وضرب برجله يود لو يخرق الارض فيكون عند الظالم ، فيذرو عظامه في الريح !

ووعظه شيوخ ، وأوصاه بالصبر وطول الأناة وأعمال
الروية ، وحذره أن يعيث فسادا في الأرض ، ونصحه أن
يكون رحيما بالضعفاء ، وألا يألو جهدا في مساعدة من
يطلب منه المساعدة ، وألا يكون عداؤه لعمه سببا في
عدائه لجميع الناس . . . وأعطاها الفتى موثقه ، ثم اخترط
سيفه ، وربط على قدميه وساقيه نعليه الذهبيتين ، وودع
أستاذه وحياء أحسن تحية ، وانطلق يندرع الهرح إلى
يولكوس ، حاضرة تساليا

ولقى في طريقه سيلا زاهر العباب ، فوقف حيا له
ينظر ويفكر ، ويدبر لنفسه خطة يعبره بها . . . وكان
السيلا جياشا ينحدر من شعاف الجبل القريب ، فيجرف
في سبيله الجلاميد والنوى ، وتظل تتدحرج ويضرب
بعضها بعضا فتتسحق وتتفتت ، فراعته أن ينزل وسطها
ويكون مصيره مصير جلود منها . . . وفيما هو يعمل
فكره ، وفيما هو يلتفت يمنة ويسرة ، إذا به يرى
عجوزا تابة (١) تدب على عكاز غليظ ، مقبلة نحوه ، مادة
ذراعها المعروقة ، مستغيثة : « لهفى بنى ! بنى انتظر
ارجوك انتظر يا ولدى ! » من هذه ؟ لا يدري جاسون .
بيد أنه انتظر حتى أقبلت العجوز وسألها عن شأنها ،
فتوسلت إليه أن يحملها على ظهره ليعبر بها مجرى
السيلا ! ووجم جاسون قليلا ، لكنه ذكر وصاة شيوخ
أستاذه ، فتبسم ، وانحنى للمرأة فاحتملها على كاهله
القوى المتين ، ثم رجاها أن تدفع إليه بعكازها يتوكأ عليه
ففعلت ، وتقدم بخطى وثيدة ، ولكنها أكيدة ، إلى مجرى
لا يفكر في نؤيه وجلاميده ، ولا جيشانه واصطخابه ،
بل يفكر في أنه يجب أن يؤدي يدا لهذه العجوز التي
استغاثت به . . . وعبر مجرى السيلا ، وبلغ عدوته

(١) تابة أى متقدمة في السن

الآخري بعد عناء وجهه ، ووضع على السر مال اللينة
المتطامنة حمله .. ولكن .. يا عجبا !! أين هي المرأة
العجوز الحيزبون ؟ أين الكومة من الجلد المتهاافت ،
والعظام النخرة ، التي كانت ترهق كاهله ؟ لقد ذهبت
ووقف مكانها شباب رائع ، وجمال فتان ، وغادة حسان
مفتان !!

— يا لآلهة ! من أنت بحق السماء يا ربة ؟
— أنا ؟ .. ألا ترى الى هذا الطاووس المزهو بذيله
والوانه أيها العبد الصالح ؟
— أوه ؟ أو أنت جونو (١) ؟

وسجد جاسون بين يدي الربة ، سيدة الأولمب ، ثم
أذنت له في أن ينهض ، وأخذت برأسه فباركته ، وسألها
أن تهبه رعايتها في حله وترحاله فوعدت ، ثم رفت في
أثير السماء التي تفتحت لها أبوابا ، وغابت عن بصر
جاسون !

ووقف الفتى لحظة مسبوها مشدوها ، ثم انطلق في
طريقه .. وراعه بعد مرحلة طويلة أن يرى الى قدميه فلا
يجد الا نعلا واحدة في أحدهما .. أما الآخري ، فقد
ذكر أن السيل انتزعها من قدمه واحتملها ، وهو لا
يستطيع استعادتها ، لان حمله كان يرهقه !

ثم بلغ يولكوس
ورأى جمعا حاشدا حول ملكها بلياس ، السدى وقف
ينحر الذبائح ، ويقرب القرابين للآلهة ، ويفرق حواياها (٢)
على الفقراء ! فدافع الناس ، وشق طريقه الى حيث وقف

(١) عودنا القراء في أساطيرنا أن نسميها باسمها اليوناني (حيرا)
وهذا هو اسمها الروماني
(٢) حشاياها

الملك ، ثم سار الى عمه قدما ، حتى كان قبالة المذبح . .
وما كادت عين صاحب العرش - أو غاصبه - تقع على
الفتى الذى يلبس نعلا واحدة حتى شحب لونه ، وغاضت
الدماء الوردية من خديه ، وأخذ قلبه يخفق ويضطرب
اضطرابا شديدا . . ذلك لانه ذكر تلك النبوءة التى تنبأ
له بها أحد سحرائه ، والتى حذرت من الشاب الذى يقبل
من بلاد بعيدة لابسا نعلا ذهبية واحدة فى إحدى قدميه ،
فى حين يكون هو مشغولا بتقريب القرابين للآلهة !! أن
هذا الشاب يقتله !!

وأمر حراسه بالقبض على الفتى واحضاره الى غرفة
العرش فجاء به اليها ، ولم ينتظر حتى يبدأ عمه بالكلام
بل وقف أمامه جبارا يغلى الدم فى عروقه ، وطلب اليه
أن يعتزل الملك ويخلع التاج ، ويعطى الصولجان صاحبه ،
وأن يعيد الحق الى نصابه . . « لانك انتهزت ضعف أبى
الذى وهنت عظامه ، واشتعل رأسه شيئا . فعتوت عليه
وألبت عليه الأوشاب من مرتزة الجنود ، ورعاع
الشحاذين والأفاقين ، فلبست تاجا ليس لك ، واستويت
على عرش تزعزعه الجريمة من تحتك ، ثم حاولت أن
ترشو الآلهة وتخدع السماء بالاضحيات والقرابين ،
ولكنك لا تخدع الا نفسك فالتمس لها السلامة من موت
يبغتك ، ومغبة وبال يحيط بك . . »

وكان بلياس يسمع هذه الكلمات الشائرة كأنها سهام
تملأ أذنيه ، ومنايا تطير حول قلبه . . بيد أنه استعد لها
بالمكر ، وتهيأ لصدها بالخدعة ، فتبسم لابن أخيه وقال :
« ماذا تقول يا جاسون ؟ اتحسبنى يابنى قد سلبت أباك
عرشه ، وغلبته على صولجائه ؟؟ كلا والله يابنى كلا . . .
ولكن . . . ليسكن طائر ك قبل كل شيء . . فلقد دعوت
نظرا من (رعابالك !) لوليمة الآلهة ، وقد أقبلوا من كل

فج ، وهم ينتظروننا الآن ، وليس من حسن الرعاية
ولا من مروءة الملوك أن يستأنوا عن مواعيدهم ، فهم
تلقهم ياجاسون ، وترحب بهم ، فإذا فراغنا وفرغوا من
طعامهم ، عدنا سوية لنبحث هذا الأمر الذى أهمك
وأقلقك ، وملاً قوادك بالولياوس والاراجيف ، وسترى
أن الذى أنباك هذا النبأ زخرفه عليك ، وشوه حقيقته فى
نفسك ، بدليل هذه النيران التى تنقذف كلمات من
من فمك ! .. تعال .. مرحبا بابن أخى جاسون ؟ لشد
ما أنا مشتاق إليك يا حبيبى ! »

ثم قبله فى جبينه قبله صفراء قاتلة ، أفتك من قبل
التماسيح ، وانطلقا إلى ألبهو الكبير ، حيث صفت
الاخاوين (١) الحافلة بأشهى الاكال ، وأطيب الاشربات ،
وحيث جلس المدعوون إليها صفوفاً ولفوا ولفوا
وجلس جاسون فأكمل وشرب ، ثم أخذت الموسيقى
تعزف فتشرح الصدور الحرجة ، وتشفى النفوس من
كل حرد ، واعتلى المنصة التى أقيمت فى صدر الحفل
جماعة من المنشدين ورواة القصص ، شرعوا يسردون
قصصهم ، ويتناشدون أشعارهم ، ويروون من أنباء
الابطال ما يأسر القلوب ويسحر الالباب ، حتى أن جاسون
نفسه كان يصغى اليهم ، وكأنه يتلقى وحياً من السماء
يتنزل على قلبه ، ويدعوه إلى فعال الفتية الابطال

قال أحد المنشدين : « واسمعوا أيها الناس حكاية
الملك الذى صبا قلبه إلى امرأة غلبت قوادده وسحرته
بجمالها عن زوجته وأم طفليه ، فبنى عليها (٢) ولم يبال
أن ينقض ركن الاسرة وينهار عمادها .. ذلك هو أتماس

(١) اخوان لغاة فى خوان الذى جمعه خون وفى القلة اخونة
(٢) تزوجها

أحد ملوك تساليا في الزمان القديم ، ولقد فزعت الملكة
البائسة وخشيت أن يصيب طفلها مكر ضررها ، فاعتزمت
أن ترسلها الى ملك كولخيس ليكونا بنجوة من اينسو
الخبثية .. وفيما هي واجمة تفكر في ذلك اذا هرمز
الامين يتنزل من السماء فيسألها وتجيبه :

- نيفيل أيتها العزيزة ؟ فيم تفكرين حزينة هكذا ؟

- هرمز ؟ تباركت يارسول السماء ، أفسكر في ولدى
هذين وما عسى أن يصيبهما من مكر اينسو ..
- لا عليك يا حبيبة الآلهة ، اننى مساعدك ، كفكفى
دموعك ..

- شكرا يا اله الرحمة ، سأصبح لك ما حييت !

- وأين تحسبنيهما يكونان في سلام وأمن يانيفيل ؟

- لا يكون ذلك الا عند ملك كولخيس ، ولا أدري كيف
أرسلهما اليه !؟

- لا أهون من هذا ، فانتظري طرفة عين !

ومضى الاله فغاب برهة ، ثم رجع ومعه كبش عظيم ذو
فروة ذهبية وقرنين وحوافر من خالص الايريز ، فقدمه
الى الملكة المحزونة ليركبه طفلها ، ولينقلهما الى ملك
كولخيس ، وسجدت الملكة شكرا لهرمز ، ثم قبلت طفلها
فركسوس ، وابنتها هلة ، وطبعت فوق جبينهما وخدودهما
ألف ألف قبلة ، ودعت لهما ، ثم انطلق الكبش فى الاثير
يطويه بين بكائها الطويل وآهاتها التى لا تنتهى .. وطفق
الكبش يعرج فى السماء ، ويخفق فوق الممالك ، حتى
كان فوق بحر صاخب مضطرب تقلبت أمواجه ، وتناوخت
زواجعه . فنظرت الفتاة المسكينة هلة تحتها لترى ما
هنالك ، ولكنها فزعت فزعا شديدا ، حينما رأت سراطين

البحر وحلازينه تقتتل ، وتحترب ويأكل بعضها بعضا ،
فارتجفت رجفة هائلة ، وانفلت صوف الفروة من قبضتها
فسقطت من عل وجعلت تهوى حتى تردت فى البحر
وابتلعتها أمواجه ... ومنذ ذلك الوقت ، وهذا المكان
يعرف من أجل ذلك باسم (الهلسبنت (١)) نسبة الى
الفتاة البائسة هله ! ومضى الكبش يستبق الريح ، ويطوى
العوالم ، حتى وصل الى مملكة كواخيس ، فهبط قليلا
قليلا ، حتى اذا كان على الارض نزل الفتى فركسوس ،
فصلى للالهة ، وذرف الدمع على أخته ، وسلم على الملك
الذى هش له وبش ، وأحسن لقياء ، وأكرم مثواه ، ثم
شحن سكينه وتل الكبش لجبينه ، وكبر وسبح باسم
جوف وبأسماء آلهة السماء وجزر الحيوان قربانا لهم
جميعا ... وسلخ الجلد الذهبية وقدمها هدية للملك
الذى فرح بها فرحا شديدا ، لأنها كانت تعدل كل ما فى
كنوز الملوك من ذهب ... وقد ربطها الملك فى سندية
باسقة ، ووكل بها تنينا هائلا ليحرسها وليسهر عليها
من كل سارق رجيم ... ومنذ ذلك اليوم والفروة التى
تعدل ألف كنز معلقة لا تمتد اليها يد ، ولا يجسر أحد أن
يقرب منها والا جازف بنفسه ، فأصبح لقمة سائغة
للتنين ... »

(١) هو الدردنيل

أستاذك الذى نشأك ، وهذيك وأدبك ، هو شـبـيرون
السنتور الأكبر ، أستاذ أخيل العظيم ، وقد خلد أخيل
اسمه على أسوار طروادة ، وأعلى ذكره فى جميع الأنام ،
فلم لا تذهب الى كولخيس لتحصل على الفروة الذهبية اما
سلما واما حربا ، وأنت من أنت فى أبطال الوغى وصناديد
الحروب ؟ ألسنت أرمى الناس لسهم ، وأضربهم بسيف
وأجذقهم طعانا برماح ؟ انها فرصة المجد لمن يبتغى المجد
يا جاسون ، فلا تضعها ! لا تقل « بل حسبي أن أحكم
الناس » . فالناس يعشقون أشجع الناس . . . » وهكذا
طبق بلياس المخادع يزخرف للفتى ، حتى هاج فى صدره
الشباب نائم المنى وساكن الآمال . . . فرضى جاسون
بالاضطلاع بهذه المجازفة ، وظن أنها من اليسر بحيث
لا تستعصى على شجاعته . بيد أنه عندما خلا الى نفسه ،
وراح يفكر فى الوسيلة التى يبلغ بها مناه ، بدت له
حقائق أسقطت فى يده ، وجعلته يتخاذل ، ويندم على
الوعد الذى وعده عمه ، غير أنه ذكر ما قال له أستاذه
شبيرون من ضرورة احترام الوعد ، وربطه بالشرف ، فصمم
على السفر الى كولخيس وجلس يفكر فوق عدوة النهر ،
وكانت سمادير اليأس تملأ عينيه ، فلم يهتد الى الوسيلة
وانطلق الى غرفته ، فقضى فيها ليلة ليـلاء مثقلة بالهم
والفكر . . ثم انبلج الصبح ، فانطلق الى هيكل جونو عند
دوجونا . . .

— جونو . . . جونو . . . لقد كدت أنسى جونو ، يجب
أن أصلى لجونو ، فقد وعدتني أن تدركنى بغوثها كلما
جزبنى أمر . . . لقد حملتها على كتفى هذين فى صورة
عجوز شمطاء ! وهى ستحمل عنى هذه المرة !

ووقف بجانب المذبح يرجو ويتوسل ويصلى ، وكانت
سنديانة هائلة — هى الناطقة بنبوءات جونو — نامية وراءه

المذبح ، فسمعها جاسون تهتف باسمه وتقول :

- لبيك أيها الفتى لبيك ! لبيك وسعديك يا جاسون
يا حبيب جونو لبيك ! كفكف غوارب دمك فستترعاك
الربة وتحفظك .. تعال ! اصعد فوقى ! اقطع أحـد
أغصاني واصنع منه عصا ، واجعل لها رأسا على هيئة
السفينة التى تحملك إلى كولخيس ، وسيبنيها أرجس (١)
لك ، وذلك بأشراف مينرفا . ولتكن العصا معك دائما ،
ولكن لا تنقلها من السفينة فهى حارستها ، وكلما ألم بك
خطب أو حز بك أمر ، فارجع إليها ، فهى تكلمك وتشير
عليك وسكتت السنديانة ، وصنع جاسون العصا
وذهب عند سيف البحر ، ليرى عمال أرجس ، بأشراف
مينرفا ، قد فرغوا من السفينة الهائلة وأنزلوها إلى الماء
ففرح واستبشر ، وسماها (أرجو) نسبة إلى صانعها ،
ثم أعلن عن حاجته إلى نفر من شجعان هيلاس ، يقاسمونه
مجازفته ، فاجتمع إليه عدد غير قليل ، منهم هرقل الجبار
وكليستو ، وأدمتوس ، وتيزيوس ، وأرفيوس ، وبولكس
ويليوس . . . وأعدوا ميرتهم ، واستكثروا من ذخيرتهم ،
ثم همت الفلك ، واحتواها الماء

مساكين هؤلاء الأرجونوت (٢)

لقد كانت رحلة شاقة مضطربة بالمتاعب ، مليئة
بالاشجان ، فى بحر لجى وأمواج كالظلل ، ظلمات
بعضها فوق بعض ، وأهوال جسام يأخذ بعضها برقاب
بعض ، وطريق كله سعالى (٣) وأغوال

لقد لقي الأبطال الصناديد من أمرهم رهقا أى رهق . .
فلقد أرسد مرة نأرض شجراء باسمه الدوح ، ثما أيكها

(١) حيوان رائع من أتباع جونو

(٢) المسافرين فى السفينة (أوجو)

(٣) جمع سعالى أو سعلاء وهى الغول أو ساحر الجن

واستطال ، وغلظت جنوعها واستوت ، فبدا لهرقل أن
يصطحب غلامه هيلاس وينطلق فى الغابة يقطع أغصانا
تصلح لأن يصنع منها مجاذيف للأرجو ، فأوغلا . . . وكانت
الطريق ملتوية مضلة . . . فلما أن قطعا من الاغصان شيئا
كثيرا ، أصاب هرقل ظمأ شديدا لم يصبر عليه ، فأمر
هيلاس أن ينطلق فيملا جرة الماء التى كانت معهما من نبع
قريب كانا يسمعان خريره يتلاشى كالصدى فى سكون
الغابة . . . وذهب هيلاس ، وجلس هرقل ينتظره . . .
ولكن وقتا كافيا طويلا مضى قبل أن يعود الفتى . . . ثم
مضى من الوقت ساعة أو نحوها . . . ثم ساعتان . . . ثم
أكثر من ذلك . . . ثم أكثر . . . ماذا ترى ما الذى عوق
هيلاس ؟ أواه ! لقد كان هيلاس أجمل شباب الدنيا فى
ذلك الزمن ، ولقد كان له جسم سميرى مشوق ، وصدر
رحب أخيل ، ووجه تمتزج فيه بداوات الرجولة والفتوة
بقسمات الفتنة والجمال ، وعينان يترقرق فى بريقهما
لون من السحر لا يعرفه الا العذارى ، ولا تحسه الا
قلوب الحسان . . . وشفتان ان كانتا لرجل ، فقد
سرقتهما له الطبيعة الفنائة من فم غادة . . . وجبين مثالىء
وضاح ، لمح كاشراقة الشمس فى مولد الصباح . . .
تبارك الله ما كان أسبى وما كان أصبى ، وما كان أجمل
هيلاس !!

ذهب يملأ الجرة . . . وما كاد ينثنى ليضرب بها الماء ،
حتى رآته عرائسه الغيد ، الخرد الامالىس ، فشغفهن
وامتلك قلوبهن ، وبرزن من القاع ليسكرن بجماله ،
وينهلن من حسنه ، وليقسمن بسيد الاولب ما هذا بشرا ،
ان هذا الا ملاك كريم !! واقتربن من مكانه ، ثم لم يقوين
على البعد فاقتربن أكثر ، ثم تأجج الهوى فى فؤاد احدهن
وهى أجملهن ، ان كان فىهن من هى أجمل من أختها ،

فهتفت به ، فلم يجب ، فجذبتته من ذراعه جذبة نزل بها
الى الماء

— ماذا بالله عليك يا عروس ؟

— تعيش معنا !

— أعيش معكن فى الماء وأنا بشر ؟

— لن تكون بشرا بعد اليوم ، بل تكون الها كريما

— وأنى لى هذا وأنا غلام هرقل ومولاه ، وهو ظمىء
الى جرعة من مائكن تشفى جواده ؟

— ومن أذن لهرقل أن يزسو بأرضنا ؟ اذن هذا عقابه !

تعال ! سيمنحك الخلود سيد الاولب !

وجذبنه الى القاع .. ولكنه لم يغرق .. وهو يعيش

الى اليوم مع هذا السرب من الحور العين لا يخدم أحدا ،
ولا يجوع ولا يظمأ !

ونفض هرقل يقص أثر قتاه ، حتى اذا انتهى الى النبع ،

ووجد الاثار هابطة الى الماء ، الى غير هود ، صرخ صرخة

تجاوبت أصداؤها فى أركان الغابة ، ثم جلس ساعة على

حفاىى المقبرة التى ابتلعت هيلاس ، ينشج ويبكى ...

وأقسم لا يذوقن من مائها قطرة ، وأقسم كذلك لا يصحب

الآرجو فى هذا السفر ... وعاد أدراجه ، بعد رحلة طويلة

قطعها على قدميه الى أرض الوطن ، وعاش حياته الطويلة

المقاحمة لا يفتأ يذكر هيلاس ، ولا يفتأ يبكى على هيلاس !

وأرسنت الآرجو فى شاطئى تراقيا ، ونزل جاسون فى

نفر من رجاله يمتارون ، فعلموا أن ملكا أعمى يقال له

فنيوس ، شديد البؤس ، طويل الشقاء ، يحكم هذه المملكة

.. ولم يكن عماه وذهاب بصره علة شقائه فحسب ، بل

كان ذلك بسبب طيور غريبة الخلق ، لها جسم الطير وريشه

ومخالبه ، ورأس الانسان ولؤثمه وخبث طباعه .. كانت هذه

الطيور تنزل بساحة القصر الملكى ، ثم تهجم على غرفة الملك كلما حان موعد الطعام ، فتلتهم غداً ، فلا تبقى ولا تذر . وكان الملك فى أكثر الاحيان لا يجد لقمة واحدة يتبلغ بها . لان هذه الطيور لم يكن من دأبها أن تبقى على شىء . . . حتى على الفتات . . . ولم يكن يردّها عن قصر الملك كلما حان موعد الطعام ، قتلتهم غداً ، فلا تبقى تخمش وجوه الجنود وتمزق جلودهم كلما حاولوا صدها عن بيت مولاهم ، وكانت تفلت من سيوفهم وتمزق من سهامهم بخفة تحير الالباب ، ولم يحدث مرة أن أصاب أحد الجنود منها غرضاً ، حتى جن جنون الملك وتضاعفت بلواه ، وجأر بالشكوى الى آلهة السماء

. ودهش جاسون ، وذهب بال قصة الى رفاقه الارجونوت ، فتقدم اليه البطلان الضرغامان ، ولدى بوريس ، يقترحان أن يذهبا معه الى الملك المسكين فيعرضا عليه حرباً عواناً يشبان نيرانها على هذه الطيور ، فاما أن يتم لهما النصر عليها ، واما أن تكون لها الكرة عليهما . . . وصادف الاقتراح هوى فى نفس جاسون فانطلق معهما الى الملك الذى هش لهما وبش ، وفرح بما عرضاه فرحاً شديداً . . . فلما حان موعد الغذاء ، جلس الملك وضيّفه - وكان جاسون قد عاد الى السفينة - الى المائدة ثم لم تمض لحظات حتى أقبلت الطيور ترنق فوقهم وتدوم ، فوقف البطلان وامتشقا سيفيهما ، فلما هبطت ناوشاها مناوشة عنيفة ، ولم يمكناها من خدش واحد تحدثه ببدنيهما ، بل هجما عليها هجوما ذريعاً ، وأخذا يسقطان منها عدداً كبيراً كان يهوى فوق الارض فيلطخها بدماء حارة فائرة . . . وكلما هبطت واحدة طفقت تشكو وتبث بلسان يونانى مبين . . . ثم فرت بقية الطير . . . ولكن ملكتها حطت بمكان قريب من الملك ، وهتفت به كى يأمر

بوقف الملحمة التى تدعو بعض جندها لنقل جثث القتلى
... بيد أن الملك رفض طلبتها حتى تقاسمه أغلظ
الاقسام وأوكدها أنها لا تعود الى الاعتداء عليه أبدا ، ولا
تعود الى زيارة تراقيا كلها أبد الحياة .. فقاسمته
ملكة الطير ، وأشار الى ولدى بوريس فأغمد حساميهما .
وذهبت الملكة ، وعادت بعد قليل فى شرذمة من جندها ،
وبعد أن ذرفت من دموعها على قتلاها ، حملتها ، وذهبت
الى غير عود (١) . . . وبرت قسمها ، فلم تزر تراقيا
بعد هذا أبدا . وشكر الملك لولدى بوريس ، وعرض أن
يستوزرهما ، فاعتذرا شاكرين ، ليصحبا جاسون



وكانما ذاع نبا الهزيمة فى عالم الطير فهبت جبابرته
تأخذ بشار الهاربز ، فانه ما كادت أمرجو تبعد عن شطآن
تراقيا ، حتى رأى راكبوها سربا كبيرا من البزاة والنسور
البواشق يقبل من علو كأنما تفتحت عنه أبواب السماء ،
ثم لا يفتأ يضرب الهواء بخواف من نحاس تلمع فى أشعة
الشمس كالذهب ، حتى اذا كان فوق الارجو طفق يقذف
راكبيها بحجارة مسومة من سجيل ، فألحقت بهم اذى
كبيرا . . . ولم تنفع سيوفهم ولا قسيهم شيئا ، فاخبت
كل كوكبة منهم فى قمرتها وخلا جاسون الى عصاه السحرية
يستشيرها ماذا يصنع لينجو بقبيله من هذه الطير ، فتكلم
الرأس العجيب ، فأشار بأن يضرب الجنود بأغماد
سيوفهم على دروعهم ضربا شديدا فيحدثوا صسوتا
تنزعج الطير منه ، وتفر مروعة الى غير عود . . ودعا

Harpies

(١) تعرف هذه الطيور فى الميثولوجيا باسم هاربز
وروى أنها نفت نفسها فى جزيرة ستروفيدي

جاسون جنوده ففعلوا كما اشارت العصا وفرت الطير
ذاهلة ممزقة فى رحب السماء

وحاقت بهم كوارث أخرى لا حصر لها .. ثم أقربوا
من برزخ سمبلجيدز الذى ليس لمسافرالى مملكة كواخييس
سبيل غيره .. وهو مضيق رهيب يصل ماء بحرين
وعلى كل من عدوته صخرة هائلة ، فلا تزال الصخرتان
تنطبقان وتنفجران ، بحيث تسحقان كل شيء يحصل
بينهما فيصيرانه هباء عفاء كأن لم يكن من قبل .. وكأين
من سفينة جازف ملاحوها بالمرور بينهما ، فحطمتهم
وعفت على آثارهم .. ولم يدر جاسون ماذا يصنع
وجلس رفاقه يقلبون الأكف على ما أنفقوا فى مخاطرتهم
هذه ، وظلوا ينظرون الى الصخرتين ساعات وساعات
وهما ترتطمان ، وكلما سمعوا قصيفهما يجلجل فى الأفق
جعلوا أصابعهم فى آذانهم حذر الفشية وتقية الصمم ..
وخلا جاسون الى عصا جونو يستوحىها ماذا يفعل ، فما
كانت غير لحظات حتى تكلم الرأس العجيب ، فأشار
بأن يطلق جاسون حمامة بين الصخرتين حين تنفجران،
ويرى هل تمرق قبل أن تنطبقا عليها ؟ ثم يرى ، هل
يستطيع أن يمرق ملاحوه بسفينتهم بمثل سرعة هذه
الحمامة .. ؟ ودعا جاسون رجاله يستشيرهم ، ثم
أطلقوا الحمامة البيضاء كما اشارت العصا ، وكم كان
عجبهم شديدا حين رآياها تفلت من بين الصخرتين الا
ريشة واحدة انتزعت من ذنبها فصارت هباء نثره الهواء
واستعدوا للمقاحمة ، وطفقوا يقيسون مسافة ما بين
البحرين فى البحر الذى هم فيه ، ثم يطلقون حمامة كالتى
أطلقوا ، بحيث يعملون مجاذيفهم حين تنطلق فى الجو ..
وأعادوا التجربة مثنى وثلاث ورباع حتى وثقوا من

قدرتهم على قطع المسافة في مثل البرهة التي قطعتها
فيها حمامتهم الاولى .. ودفعوا سفينتهم الى اول
المضيق ، وانتظروا حتى أوشكت الصخرتان أن تنفرجا ،
ثم أعملوا مجاذيفهم بأذرع مستبسة ، وأرواح ترتعد
فرقا من الموت في أبدانها ، فمرقت السفينة ، كما يمرق
السهم عن قوسه .. واحربا !! لقد استطاعوا أن يفلتوا
بفلكهم ، وان حطمت الصخرتان سكانها (١) ، كما حطمته
سئل عن طلبته فقال :

.. وما كادوا ينجون من هذه الموتة المحققة ، حتى
انسدحوا (٢) في الفلك يلهثون ويتنفسون ، ويهنىء
بعضهم بعضا ..



وبلفوا كولخيس بعد جناء وجهد ، ومثلوا بين يدي
ايتيس ملكها الجبار ، فسلم جاسون بسلام الملوك ، ثم
سئل عن طلبته فقال :

— عز نصر مولاي ، لقد تجشمتنا مشاق هذه السفرة
في سبيل الفروة الذهبية التي يقتنيها ملك الملوك ، لانه
نمي الى أنها كانت من تراث آبائي .. ولا أدري كيف
حصل عليها السيد بعد اذ أفلتت من كنوزنا

وقهقه الملك ملء شذقيه كالساخر المستهزيء ، ثم
ربنت على كتف جاسون وقال :

— أى بنى ! أبق على شبابك الفض ، وجمالك الفينان ،
وعلى شباب هذه النخبة أولى القوة والفتوة ممن معك
.. أى فروة ذهبية يا بنى تبتقى ؟ وتراث آبائك من ؟ !
لقد ذبح فركسوس الكيش بيديه أمام عيني ، وسلخه بين

(٢) انطرحوا

(١) دفتها

يدى ، وضحى باللحم والحوايا (١) للآلهة ، ثم أهدى الى
الفروة الذهبية التى تعدل كنوز الدنيا بأسرها ! ففيم
اذن تجشمك تلك المشاق ، وفيم مجازفتك بالسفر بين
صخرتى سملجيدز ؟ ! وفيم كل تلك المهاوى والمهالك ؟
عديابنى الى بلادك فهو خير لك ، وأبق على حياتك ، وانعم
بحضن أمك الدافئ ، فهو أرحب لك من ميدان كله ذؤبان
وغيلان ، ومنايا تثير الاشجان والاحزان !

وتبسم جاسون وتشبت بما سأل الملك ، فأخذ ايتيس
يعظه وينصحه ، فلما رأى تصميمه واستمساكه ، قال له :
« لك اذن ماطلبت يابنى ، ولكن اسمع ، واصغ الى ،
ان أمامك مخاطر كنت أوثر الا تلقى بنفسك فى تهلكتها ،
ولكن ما دمت قد غرتك الامانى وأزهدتك هذه النخبة من
أبطال بنى جلدتك ، فاذهب اذن ، وحاول مااستطعت أن
تلجم عجلى فلكان الهائلين اللذين ينقذف اللهب من منخريهما
ويفتكان بكل من اقترب منهما ، ثم حاول بعد ذلك أن
تحرث بهما الارض الجبوب (٢) التى تقدست باسم مارس ،
فاذا فعلت فازرع ماحرثت بأنياب تنين كما فعل قدموس
بانى طيبة ، فانك لا تلبت أن ترى الارض تنبت جيلا من
المردة مقنعين فى الحديد يلاعبونك بأسنة الرماح ، فاذا
قدرت عليهم فان عليك أن تقتل التنين الهائل الذى يحرس
الفروة الذهبية ، فاذا فعلت ، ولا أحسبك تفعل ، فان
الفروة لك ، كنزا ليس كمثله كنز ، وذخيرة من الذهب
الابريز ليست تعد لها ذخيرة ، هذا الى فخر يرفعك الى
عليين ، وينقش اسمك فى لوحة الخلود الى آخر الزمان ! »
وسمع جاسون . . وخفق قلبه ، ووجبت روحه
وجيبا محزنا ، ثم أخذ على نفسه عهدا أن يفعل !
ونصحه رفاقه أن ينكت ، وأشفقوا عليه أن يضحى بهم

(٢) الغليظة

(١) الأحشاء

وبنفسه في مثل هذه المهالك ، بيد أنه صمم على أن يلجم
عجلى فلكان ، وأن يحرق بهما الأرض الجيوب ، وأن يزرع
فيها أثياب التنين ، وأن يحارب المردة ، فاما هزمهم واما
غلبوه ، وأن يقتل التنين الذي يحرس الفروقة الذهبية ليفوز
بها وليعود الى الوطن بالفخر والمجد وخالداً الذكر ، فيحكم
ويكون خير الحاكمين !

وكان يتكلم أمام رفاقه في شجاعة مدعاة ، وفتوة مفتراة ،
فاذا خلا الى نفسه حزن أشد الحزن ، واسلم نفسه
للتفكير العميق . . ثم استوحى عصاه السحرية ، فقالت
له : انه ينبغي عليه أن يلقي ابنة الملك الاميرة ميديا ،
فانها مشفوفة به حباً منذ أن رآته يحدث أباه . . وانها
تكاد تجن به جنونا

— وكيف ألقى ميديا هذه يامعجزة جونغو الحبيبة ؟

— اتصل بأحدى عجائز كولخييس تقض حاجتك

— ومتى ألقاها وأين ؟

— يالك من فتى ؟ ! ألم تسمع من يقول : وكم لظلام
الليل عندي من يد ؟ ألقها في جناح الليل ، ولتكن له يد
عندك ، وألقها في حديقة قصر أبيها الملك !

— وله ؟ ألسنت ابن ملك مثلها ؟ ألسنت صاحب
عرش عظيم ؟ أليس لي ملك تساليا بعد أن أعود من رحلتى
هذه ؟

— بلى يا بني ! ولكنها تخشى أباه أشد الخشية ،
أليس يرى فيك عدوه الأكبر لما تريد من استلابه الفروقة
الذهبية التي هي أكبر كنوزه ؟

— دعني هذا اليوم يا أماء ، ولكن طمئنيني كان الله . .
هل تحبني ميديا حقاً ؟
ومن أنباك هذا ؟ . .

— نبأتنه ربة من السماء لا تضل ولا تنسى .

- ربة ؟ تقدس اسمها ؟ ! من عساها تكون ياترى ؟
 - هى جونو يا أعز الامهات ؟ لا أكذبك ، انها جونو !
 - اتعرف ماتقول ؟
 - وهل يكذب بشر على آلهته ؟
 - ان كان ماتقول حقا . فلا أذيع سرا أذاعته سييدة
 الاولب ، ومليكة جوف الكبير المتعال ، ان ميديا يا بنى
 مولعة بك ولوها شرد المنام من عينيها ، وجعلها فى أيام
 معدودات طيفا لا يردد لسانه غير اسمك ، ولا تذرف
 عيناه الا من أجلك .. و ..
 - ميديا تبكى ؟ ومن أجلى ؟ ولم تبكى ؟
 - تبكى لانك كلفت بأمور لا تحملها الجبال ! وأين أنت
 من عجلى فلكان والارض الجيوب التى لمارس ؟ ومن أنت
 والجيش العرمم من المردة من نبات أنياب التنين ؟ ثم
 من أنت وما هذا كله فى مواجهة التنين الهائل الذى
 يحرس الفروة ؟ حقا لقد جازفت بنفسك حين وافقت الملك
 على خوض تلك المخاطرة ..
 - وما رأى اذن ، ولا بد مما ليس منه بد ؟
 - رأى أن تلقى ميديه فى حبيبتك ، وان عندها ،
 فضلا عن ذلك ، أم كتاب السحر ، ولن تبخل عليك
 بعلمها مهما كلفها ذلك من حنق أبيها ، واغضاب أربابها

لقد كان الليل يضرب على الدنيا بجراحه ، وكانت النجوم
 تلتهب فى فحمته كقلوب المحبين ، والفرقدان يتقدان من
 هول الزيارة المطلوبة بين العاشقة المدلّهة ، والفتى المقاحم
 ذى الآمال ..

وأقبل جاسون فوجد العجوز تنتظره عند الباب الخلفى
 ... وهمست إليه ، فسار فى أثرها ، حتى كانا عند
 منعرج مسوج بنبات ذى عساليج ، يؤدى الى رحبة

واسعة ينتشر في أرجائها أرج الورود، والرياحين ، حتى
ليوقظ القلوب النائمة، ويعطرها بفغمة (١) الحب ويسكرها
برحيقه المختوم ، الذي كله لغو وتأثيم !

وهناك ، كانت تنتظره ميديا بنفس غرثى (٢) ، وقلب
ظامىء خفق ، فلما رآته غمرها احساس ثائر ، واستولت
عليها عاطفة صارخة ، لم تستطع معها الا أن تلقى بنفسها
على صدره القوي الرحب ، تبلله بدموعها ..

ووقف جاسون ساكنا هادئا ، كأنما كان يوجس خيفة
من هذا الحب الذى أقبل فجأة يهاجمه ويدارأ عليه ،
ويدفع بعضه بعضا من حوله .. لقد كان قلبه باردا
كالثلج ، وذراعاه جامدتين كالبرخام .. وكانت ميديا
تبكى وتنثر اللؤلؤ من عينيها المرتجفتين ، ولكنه لم يستطع
أن يرد تحية واحدة من تحايا هذه الدموع .. وكأنما كان
يحس ، حينما كانت الفتاة تلف ذراعيها حوله ، أن حية
رقطاع تتحوى عليه ، وتنفت سمها فيه .. لماذا ؟ لهم تكن
الا الآلهة وحدها تدرى !!

— جاسون .. أحبك .. أحبك من أعماق أغوار قلبي ! لم
أكن أعرفك قبل أن رأيته من الشرفة تكلم أبى ، فلما
رأيتك فنيت فيك ..

— أشكرك يا عزيزتى .. أشكرك شكرا لا أدري كيف
أعبر عنه !

— جاسون ! ألا تكون لى الابد ؟

— أنا خادمك .. بل عبدك إذا شئت !

— لم رضيت لنفسك ماعرضه عليك أبى يا جاسون ؟

(١) الفغمة : الرائحة الجميلة

(٢) غرثى : جائعة والمراد مشوقة

— وماذا يخيفنى ياميديا ؟ نحن الاغريق لانرهب الردى،
ولانخاف الموت !

— هذا جميل .. ولكن الموت اكره الاشياء واقبحها
لمثل هذا الشباب !

— قد انتصر ، والنصر لا سيما فى المخاطرات ، أجمل
تاج يتألق على جبين الشباب !

— هذا محال اذا لم تساعدك !

— تساعديننى ؟

— أجل ؟

— وكيف ؟

— عدنى أولا !

— وبماذا أعدك يا أعز الناس !

— أن تكون لى .. أن نتزوج !

— أعدك !

— بل أعطنى موثقتك !

— أقسم لك !

— بل أحلف بجونو ، فهى حارستك واحلف بهياكاتيه !

— أ .. أ .. أحلف .. أحلف بجونو ! وبهياكاتيه !

— تحلف بجونو ماذا ؟

— أحلف بجونو أن نتزوج !

— وأن يعيش كل منا للآخر الى الابد !

— ا .. ا .. الى الابد ؟ !

— اذن .. لاضير عليك .. ستنجو من كل شىء يا جاسون

.. خذ ! ..

— ماذا ياميديا ؟

— أسلحتك التى تقيك !

— أسلحتى .. ؟ هاتان علتان .. وهذا حجر أسود

صغير ! أكل هذه أسلحتى ؟ ماذا أصنع بها ؟

— علبة من فضة اذا فتحتها اصاعدت منها ريح تفل
من حدة عجلي فلكان ، وتقى وجهك حر النار التي ينفثانها
من منخريهما ، فتستطيع ان تلجمهما وتضع على عنقيهما
النير حتى يكون المقوم (١) بيدك ، أما الحجر الاسود
الصغير فتقذفه وسط المحاريين الذين تنبتهم ارض مارس
الجبوب ، وانه لحجر مسوم من سجيل ، يجعلهم كعصف
تأكل ! وأما العلبة الصغيرة الذهبية فتنثر مما بها من
طيب في وجه التنين ، فيسكر وتتخدر أعصابه وينام
لساعته ، ولك عندها أن تقضى عليه ..
وسكتت ميديا .

ومدت فمها الى جاسون ، فطبع عليه قبلة فاترة
خائفة ترتجف وترتعد ، مما سمع من سحر الحجر الاسود ،
وريح العلبة الفضية ، وطيب العلبة الذهبية !!



وكان الجو العبوس القمطير يزد في منظر الحفل
الحاشد روعة ورهبة ، وكان الملك الجبار يملأ بجسمه
الضخم ، عرشه المرد ، فوق الاكمة المشرفة على الارض
الجبوب المقدسة باسم مارس ، وكان الناس الذين أقبلوا
من كل فج مشاة وعلى كل ضامر ، يجلسون على الشعاف
وأحياد الجبال المطلة على الميدان ، متراحمين متدافعين
كانهم في يوم حشر ... وكان اخوان جاسون يجلسون
عصبة بينهم وفي قلوبهم حسرات على صـاحبهم ،
والسنتهم ماتفتت عن الدعاء له ، والتوسل الى الآلهة
من أجله .. وكانت ميديا العتيقة تجلس في ركن من
مقصورة الملك تشعوذ وتعوذ وتطلق الرقى ..

(١) المقوم الخشبة بين الثورين يمسك بها المحراث ، أما النير ،
فالقصة التي تشد المحراث على عنقيهما (الثعالبى)

ثم دق الناقوس الكبير فصمت الناس وشملهم سكون عجيب . . وانفتح باب الزرب فبرز عجلا فلكان ، ثم جعلا يعصفان ويتلبطان (١) وينفثان من منخريهما شرراودخانا يختلط بهما لهب أزرق ، مامس شيئا في الميدان الاحرقه . . حتى العشب الرطب المندى ، بله الهشيم اليابس . . ، . . وبرز جاسون من مكمته ، فانحبست أنفاس الناس ، وسكنت الريح ، وأشرف الآلهة من نوافذ السماء تنظر الى هذا اللقاء العظيم . . وأهطع (٢) أصحجاب البطل ، وطارت ألوان وجوههم ، وتحسس كل منهم فؤاده . . . ولكن جاسون الهائل خطر شطر العجلين غير هياب ، وعليه دروعه ، وفي يده سيفه ، فلما كان قاب قوس منهما ، جعل يتلطف بهما ، ثم فتح العلبة الفضية فصعدت منها ريح هدأت ثورتهما ، وأسست قيادهما ، فأسرع الى النير فوضعه على عنقيهما ، وشد وثاقه ، ثم ربط اليه المحراث وبدأ عمله الشاق . . وكانت الريح السحرية قد بطل عملها أو كاد ، فعاد العجلان الى سابق دأبهما من التوحش والقمصاص والشبوب (٣) وعاد منخراهما يقذفان دخانا أبيض وشواظا . . بيد أن جاسون سيطر عليهما حتى أتم حرث الارض كلها ، ثم قادهما الى زربيهما وأطلقهما ، وغلق عليهما ، وقصد ناحية الملك يسأله أنياب التنين ليزرعها . . فدفعها الحراس اليه ، ووفق يغرسها في الارض الرحبة ، حتى اذا فرغ من عمله ، نظر ، فاذا رؤوس مقنعة في خوذات من حديد تثبت من الارض ، ثم تنمو فتبرز الرقاب ، ثم تظهر الصدور وعليها الدروع السابغات ،

(١) الامصاف السير السريع الذي يثير الارض ، ويتلبطان يختلطان في سيرهما

(٢) ملأوا رؤوسهم

(٣) أن ترفع اللابة يديها غاضبة

ثم تشقق الارض وتكون الجذوع كلها من فوقها ، وتخلص
الاذرع وفي أكفها السيوف المرهفه تلاعب الهواء .. ثم
ترتفع الافخاذ وعليها كل لامة دلاص (١) ، ثم يقف أمام
جاسون جيش عرمرم من هذه الشياطين المسلحة ترغى
وتزبد وتزأر ، ثم ينقض عليه الجيش بأكمله ، وقد شرع
كل جندي بحسامه ، فيتلقاهم البطل بأحسب ما علمه
شنيرون أستاذه العظيم من قوة في كر ، وحزم في فر ،
وحذق في تحرف لقتال ، ورسم لخطط النضال ..
وكان الملك ينظر الى كل ذلك ويتعجب ، وكان الشعب
يفغر أفواهه من دهش وذهول .. وكانت ميديا - برغم
ما سلحت به جاسون من سحر - تمسك قلبها الخفاق
بيدين مرتجفتين .. أما رفاق جاسون ، فوا رحمتاه لهم !
لقد كانوا يرون الابلاسة يحدقون به من كل صوب ،
ويزاللون الارض تحت قدميه ، فتزيغ أبصارهم وتقلب
قلوبهم ، وتتثلج مشاعرهم ، وينظر بعضهم الى بعض ،
لا يملكون لهذه ردا ولا دفعا ..

وظل جاسون يناضل ويناضل ، وكلما قتل عشرة
وقفت مائة مكانها ، وكلما جندل مائة بدلت بألف ،
فانقذف شيء من الرعب في قلبه ، وسرى الى نفسه دبيب
من اليأس كاد يقتله لولا أن أقبلت جونو تكلمه في بسمة
روحت عن قلبه ، وتذكره بالحجر الصغير الاسود ..
ولكن الحجر الصغير الاسود كان في جيب صدره ، فأثني
له به ولو غفل لحظة عن الدفاع عن نفسه لباء بقتلة
شنيعة يقطر سمها من ألف ألف سيف !!

وجعل المسكين يحاول مرة بعد مرة أن يخرج الحجر
الصغير الاسود .. ولكن محاولاته كلها ذهبت سدى ..

(١) الذرع الواسعة السابغة

وكان قد بلغ منه الجهد ، وتولاه الأعياء والضنى . . فلهج
لسانه فجأة باسم جونو . . فأسرعت سيدة الاولب
لنجدته ، وأخرجت الحجر الاسود من جيبه ، ووضعت في
يده ، فقفه جاسون وسط جيش الاعداء المحدثين به ،
فما هي الا طرفة عين حتى تفرقوا من حوله ، ثم تصرعوا
غير مأجورين . . وماتوا جميعا

وأهرع أصحاب جاسون اليه ، وطفقوا يحيونه ويهنثونه
ويذرفون حوله دموع الفرح لما كشف عنه من غمة هذا
البلاء ، ثم حملوه وهم يهتفون أحر الهتاف ، وأهرعت
الجموع الزاخرة في آثارهم نحو البحر ، وهي لا تفتأ تردد
صيحات الاغريق ، حتى خاف الملك على عرشه أن يثله
شعبه ، وأن يجلس عليه جاسون . . لذلك اربد وجهه ،
وانتشرت عليه سحابة من الكآبة والهم تملأ أساريره

وبلغ الاغريق سفينتهم فشكروا للكولخين جميل ما
حيوا به بطلهم ثم خلوا بعد ذلك إلى جاسون فنضوا عنه
ثيابه ، وضمخوه بالطيوب والعطور ، ثم هياؤا له طعاما
وشرابا ، من أفخر ما يقتنون . وفي الليل أسر لهم بسرهم
وانطلق اليلقى ميديا

ولقيته ابنة الملك بابتسامة لم يجزها عليها بمثلها . . .
ثم تركها وقتا غير قليل تغمره بقبلها وتنضح يديه وتخديه
وجبينه بدموعها ، وتعبر له عما كان يقيمها ويقعدها حينما
انبرى لعجلى فلكان ، وحين أحرق به أبالسمة التنين يقاتلونه
ويتكاثرون عليه ، وهو صابر لهم ، ثابت لجموعهم ، حتى
قذف الحجر فانقذفت في قلوبهم المنايا

- أرايت اذن يا حبيبي ما صنع الحجر الاسود من
السحر ؟ أيقدر على مثل ذلك غير من أوتي من العسل
ما أوتيت ؟

— كلا !

— ما لك لا تتكلم يا جاسون ؟

— الفروة الذهبية ! أريد أن أفرغ من هذا الهم الطويل ؟!

— الفروة الذهبية لك من غير ما ريب ، فلا تبتئس !
قبلنى !

وطبع على ثغرها قبلة ميته كانت ترتجف من شياطين
السحر التى ترقص دائما فى فم ميديا . . . وانطلقا الى
الجانب القصى من الغابة المجاورة ، حيث كان التنين الهائل
يحرس الفروة المعلقة على شجرة السنديان ، وهناك ، فتح
جاسون العلبة الذهبية ثم اقترب من التنين فى غفلة منه ،
وقذف فى وجهه بما كان فيها من قطرات السحر . . .
فترنج الوحش المخيف الهائع ، واستل جاسون جرازه ،
وأغمده فى صدر الافعوان الكريه ، فخر يتلبط فى دم
غزير . . . وانقض الفتى على الفروة الثمينة التى ترجح
ألف كنز فانتزعها من الشجرة . . . وعادا عجولين الى القصر
الملكى الرهيب ، حيث كان وصيفاتها فى انتظارها ، وقد
جمعن كل ما استطعن حمله من أذخار القصر ، كما رسمت
لهن ميديا من قبل ، وحين أوشك الجميع أن يغدوا السير
الى الأرجو . . . اذا بالفتى أبستروس ، أخو ميديا غير
الشقيق ، وولى عهد الملك ، يقبل لبعض شأنه ، فتغريه
أخته بالسفر معها فى رحلة جميلة الى أبداع بلدان العالم
. . . تساليا . . . ويرضى ولى العهد . . . وينطلق الجميع
الى المرفأ حيث رست الأرجو ، فيركبون فيها ، وتقلع بهم
فى موج كالجبال

أقلعت الأرجو وطفقت تطوى عابا من بعده عباب ،

ولجة من ورائها لجة ، وبدا الطريق كأنه يطول ، والافق
كأنه يحلوك ، والسحب كأنما تتجمع من كل صوب
لتتعد فوق الآبقين بكنوز ايتيس وابنته وولى عهد ٠٠٠

ونمى الخبر المفزع الى الملك فجن جنونه ، وهب من
قوره يعد أساطيله ليقتفى آثار جاسون ، عسى أن يقبض
عليه ، ويعود بأبنيه وأعز كنزه ٠٠٠ وانطلق هو الآخر
يطوى العباب ، ويتواثب بأسطوله فوق أعراف الموج ،
ووقف بين الملاحين يحضهم ويحرضهم ، ويستحثهم
ويشجعهم ، حتى لاحت الأرجو لهم كالنكتة السوداء فى
حمرة الشفق ، أو المطوقة الورقاء فى صحيفة الافق ،
فضاعفوا الجهود وشدوا الاذرع ، واستبقوا اليها من
كل فج ، وكانت سفينة الملك فى المقدمة كالطائر الدليل
يتبعه سائر السرب ، ونظر الارجونوت فأبصروا السفينة
تنقذف فوق نواصى الموج نحوهم ، فراحوا بدورهم يعملون
المجاديف ويهددون الشراع للريح ، وكلما اقتربت
السفينة منهم خفقت قلوبهم وشاع فيها الذعر ، وكانت
ميديا تنظر الى مركب أبيها وترتعد فرائصها من الفرق
٠٠٠ وفكرت فى ألف حيلة وألف سحر ، ولكن أفكارها
ذهبت كلها أباديد ، وبطل سحرها كله ، فهو لا ينفع
ولا يفيد ٠٠٠ واقتربت سفينة أبيها حتى صارت على
رمىة سهم ٠٠٠ وأخذ أبوها المسكين يهتف بها وينادى ،
ويتوسل أن ترد اليه ابنة ٠٠ ابنة الأوحى ٠٠ أبستروس
٠٠٠ « ميديا ! ابنتى ! أنا أبوك ! أتوسل اليك ! ردى
على ولدى واذهبى أنى تشائين ! انه أمل فى الحياة ! انه
ولى عهدى وحافظ ذريتى ! ميديا ! أرسله فى زورق
واذهبى أنت ٠٠٠ ! » ولكن الفتاة غلقت فؤادها وسدت
بالجحود سمعها ! والأسفاه ! يا للقاسية ! يا لبرودة
القلب الذى لا يحس ، والنفس التى لا ترحم ؟ لقد أمرت

ميديا بالفتى فأحضر اليها ، ثم شحذت سكينها وأغمدهته
فى صدره ، وتدفق الدم الحار . . . دم الشباب الفينان
. . . يلطخ اليد الاثيمة المجرمة . . . اليد الشقية ، يد
ميديا التى طوعت لها نفسها المغلقة قتل أخيها ، ثم
تقطيعه اربا . . ؟



ماذا خطر برأس الساحرة ؟ أواه ! لقد أخذت تمزق
أخاها مزقا مزقا ، وكلما أقتطعت منه شلوا قذفت به فى
الماء ، وأبوها المسكين المجنون يرى ، فيضطر أن يتلبث
عند الشلو لينتشله ، ثم يتلبث عند الشلو الذى يليه . . .
وهكذا دواليك ، حتى انتشل آخر الامر الرأس العزيز
. . . الرأس الصغير الذى كان يبسم لاينع الآمال ، ويحلم
بأجمل الامانى . . . رأس أبستروس . . . ولى العهد ،
والأمل المدخر لامة بأسرها . . .

لقد انتشر الظلام فى عيني الملك . . . وغمر قلبه
قنوط مر . . . وأمر الملاحين فطروا الشراع ، وأخذوا
يعودون أدراجهم الى الوطن فى بحر هادىء كله هم ، وكله
حزن ، وجلس ايتيس وبين يديه أشلاء ولده يغسلها
بدموعه ، ويخضبها بالدم الذى تذرفه عيناه

- آه يا بنى ! أية فروة وأى كنز ؟ ليتك خلصت لى
بكل ملكى ! ميديا ! غضبت عليك آلهة السماء يا عاقه !
تبت يداك يا أغدر البنات ! ألا ليت أمك لم تلدك . . . !
أبستروس ! رد على أيها الحبيب . . . ! « وهكذا ظل
الملك المحزون يجتر أشجانه حتى عاد الى الوطن !

ولكن جاسون ما خطبه ؟ ! مسكين ! لقد كان ينظر
الى ميديا وهو مأخوذ بما تصنع ! ولقد حاول أن يمنعها
من ارتكاب هذا الاثم . . . لكنها حدجته بنظرة أمرة كان

يرقص فيها ألف جنى ، فسكت ! وهل كان فى وسعه أن يفعل شيئا ؟ ! أليس يذكر الحجر الواحد الصغير الاسود الذى أهلك جيشا بأكمله ؟ ورد عنه كيد ألف ألف مقاتل من المردة الجببـــــايرة ؟ ! بيد أنه عرف ماذا يحجز بين قلبه وبين فم هذه المرأة الهائلة حين كانت تغمر خديه وجبينه بالقبل ! لقد كان السر الرهيب المطوى فى صحائف الغيب هو الذى يصون جاسون من مبادلتها حبسا بحب وغراما بغرام ، وقبل حارة ملتبهة بمثلها !

وقد فكر جاسون فى ملكه الضائع المغتصب ، وفى أبيه الضعيف الطريد ، وفى عمه الجبار العتى ، وفكر فى قوة ميديا الخارقة ، فآثر أن يبقى عليها عسى أن تنفعه ... لهذا أظهر لها التودد ، وتعمل فى حضرتها البشاشة ... حتى وصلت الأرجو الى ايولكوس ، حاضرة تساليا .. وحمل جاسون الفروة الثمينة ، وقصد الى عمه ...

وذهل بلياس ... وجعل يحملق فى الكنز العظيم الذى أتاه به ابن أخيه ... وجعل يلمسه بيديه كأنه لا يصدق ... ولكن كيف لا يصدق وهذا بريق الذهب يكاد يذهب سناه ببصر عينيه جميعا ؟ !

- « ترى ماذا صنع هذا الفتى حتى وسعه أن يقهر ملك كوالخيس على هذا الكنز العظيم ؟ ان الملك كان أحرص عليه من نفسه التى بين جنبيه ؟ ألا كم هلك أناس طمعوا فى فزوة فركسوس ؟ عجلا فلكان ! وأرض مارس ! وجيل بأكمله ينبت من أنياب التنين ... ؟ والأفعوان الهولة الذى يحرس الفروة ؟ أظفر جاسون - هذا الفتى - بكل أولئك ؟ جاسون ابن أخى ؟ عجيب وحق الآلهة ... ؟ بل أسأله ، فلا بد من سر فى هذا الامر ... » وسأله ، وتبسم جاسون ، وراح يلفق قصة طويلة قذف بها الرعب

فى جوانح عمه ، وظل يتغنى بشجاعته ، ويصف ما كان
من ظفره بعجلى فلكان ، وحرثه الارض الجبوب ، وغرسه
أنياب التنين ، ثم هذه الحرب الزبون التى شبها عليه
المردة وما كان من افناؤه لجموعهم ، وتلك الملحمة التى
قتل فيها التنين الرهيب الذى وكلت اليه حراسة الفروة
العظيمة . . . ثم انه لم يشر بكلمة الى ميديا

وأكرم عمه مثواه وطلب اليه جاسون أن يتنزل له من
العرش ، فمطله ، وراوغه ، وزخرف له الامانى ، حتى
أيقن جاسون أن عمه يعبث به ، بل يدبر له غيلة يخلص
له العرش من بعدها ، ولا يعكر عليه صفو الحياة أى من
تلاميذ شيرون



ولقى جاسون أباه فراعه أن يرى كسومة من العظام ،
نخرها الكبر ، وجللها المشيب ، وأوهاها الحزن ، وأوهنها
الالم المتصل ، وناءت تحت كسوارث الزمان . . . وبكى
جاسون ! ولكن أباه انتهره وقال له : « أى بنى ! ليس
لرجل مثلك شب على فضائل شيرون أن يبكى ! انما يبكى
النساء والمستضعفون من الرجال . على أنه ماذا يبكيك ؟
ألا ان كان يبكيك اقتلاع أبيك من العرش ، فلهذا عهدت
بك الى أستاذك العظيم ، وأحسبه قد ذكر لك ما كان من
وصائى له حينما عهدت به اليه يهذبك ويؤدبك ، ولقد
أصبحت رجلا شيخا هالكا ، أما أنت فمن صباك فى ابان ،
ومن عنفوانك فى ريعان ، وأنت بالعرش أحق منى وأولى ،
وهو بك منى ومن عمك أليق ، ولن أغفر لك قعودك عنه ،
وليس قى تساليا الا شعب يحبك ورعية تلهج بالثناء
عليك ، فشمر عن ساعدك ، واطلب حقك بالقنا يا جاسون »
وذهب الفتى ، وقد اضطرم بين جنبيه جحيم من النعمة

- على عمه ، فلقى أول من لقي ميديا
- ماذا ، فيم أنت مقطب هكذا يا حبيبي ؟
- لا شيء ... لا شيء مطلقا !
- لا شيء ؟ وكيف ؟ ألا تفهم ميديا ما فى نفسك ؟
- حدثنى ولا تخف على ! ...
- لا شيء وحقك يا ميديا
- أو مصر أنت على كتمان دخيلتك عنى ؟ اذن لقد كان أبوك يعظك !
- أجل ! وبهذه المناسبة أريد أن أقول لك كلمة ...
- قل يا حبيبي ! تكلم يا جاسون !
- ان لك الماما تاما بغرائب السحر ، وعلم التعاويذ والهرقى ، ولقد أنفعنى علمك فى أخرج مواقف ... ولن أنسى مساعدتك يوم لقيت عجلي فلكان ، وحاربت المردة ، وقتلت الثنين ... انما فعلت كل أولئك بمعونتك ، ولى رجاء اليك ...
- رجاء ؟ أى رجاء يا حبيبي ؟ انما لك أن تأمر ...
- شكرا ... ! الا تستطيعين يا ميديا ان تردى الشباب الى أبى ؟ أنه رجل شيخ محطم ، وأن الايام لتنحدر بهالى القبر ، كما تنحدر صفوانة (١) من شهاق ... فهل عزيز على علمك أن ترديه الى ما ولى من الصبي ؟ ...
- خذى من عمرى فصلى عمره ان استطعت ! أتوسل اليك يا ميديا أن تفعل ! ...
- اطمئن يا حبيبي فليس أيسر مما طلبت ، وسأرده الى ميعة شبابه بقليل من العناء ... وسأزيد فى عمره

(١) حجر

ما أحببت على ألا تنقص سنوك شيئاً بل تزيد ان شئت؟!
لقد كان البدر تاماً والليل الفضى الجميل أروع ما ينثر
لجينه على الطبيعة النشوانة (١) ، وكل ما فى البرية
نائماً ساكناً والعشب الحلو كان نائماً كذلك . . . وكانت
ميدياً تخطر كالشبح الأبيض بين الآكام وملء الأدغال ،
حتى أتت الى ربوة تشرف على كل ما حولها فصعدت فوقها
. . . وتلبثت قليلاً تفحص الطبيعة الرائعة فى الأرض
والسماء بعينيهما الجبارتين ، ثم بدأت تتلو تعاويذها
وتقرأ رقاها . . . وتصلى للنجوم صلاة سحرية كان
يحملها الليل الصامت الى أرجاء السما ، والى القمر الحالم
الساهم . . . ثم سبحت سبحاً طويلاً باسم هيكايتيه ربة
السفل والسحر ، وباسم تللوس ربة هذه الأرض العجيبة
النائمة التى تنبت البقل والعشب لما تعمل ميدياً ، وصلت
كذلك لآلهة الغاب والانهار والبحار ، والغدران ، والآلهة
الرياح والضباب والسحاب ، وصلت لجميع الآلهة ، ولم
تفتر تطلق التعاويذ وترسل الرقى . . .



ثم سكنت ، وصمت من حولها كل شيء ، حتى الرياح
كتمت أنفاسها ، ثم تشبقت السما فكانت وردة كالدهان
. . . ثم انفتح باب كبير من ذهب ، وبرزت منه عربة
عجيبة يجرها أفعوانان هائلان ، فلم يزالا يطويان الرحب
حتى كانا عند قدمى ميدياً . . . وتقدمت الساحرة وهى
تبتسم ، فركبت فى العربة وانطلق الأفعوانان يجرانها فى
الهواء ، ويرفان بها فوق الوديان والغيران ، وفوق قلال
الجبال وهضاب الأرض ، وفوق الغاب الساكن المستتر ،
وفوق الانهار والبحار . . . حتى انتهت الى آخر اقطار

(٢) المشهور نشوى وقد استعملنا هنا لغة بنى أسد ككرانة

الارض ، حيث تنبت الاعشاب العجيبة التى تنفعها فى
سحرها وهناك . . . مكثت الساحرة تسع ليل
بعيدة عن العالم تجمع العشب وتنتقى البقل ذا الاسرار ،
ثم ركبت عربتها ، وانسابت فى الهواء حتى أتت بيت
جاسون ، فنزلت بحملها العجيب ، وعرج الافعوانان فى
السما . . .



وفى الصباح ، فوجئ جاسون بوجودها فذعر ذعرا
يشوبه شيء من التفاؤل بعودة الشباب الى أبيه كما وعدت
. . . وأمرت أن يخلى بينها وبين ايسون حتى لا ترى عين
الى ما تصنع ، ولا تنكشف أسرار سحرها لاحد ما من
العالمين . ثم انها أقامت مذبحين عظيمين أحدهما باسم
هيكاتيه ربة السفر والسحر ، والآخر باسم هيب ربة
الشباب ، وذبحت لكل شاة سوداء فأحمة السواد ، ثم
صببت على دماثهما صلاة للربتين من خمر ولبن . . .
وتوسلت بعد ذلك الى بلوتو رب هيدز ، والى زوجته پرسفونيه
ألا يعجلا بقبض روح ايسون . ثم بدحت (١) نحو
الرجل فتمتعت برقية أسلمته الى نوم عميق ، وأضجعتة
على فراش مهدته له من الاعشاب العجيبة التى حملتها من
أقصى الارض ، وطفقت بعد هذا تخطر وتدور حول الجثة ،
وشعرها المتهدل يداعبه النسيم ، وصدرها المنكشف ناهد
نحو السماء . . حتى اذا أتمت دورات ثلاثا وقفت وشحذت
سكينها ماضيا ، وجعلت تشعل أعوادا من عشبها وتنظمها
حول المذبحين . ثم تناولت ادواتها التى حفظت بها
أعشابها ذوات الاسرار ، وحفظت بها أزهارا فيها من
الرحيق السحري ما هو آية ، وجعلت فيها من حجارة

(١) اتجهت اليه

الشرق ورمال البحر المحيط ، ومن البرد الذى جمعته أثناء
رحلتها فى ضوء القمر ، وجعلت فيها رأس بومة وجناحيها ،
وحوايا (١) ذئب ، وبقايا من صدفة سلحفاة ، ومزقا
من كبد غزال ، ورأس غراب ومنسره ، وما الى أولئك
من آثار الحيوانات المعمرة ، ثم صببت على ذلك كله ماء
وتتممت بكلمات ، واشعلت نارا فجعلت عليها الاداوة
بما فيها ، وتركتها تغلى وتفور ، وهى فيما بين هذا وذاك
تعسود وتهمهم وتتمتم وتغمغم ، ثم تقلب ما فى الاداوة
بغصن زيتون أملود . . . فما كاد السائل يفور حتى ائمت
فى الغصن أفنان من الورق الاخضر وحببات من الزيتون ،
يكاد زيتها يقطر منها ، وكاما نثرت منه على الارض شيئا
نما مكانه عشب حلو أخضر كأحسن ما ينمو العشب فى
ابان الربيع !



ثم شحذت سكينها مرة ثانية ، ثم أهوت على حلقوم
الشيخ فقطعته ، وتركت دمه ينبجس من الجرح الكبير
حتى سأل أجمعه ، ثم انها صببت من الاداوة فى الجرح
وفى الفم ، كأنما تجعل منه مكان ما سسال من الدم .
وما هى الا لحظة حتى دبنت الحياة الفتية فى جوارح الرجل
المهدم المحطم . . . فهذا شعره يسود ويصير فاحما غريبيا
. . . وهذا وجهه الجعد ذو الاسارير يمتلىء باللحم وبالدم ،
وهذا ظهره المحنى يستقيم ويمتلىء قوة وعنقوانا ، وهذا
دم الشباب يجرى فى عروقة كما كان قبل أن يكتهل ،
وها هو ذا يثب كالغلام الامرد السمهرى ، ويشرب على
اخمصيه كأرشق ما يفعل الصبيان ! وها هو ذا الوجه
يكتسى جمال العصر الخالى . . . ثم ها هو ذا جاسسون

(١) أحشاء

يقبل من بعيد فينظر الى آبيه وكأته في حلم . . . ويعانقه
ويهنئه . . . ويشكر ميديا . . . ويبكى !!

— أرايت يا حبيبي ؟ أليست لك حاجة بعد ؟

— وكيف يا ميديا ؟ انى مفتقر أبدا الى واسع علمك ،
ومبين سحرك !

— أمهمة أخرى ؟

— أجل يا ميديا ! ألا تريين الى والدى مطرودا من
عرشه ، وأن الحزن يقتلنى من أجل هذا ؟ ألا تصنعين
شيئا ينفعنا فى ذلك ؟

— ولم لا تقتل عمك ؟ ألا يستحق القتل بعد كل هذه
الجرائم ؟

— أنا ضعيف ياميديا . . وهو رجل جبار وله جند . . .

— اذن أنا أكفيك مؤونة ذلك . .

وأخذ ايسون يجوب شوارع المدينة فيراه الناس ،
ويعجبون لهذا الشباب الذى تدفق فى برديه ، فيسجدون
له ، وان منعهم الجند وطاردهم . . . وعلم بنات الملك بما
ردت ميديا على عمهن من روثق الصبى ، وما ألبسته من
رواء الشباب . . . وكان أبوهن قد بلغ منه الكبر ، ورزح
تحت أعباء الملك المغتصب ، فوددن لو أتين له بميديا لتصنع
معه ما صنعت مع ايسون . . . واتصلن بالساحرة ،
وأغرينها بالمال ، فرحبت وقبلت مختارة أن ترد الى ابين
الصبى ، حتى لا يغلبه على الملك ايسون ولا ولده جاسون
. . . وأحضرت الاداوة بما وعت من عشب ، ثم جىء لها
بالشاة السوداء ، ولكنها حين تمتمت بكلماتها السحرية ،
وكانت الاداوة تغلى بما فيها من سائل عجيب ، قفزت
الشاة فكانت فى الاداوة ، ثم قفزت منها فكانت حملا

وديعا جرى الى السهول يرعى العشب . . . وطرب البنات
حين شهدن آية السحر واعجازه . . ثم جىء بالملك وحراسه
ليشهدوا . . . وأعطت ميديا كلا منهن سيفاً مسلحاً
وتمتت بكلمات فدارت الأرض برأس بلياس وصحبه وحراسه ،
فسقطوا وغطوا فى سبات عميق . . . وأشارت ميديا الى البنات
أن يضربن بسيوفهن عنق أبيهن وصدره ، لتبدأ هي عملها . . .
فتلكأن أول الامر . . ثم أطعن ، وحركن أيديهن بالسيف
فى ضعف وفارق ، فأحدثن به جروحاً أيقظته . . فلما
شهد بناته تأوه وتوجع وصرخ بهن : « ويلاه ! بناتي
يقتلننى ؟! » وخافت ميديا أن يبطل سحرها ، فبدت فى
صورة احدى بناته ، واستلت سيفاً مرهف السنان ،
وأغمده فى صدر الملك اللص . . فمات الى الأبد . .
وأغمض عينيه ليفتحهما فى هيدز ، وفى هيدز فقط !

وكانت ميديا قد هتفت بالآلهة فأرسلت اليها العربة
التي يجرها الأفعوانان ، وكانت قد فعلت فعلتها حين بدأ
الفجر ينبج ، فركبتها ولاذت بالفرار ، قبل أن يكشف
صنعها أحد !

سبحان مقلب القلوب ! ان كل هذا السحر لم ينفع
ميديا ! لقد كان قلب جاسون مغلقاً دونها برغم أنه بر
بوعده فتزوج منها وأولدها أطفالاً أبرياء أطهاراً أنقياء
كالثلج !! لقد أحب جاسون الاميرة كروزا ملكة كورنت
وأحب هذه المرة حباً صريحاً لا يشوبه دعر ، ولا تعكره
التعاويد ، ولا تتلفه رقى السحر . . وأعلنت الخطبة ،
فجن جنون ميديا ! واسودت الدنيا فى قلبها وعينيها . .
وهالها نكران جاسون جميلها الذى ناله مثنى وثلاث
ورباع . . ولم لا ؟ أليست هي التى مهدت له سبيله الى
العرش ؟ أليست هي قاتلة بلياس ؟ اذن ، فالويل له !!

ودست الى أميرة كورنشا ثوبا لو اجتمعت الجن والانس
لم تقدر على مثله ، فلما كانت ليلة الزفاف ، لبسته
كروزا ، ولكنها ماتت لساعتها ! أواه ! لقد كان الثوب
مسموما ، وكان ما به من سم يكفى لقتل شعب بأسره !
ولم تكتف الساحرة بذلك ، بل شحذت سيكينا ،
وأعادت مأساة أبستروس ، فقتلت جميع أبنسائها من
جاسون . . . وأشعلت النيران فى القصر الملكى ، وفرت
الى أثينا على العربة السحرية لتتزوج من ملكها ايجيوس ،
ولتلقى ثمت مصرعها !

فينوس

ربّة الجمال والحب



تعالوا يا أعزائي المحبين نسمع اغنية الجمال والحب،
من ربة الجمال والحب ، بارزة من الشج ، فوق الموجة
الكبيرة ، وسنظ اليم

لقد كانت السماء زرقاء صافية ، ولكنها لطفت ورقت
وتضاعف صفاؤها ، عندما ذاع فى ملكوتها النبأ العظيم،
وبشرت بمولد فينوس !

ابتسمى ايتها الشفاء الحزينة ، وانبسطنى أيتها
الاسارير المقطبة ، واثلجنى يا صدور المكلومين !

وأنت أيها القلب الملتاع قف خفقانك ، وأنت أيها
الطرف الساهم كفكف عبرتك ، ويا نفوس العاشقين
اطربى ، فقد ولدت فينوس !

برزت عرائس البحار يصلين فى بكرة الصباح لابلو،
فما راعهن الا الطفلة المعبودة تخرج من الزبد الابيض كما
تخرج من الصدفلة لؤلؤة غالية ، وتتهادى على رؤوس الموج
كطيف نورانى فيسجد الماء تحت قدميها الصغيرتين ،

(*) اسمها اليونانى افروديت ، وسميت فى أساطير كثيرة ديون ،
كثيريا ، وهى الهة الجمال والحب ، وربة الضحك والزواج

متمتما بصلاة الحب لربة الحب ، مرتلا أنشودة الجمال
لربة الجمال !

وافتر فم الدنيا عن ابتسامة سعيدة حلوة ، يحيى الفم
السعيد الحلو ، الذى سيملاً قلوب العالمين رضى وسعادة!
وأشرق ذكاء تحمل أبوللو ، فلمح السنوسنة الوردية
تخطر على لازورد الماء ، فترك عربته المطهمة بالذهب تعرج
وحدها فى القبة الزرقاء ، وانثنى هو يزف البشرى الى
آلهة الاولمب !

وهرعت عرائس الماء الى فينوس الطفلة فرقصن
وزغردن وتغنن ، وحملنها الى قصورهن المرجانية فى
الاعماق ، حيث أرضعنها لبان الهوى ، ولقنها كلمات
المحبة ، ونشأنها على اساليب الصبابة والغرام ، حتى
أينعت وترعرعت ، فأزمن المسير بها الى الاولمب حيث
يتلقاها الآلهة ، فتأخذ مكانا بينهم ..

وكم كان جميلاً رائعاً أن يصطف التريتون والاوسيانيد
والنيريد (١) من حولها ، وكم كان جميلاً رائعاً رقص
التريتون على صفحة الماء الجياش بالزبد ، وتغريد
الاوسيانيد كأنها بلابل الروض الاخضر ترسل فى هدير
المحيط شدوها فيحور غناء كله !

وكم كان جميلاً رائعاً من النيريد أن يتضاحكن مترنمات
فى الحلقة الاولى حول فينوس فتستجيب السماء لهن ،
ويميد البحر من طرب بهن !
كم كان جميلاً رائعاً أن يخب موكب الحب فوق الماء ،

(١) التريتون هم أبناء نبتون اله البحار ونصفهم الاعلى نصف
رجل والاسفل نصف سمكة - والاوسيانيد هن عرائس المحيطات وأجمل
عرائس الماء وهن بنات أوسيانوس رب المحيطات ومنه اشتقت
Oceans والنيريد طائفة اخرى من عرائس البحار وهن بنات الاله
نيروس

حتى يكون على فراسخ من قبرص معدودات ، فينثني
الجميع ، الا فينوس التي يهددها زفيروس الطيب ، رب
النسيم الجنوبي ، حتى يصل بها الشاطئ ، حيث يكون
في انتظارها بنات تميز (١) ربة العدالة ، وبنات يورينوم
ربات الفضيلة والخلق الحسن ، فيتقدمن الى ربة الحب ،
فيصلين لها ، ويجفن شعرها الذهبي المتهدل فوق كتفيها
العاجيتين ، ثم تدلف بينهن ، لفاء هيفاء ، غزاء غيداء ،
مهتزة الجيد ، وضاحة الجبين ، كلما خطت خطوة قبلت
الارض قدميهما المعروقتين ، وكلما مرت ببلقع اهتز وربا ،
واعشوشب وأزهر ، حتى يلقاها الهة الحب الاربعة ،
رب الشهوة هيميروس ، ورب الغزل سواديللا ، ورب الالفة
بوثوس ، وهيمين رب الزواج ، فينخرطون في الجماعة
ويهطعون الى الاولب !

وتكون الانباء قد تواترت عن قدوم الربة الجديدة ،
فيصنع لها عرش عتيد ما تكاد آخر ياقوته تركب فيه ،
حتى تصل فينوس فجأة فتستوى عليه ، وتتصارع أبصار
الالهة العطشى حول جسمها الخصب ، المترع بالمفاتن ،
وتتلمظ الشفاه الجائعة تود لو تفترس هذا الفم الاحوى
الجميل ، وتسرى كهرباء الاشستهاء في الاذرع القوية ،
والصدور الهرقلية ، تحلم بضم الجيد الناهد ، ومخاصرة
الوسط المياس ، و . . كأنها العنقاء ترسل للملحة من
طرفها الساجي فتصرع هؤلاء وهؤلاء !!

وتقدم الالهة كل بدوره يطلب يد فينوس ، وكان كل
اله يفاخر أخاه بما لديه من نعم وآلاء . وكان مضحكا أن
يسفه الالهة بعضهم بعضا بين يدي ربة الجمال والحب
حتى ازدرتهم جميعا ، وخبرت من حماقتهم ما لا يتفق

(١) بنات تميز هن ربات الفصول الاربعة ، وبنات يورينوم هن تاليا
وأحاليا ويوفروستن

وهذا الورد المتفتح فى خديها ، والسحجر النسائم فى
مقلتيها ، والفتنة الثاوية فى كل جارحة من جارحاتها ،
فرفضتهم أجمعين ، وان تكن برفضها قد أغضبت أباهما
كبير الآلهة وسيد أرباب الاولمب

ولم يغض الآلهة عن تحقيق فينوس لهم ، بل انقلب
اعجابهم ثورة ، وارتد افتتانهم نقمة ، وود كل منهم لو
خلى بينه وبينها فيبطش بها بطشا شديدا

وأجمعوا أمرهم ضحى ، وذهبوا الى زيوس يطالبونه
بالاثار لكرامتهم كأرباب مرهوبى الجانب مخوفى
السلطان ، من ابنته ربة الحب الطائشة !!

وخاف زيوس من ثورة الآلهة ، وافزعه تجمهرهم فى ردهة
الاولمب يتصايحون ويصخبون ، فخرج اليهم هاشا باشا ،
ودق بصولجانه على الارض المرمرية وقال : اخوانى ..
أبنائى :

« لستم أنتم وحدكم تنتمون من فينوس الجميلة ما
بدر منها فى حضرتكم من زهو وخيال ، بل أنا
معكم ناقم على هذه الابنة العساقة التى صعدت
فى حضرتى خدها ، وشمخت بأنفها ، وحسبت أنها خير
من الآلهة درجة وأعلى مقاما .. »

لتطب نفوسكم يا اخوانى ويا أبنائى .. لقد أصدرت
الساعة ارادة أولمبية تقضى بأن تتزوج فينوس المتكبرة
المتغرطسة ، المختالة ، من فلكان الحداد ، صانع دروعكم
ولجم خيولكم ! »

وما سمعها الآلهة حتى صاحوا لسانا واحدا :
« ليعحى زيوس العادل ! تقدست يا زيوس ! طوبى لك
يا أولمب ! »

وكان فلكان بين الجماعة وهى تهتف ، ولكنه كان

مشغولا عنها بتلك السعادة التي هبطت عليه من
السماء ، وكان يحمل أرزبته الهائلة ، فلما سمع النطق
الأولمبي ، ضرب بها الأرض ضربة راجفة ، أحس بها
بلوتو في أعماق الجحيم . . .

« يحسب الآلهة أننا معشر الربيات ملك إيمانهم
دائما ، يتصرفون بنا كما يحلو لهم !! ما عليهم الا ان
يأمروا ، وما علينا الا أن نطيع ! لقد كنت أوثر أن البث
في القصص المرحانية في أعماق الأعماق ، على أن
تشرق على شعاعة من أشعة الشمس الدافئة التي يرتفع
فيها أولئك الآلهة العتاة الظالمون ! »

« هونى عليك يا مولاتى فقد يصفح غدا سيد الأولمب !

« يصفح أو لا يصفح . . .

« يا للهول ! . . .

« أى هول يا فتاة . . .

« ينبغي ألا تعرضي نفسك لغضب رب الأرباب . . .

« رب الأرباب ! أنت تضحكيننى يا أجمل العرائس

الأوسيانيد !

« مولاتى . . . !

« أن رب الأرباب يحكم دنيا من الخزعبلات . .

أما القلوب . . أما قلوب العذارى . . فالحب وحده

يتولاهن ، ويهيمن عليهن . .

« الهى فينوس . . .

« لا تنزعجى هكذا يا عروس الماء . . لقد ولدت

لاكون ربة الجمال والحب . . فأولى لى ثم أولى ،

أن أسعد بالحب ، وإن أختار من ذوى الحسن متعتى

الغالية ونعيمي الاوفى .. فلكان !! أنا اقسيم. أن هذا
الحداد لا يفرق بين القبلة والجذوة ، ولا بين تشنوة
الحب وزفير الكير ! وأخشى أن يغازلني يوما فيقذفني
بارزبته . يحسبها ريحانة او زنبقة ! يا للحداد القدر ! »
- ولكن زواجكما تسجل في السماء ياربتي !

- « ان كان سجل السماء مدنسا بكل هذه المقابح
الاستبدادية ، فأنا ... فينوس ربة الجمال والحب
والزواج .. آنف أن يدرج في صفحاته أسمى !

والآن اسمعى يا أوسيانة (١) ، اذهبنى الى حبيبي
مارس (٢) فبلغيه أننى منتظرة الليلة ، بعد مغيب الشفق ،
تحت السنديانة الكبرى فى أول منمرجات الغابة .. »



وهكذا أقبلت ربة الحب على كؤوس الحب تنهال منها
ما تشاء ، وتستعرض الآلهة (٣) ، تقبل منهم على
من تشاء وتعرض غمنا تشاء ... وما أكثر القطيع
وما أشد نهم الذئب !

لقد علقت مارس القوى اله الحرب ، ورب الدمار ،
ولم تبال بزوجها الفظ القدر الممتن ، السندي لا يميز
جرس الموسيقى من طرق الحديد ، ولا نسيم الجنة
من زفرات الجحيم !

وعلقها مارس وافتتن بها ، حتى كان يعد دقات قلبه
دقة فدقة ، حتى يلقاها ، فتهدأ اعصابه ، ويطمئن
قلبه ، ويثوب اليه رشده

(١) واحدة الاوسيانيد (٢) اسمه اليونانى آيرس
(٣) فى الميثولوجية اليونانية الآلهة هم أبناء الخلل فأنصاف الآلهة
هم من كان أبوهم أو أمهم من البشر فى حين تكون الام الاخرى أو الاب
الآخر من الآلهة ...

لقد كانت فينوس فتنة حقا !

لقد كانت تتلألاً كتبتال من النور ، فى اهاب من البلور !
وكان لها شعر كأشعة الشمس ، يغدون فسوق كتفيها
العاجيتين ، فيظل النسيم العاشق يقبله .. بل يعبده
فاذا تعب ، تركه لينتثر فوق الخصر أو الصبدر ، ثم
يعود اليه بقلوب الآلهة وارواحها ، فينتثرها تحت
القلمين الدقيقتين الرقيقتين ، لتسحقها فينوس الجبارة
والسعيد السعيد من فاز بابتساملة من هذا الفم
الاحوى المفتر ، أو غمزة من ذاك الطرف المفتر ، أو الشارة
من ذلك البنان المخضوب بدم العاشقين !

وكان مارس لا يخشى من أعين الرقباء مثل ما يخشى
من عيني أبولو ، ولذا كان اذا وافى فينوس فى هذا
المنظر الغرامى السحيق ، فى الأعماق أحشاء الغابة ،
ترك خادمه اليكتريون عند أول الشعب المؤدى الى
الطريق العام ، يلحظ المارين وينبه الى خطر الأعداء
والناقمين ، حتى يكون الاليفسان بنجوة من الفضيحة ،
وفى حرز من السن الكاشحين .. فاذا تبين الخيط الابيض
من الخيط الاسود من الفجر ، ذهب اليكتريون فأيقظ
العاشقين الأثمين ، فينهضان من غفوة الهوى الى يقين
الفراق ، قبل أن تشرق الشمس

ولكن ! لقد ذهب العاشقان يتراشقان كؤوس
الهوى دهاقا ، حتى اذا قال منهما الجهد وترنحت أعينهما
تحت عبء السهاد الطويل ، انبطحا على الحشيش
الأخضر ، هو الى جانبها وهى الى جانبه ، غريقين فى
سبات هنىء ! ولمح اليكتريون ظبيا نافرا ، يتفرع فى
ظلام الغابة ، فتبعه ، وطفق يعدو وراءه حتى لحق

به بعد غناء شـديد ، فاحتمله ، وعاد به الى مركزه
من مكان الحراسة . . . ولكنه ما يكاد يصل ثمة ، حتى
يساقط متهدما من التعب ، ويغلبه نعاس عميق . .



وأشرقت الشمس !! وبرزت المركبة الذهبية حاملة
أبوللو ، رب هذا الكوكب المشرق المتأجج ، وبدأت
رحلتها السماوية ، وأخذت ترتفع في العلاء رويدا ،
حتى اذا كانت بمنزلة الضحى ، أطل أبوللو فرأى مارس
الاثيم ، وفينوس الغاوية ، متعانقين على الحشيش
الاخضر ، وكانت بين أمه لاتونا ، وأمهاديون ، ما يكون عادة
بين (الضائر) من بغضاء وشحناء ، وكانت ديون
تفخر على زوجات زيوس جميعا بأنها أم فينوس وحسباً
وكانت لا تعدل بابنتها واحدة من جميلات الاولب ، بما
فيهن ديانا أخت أبوللو ، وابنة لاتونا .

انطلق أبوللو والشسماتة تضطرب في قلبه الناغم على
فينوس ، يحمل الخبر الفاجع الى فليسان ، فألفاه
مستغرفا في صنع شبكة حديدية هائلة ، والنار تتلظى
في أثونها الكبير ، والدخان ينعمد في جو المصنوع كأنه
ينقذف من بركان ، والملاقط والمبارد والمخارط متناثرة على
الاديم المعفر القذر كأنها أعجاز نخل . .

— « فلـكان ! . . . »

— « هـلا . . . أبوللو . . ماذا جاء بك في هذه
الضحوة . . . وأتى غادرت عربتك ؟ »

— « آثرت أن أظـل ثرى هذه الأرض بقدمي على أن

تحملنى بوح (١) ، وقد تدنس شرف الاولب بالفضيحة
المزرية ! ... »

— « الفضيحة المزرية ؟ ماذا وراءك يا أبوللو ! .. »
— « فلكان ! أين زوجك ؟ .. هل أويت اليه—
الليلة ؟ »

— « ماذا ؟ ... »
— « أو لم تفقه بعد ؟ .. ولكن قل لى : ماذا تصنع
بكل هذه الأسلاك الغليظة ؟ »
— « أصنع شبكة كبيرة ... »
— « وله ؟ »

— « لقد لاحظت النجس مارس يحوم حول حمائى
... وأنا لا بد صائده »
— « هلم ، هلم .. »
— « وإلى أين ؟ ... »

— « تصيده .. ألم تنتله من صنعها بعد ؟ »
— « بل انتهيت .. وأين هو هذا الوغد ؟ »
— « اعنى الحشيش الأخضر ، فى أول شعاب الغابة ،
مما يلى الطريق العام »
— « ومع من ؟ ... »

— « مع إله قطعة واحدة مع .. فى »
— « معها ؟ .. ياللهول ؟ .. يالعرض الأحمر ؟ .. »

وأحتمل شبكته العظيمة ، وانطلق الالهـنـان الى حيث
.. النائمان الحالمان الآثمان !

(١) الشمس

لقد كانا ملتصقين التصاقا تاما . . . حتى ما يكاد ينفذ
الماء بينهما !

ونسى كل الف شفثيه في شفثى الفه ، فهما جلنارتان
تبشان نجوى الهوى الى جلنارتين
يا لله !

ليس هذا فسقا أيها الالهة ، بل هو التمساج الذى
سميتموه الزواج (١) !
وانقض فلـكان كالمذنب المدمر ، فألقى شبكته
على الخائنين !

وانتفض مارس وهو يكاد يصعق من الدعر ، وانتفضت
فينوس وهى تكاد تذوب من الخجل ! ولكن ! أى دعر وأى
خجل ، وهذه الشبكة قد أمسكت بهما كسمكتين !!
لقد مضى فلـكان ، بعد اذ ربط الشبكة بما كسبت فى
أصل دوحه كبيرة ، وعاد بكل الاسرة الاولبيلا (لضبط
الحادثه !)



وكانت ساعة رهيبه ، انصبت فيها لمزات الالهة
الناقمين على رأس فينوس ، وراح كل منهم ينتقم لكرامته
المهدورة من كبرياتها واصلفها ، وهى ماتكاد تبين !!
وأطلق فلـكان سراحهما ، أما فينوس فذهبت تنشد
عشاقا آخرين !

وأما مارس ، فمضى الى حيث خادمه الاحمق اليكتريون ،
فألفاه لا يزال يغط فى نومه غطيظا مزعجا ، فركله ركلة
أطارت صوابه ، واخذ بتلابيبه فخضضه تخضيضا !
ثم انه أقسم لينشتقمن منه انتقاما يكون أحدوثة الابد

(١) هذه الأسطورة من كيتس وهى من أبدع شعره فى فينوس

وضحكة العباد ، فنفت فى أذنيه نفثتين ، ارتد بهما
الخدام المسكين ديكاً عجيب الصورة ، أرجوانى التاج ،
طويل الجناحين ، عظيم الذيل !

وركله مارس ركلسة ثائية ، وقال له : « اذهب فلن
تلهو عيناك غفوة الفجر أبد الأبدى ، ودهر الداهرين ،
وستصحو قبل كل الخليقة لتصبح فى النائمى :
ويحكم أيها الغفاة ، هبوا فقد كاد أبوللو يقطر مركبة
الشمس !! ...

ولا يزال اليكتريون ، ديكنا المحبوب ، يوقظنا قبيل
الشروق الى اليوم ! ...

القرية الظالمة



ذهبا يدلجان في هدأة الليل ، ويضربان في ظلام الوادي،
ويتحدث أحدهما الى الآخر حديث الالهة ، وكلمنا نال
منهما الجهد ، جلسا يتسامران أو ينصت الشيخ ذو
اللحية البيضاء المرتعشة ، الى السحر الذي تنفثه قيثاره
الفتى اليافع

— « حسبك يا بنى ، فلقد كادت موسيقاك تبطل عمل
العاصفة »

— « وفيم تريد أن تستيقظ العاصفة يا أبتاه ؟ »

— « أريد أن تستيقظ العاصفة لأريك عجا هذه الليلة
من طبائع الناس . أترى الى هذه القرية النائمة في أكتاف
الجبل ؟ »

— « أين يا أبى ؟ »

— « انظر جيدا »

— « انظلام دامس ، ويكاد الحلك يختلط بسواد

الصخر فلا أرى شيئا . . . »

— « انظر في الجهة التي تشير اليها يدي »

وأشار الشيخ بيده فانبعثت منها شعاعة من نور شديد
كشفت القرية للفتى

— « آه • هذه هي • عمش خفيف أصابني الليلة يا
أبتاه ! »

وكان الفتى حلو الدعابة ، رقيق النكتة ، ثرثارا ، فقال
له الشيخ يحذره :

— « اذا كنا عند القرية فلا تبدأ حديثا ، ولا تخاطبني
الا أن أخاطبك ، وإياك أن تأتي بإشارة تسقط هيبتنا في
أعين القوم ، فانهم لؤماء سفهاء ، وقد تفسد علينا ثرثرتك
ما جهنا من أجله الليلة الى هذه القرية ! »

— « نسيت القفل يا أبتاه ! »

— « إى قفل ؟ »

— « الذى أقفل به فمى فما يتحرك ببنت شفة »

— « يا خبيث ... أصمت »



وأشار الشيخ بيده الى السماء فاربدت وتكلمت
وأورى برقها وقرقع رعداها ، وانصبت ميازينها بماء
منهمر ، وانطلقا الى القرية !

ووقفا عند منزل فخم ضخم ذى شرفات ، فقال الشيخ :
— « تشبهت يابنى بأحياد الحائط حتى تكون عند
النافذة ، فانظر ماذا ترى »

وفعل الفتى ، وثزل ، وقال للشيخ :

— « أبتاه ! تسوة عاريات يرقصن ، وندامى وخمر ،

و .. وموسيقى وفتيات .. و .. »

— « وماذا يا صغيرى العزيز ؟ »

- « ودعارة وعهر يا أبتاه ... لماذا جئنا هنا ؟ لماذا جئنا هنا ؟ ... »

- « قلت لك جئنا لاريك عجباً هذه الليلة من طبائع الناس هلم الى باب هذا المنزل »

وطرقا الباب ، فبرز لهما فتى غرائق وقال : « ماذا ؟ شحاذاً قذراً ؟ » فقال الشيخ :

- « على رسلك يا بنى . أنا رجل شيخ غريب ، وهذا ابنى ، وقد فجأتنا العاصفة فلجأنا اليكم نرجو أن تضمننا غرفة صغيرة الى الصباح ، ونطمع أن نتبلغ لديكم بلقمات ... »

- « غرفة ولقمات ؟ ها ها ... اذهب اذهب ... لصوص ! هذه حيل قطاع الطرق والسفاحين بلوناها من قبل »

ثم قذف بمصراع الباب فى وجهيهما . فنظر الشيخ الى ولده وقال : « رأيت ؟ سر الى هذا البيت القريب » وقال لابنه : « هلم الى النافذة فانظر ... »

وتسلق الفتى وحملق قليلا ، ثم قفز وقال : « أبتاه ! أناس يخزنون الذهب فى خواب عظيمة ، ويختمون عليها بالبرصاص المذاب ، من أين لهم بهذا الذهب كله يا أبى ؟ » فقال الشيخ : « هم لصوص يا بنى ، وان كانوا لا يقطعون طريقا ، ولا يسطون على دار ، ولكنهم يمتصون دم الفقير والمعوز ، ويصهرونه ذهباً ويكنزونه هكذا ! انهم أصحاب هذه الضياع والبساتين ! هلم الى بابهم ... »

وطرقا الباب ، وسألا طعاما ، ومبيت ليلة ، فقالت لهم العجوز صاحبة الدار :

- « ان هذا العام عام شدة ، ولم تبق لنا المجاعة على زرع ولا زرع ، ماذا عندنا لنعطىكم ؟ هيكل زيوس قريب

من هنا فناما فيه ، وكهنته أسخياء كرماء ، وعندهم فى كل
آونة خمر ... سيطعمونكما ويسقونكما ! وربما قدموا
لكل منكما عادة ! فهم فساق عراييد ... انطلقا اليهم
... اذهبا ... »

وقدفت بالباب فى وجهيهما ...

قال الشيخ : « أرايت يا بنى ؟ » فقال الفتى مداعبا :
« نحن نستحق أضعاف هذا الهوان ! ما لنا وللناس ؟ ! » ،
فقطب الرجل جبينه وقال : « مالنا وللناس ؟ اذن ما نحن
فى هذه الدنيا يا بنى ؟ ولكن ليس الآن ما أعددت لك من
عبرة هذه الليلة ، سر بنا الى ذلك القصر العتيق »

فلما كانا عنده ، تطلع الفتى فرأى صحبا كثيرا لا يزال
يتعشى ، والموائد حافلة بالاشربات والاشواب ، وبكل ما يذ
وطاب . والندامى البيض كالنجوم رافلات ، ورافلون ، فى
وشى وأفواف . وكان الفتى استظير من العجب ، فقال
للشيخ : « كل الناس هانئون هذه الليلة المقرورة الانحن !
الجميع يأخذ فى نشوة ولذة ونحن نضرب فى وحل
وننشق من غيظ ؟ ! »

قال أبوه : « ألم أقل لك ألا تبدأ حديثا حتى ابدأك ؟
هلم الى الباب » وقرعا الباب فبرز لهما شاب مفتول العضل
كأنه هرقل . فلما سألاه حاجتهما ، قادهما الى البهو
الواسع حيث القوم فيما هم فيه من متاع

قال الشاب المفتول : « اليكم أيها الاخضوان لصين من
لصوص الدجاج عاثا كثيرا فى قريتنا هذه ، ولولا طول
الحذر ما ذقتم الليلة رجل دجاجة انها يطلبان
مبيتا وعشاء ، ولا أدري لم لم يقصدا الى هيسكل الاب
زيوس حيث المبيت الوثير والعشاء الكثير ؟ ! وحيث
أشياء أخرى »

وقهقه السمار وتككبوا حول الغريبيين ، ثم اخذوا معهما
فى ألوان غير محتشمة من المزاح الثقيل . هذا ينتف شعرات
من ذقن الشيخ ، وذلك يرفع ذيل الفتى مما وراء ، وهذه
تعانق الشيخ وتقبله وتقدم له كأسا من الخمسر ، وتلك
تركب الفتى « زقفوته ! » (١)

ولما فاضت الكأس بالشيخ والفتى ، نظر أحدهما الى
الآخر نظرات ، ثم غابا عن أنظار الجماعة ، كأنما تحولا
الى هواء . . . ؟ ! فشده انقوم وأوجسوا خيفة

لم يبرح الرجل وابنه يتنقلان فى شوارع القرية الموحلة
من بيت الى بيت ، وكلما طلبا المبيت والعشاء استهزىء
بهما وطردا شر طردة وأخسها ، حتى ضجر الفتى وبرم
بحكمة والده فى هذه الرحلة المضنية فى ذلك البلد
البخيل . . . فقال له : « اذهب أنت فسانتظرك على هذه
الصخرة الناتئة فى حيد الجبل ، وسأتسلى بموسمىقاي
حتى تعود » فقال الشيخ : « وحسبكم التى أردتك أن
تراها بعينيك ؟ هلم ، هلم . . . أترى الى ذلك الكوخ ،
لندلج نحوه وليكن آخر مطافنا »

وكانت فى الكوخ كوة صغيرة ينبثق منها نور خافت .
فلما نظر الفتى تمتم يقول : « أبتاه ! امرأة مهدمة وشيخ
معظم أيا لبؤس الحياة ، ويا لطف العيش ! لماذا أثرت
العاصفة يا أبى ؟ ان الماء ينزععليهما ويبلل فراشهما . . . »

— « ستري أن هذا الكوخ هو وحده الذى يبقى »

— « ماذا تعنى يا أبى ؟ هل تهدم القرية ؟ »

— « صه ! هلم فاطرق باب الكوخ »

(١) لم نعرف غير هذه اللفظة النابية للتعبير عن الركوب على ظهر
الانسان مع لف الساقين والذراعين حول الوسط والعنق وابتكرها
أبو العلاء فى رسالة الغفران فنقلناها عنه

— « قم يا فيلمون . . ان بالبَابِ طارقا » . .
— « نامى يا بوسيز ! انه البرد ترجم به العاصفة »
— « لا . ليس بردا . اسمع ! أناس ينادون . قد تكون
بهم حاجة »

ونفض فيلمون متهاككا على نفسه ففتح الباب . وما كاد
الشيخ يذكر حاجته حتى هش صاحب الكوخ وبش ،
وتلقى الرجل وابنه أحسن لقاء

— « مرحبا مرحبا . . . أنتما فى حاجة الى دفء .
بوسيز . انهضى يا امرأة فأوقدى نارا . أنا أعرف أن
الحطب مبلل ، ولكن حاولى . . . مرحبا يا كرام ومعدرة ،
فنحن نستعين على الحياة هنا بالصبر . بوسيز ، هاتى
قربة النبيذ أولا . . ليس فيها الا صبابة ! لا بأس ،
فسيبارك زيوس للضيفين فيها . . هاتى شيئا من المشمش
الجاف يا امرأة ! . . »

وتأتى بوسيز بقربة النبيذ ، وما يكون فيها الا ثمالة ،
فيتناولها الشيخ ذو اللحية البيضاء ، فيتمتم فيها بكلمات
فتمتلى نبیذا من خير ما عصر باخوس ، وبعد أن يروى
منها هو وابنه ، يدفع بها الى صاحب الكوخ ممثلة كأن
لم يمتد اليها فم ! فيتولى الرجل دهش عظيم ويقول :
« بحق زيوس الا ما أخبرتنى أيها الصفى الصالح من
أنت ؟ » فيقول الشيخ : « أنا أيها العزيز رجل نقلة
وأسفار ، وهذا ابنى الموسيقى البارع . أتطرب للموسيقى ؟ »
ويهتز الرجل ، ويوقع الفتى على قيثارته لحننا كأنه
لسان العاصفة ، فما فيها من سنا برق ، وهزيم رعد ،
ومكاء ریح ، وتنقير مطر ، ثم هو مع ذاك لحن مشرق متأق
يأسر اللب ولا يستأذن على القلب . . . وطرب فيلمون ،
ورقصت جوانح بوسيز ، وأحضرت طبقا به قليل من

المشمش الجاف فقدّمته للفتى ، ناسية أن تقدّمه الى الشيخ ، وهذا من أثر الموسيقى فى أعصابها ، ثم قدّمته الى أبيه فى أدب واحترام . . وما كادت البد البيضاء الناصعة تمس الفاكهة حتى عادت اليها النضارة ، وتأرجت عنها أنفاس الحديقة ، وتضاعفت فى الطبق حتى ملأته . فأكل الشيخ ، وأكل ابنه ، وأكل فيلمون وزوجته ، وهما لا يصدقان ما يريان !

وظلا يقدمان للضيفين كل ما استطاعاه من خبز وأدم ، فكان القليل يزداد والمشفوف يتضاعف . وكانت لدهما اوزة عجفاء حاولا أن يجريا عليها التجربة فهما بذبحها ليصنعا منها شواء يقدمانه للضيفين ، ليريا ماذا يكون من أمرها . ولكن الاوزة فزعت فزعا شديدا ، وانطلقت فى ناحية الشيخ تستجير به كأنها تكلمه . فابتسم ، وربت على ريشها الناعم النظيف ، وأجارها من سكين فيلمون وكان تسميم السحر قد أخذ يهب فى الافق الشرقى ، فقال الشيخ :

— « أيها العزيز فيلمون . أيتها التقية الكريمة بوسين ، من الهكما ! »

— « الهنا زيوس تبارك فى علياء الاولب . . »

— « أو يسركما أن يكون معكما الآن ؟ »

— « معنا ؟ هو دائما معنا ! »

— « أجل هو دائما مع عباده المخلصين . ولكن ،

أيسركما أن تكونا فى حضرته يحدثكما وتحديثانه ؟ »

فيصيح فيلمون . :

— « أنت هو زيوس . تقدست . تقدست »

ويسجد الرجل وزوجته ، وما تفتأ تأخذهما رعدة
شديدة

- « أجل • أنا زيوس • أتيت أبتلى هذه القرية • وهذا
ولدى هرمز • انهض • والآن ستزلزل الأرض زلزالها
فلا تنزعجا •• »

ووقف زيوس ، وأشار بيده إشارة خفيفة الى الشرق ،
ثم الى الغرب ، ثم الى الجنوب ، ثم الى الشمال ، ثم نظر
الى فوق وتمتم بكلمات وجلس

وما كاد يفعل حتى رقصت الأرض ، وسمع كأن الجبل
القريب يندك ، وكان الصواعق تنقض على المنازل فتقوضها ،
وتنقلب القرية الى جحيم ملتهب ، وكلما أطل فيلمون أو
أطلت امرأته من الكوة سرت فيهما رجفة أروع من رجفة
الزلازل ، فيطمئنهما زيوس

- « الكوخ يا الهى ! أنا رجل فقير ! »

- « مال كوذك يا فيلمون ! »

- « اذا انهدم عشت فى العراء ! »

- « لا عليك ! فلن تقوض الزلازل الا قصور العتاة ؟ »

وأشرقت الشمس ، فنهض الاله الاكبر ، ونهض الجميع
معه • وما كاد فيلمون يفتح باب كوذكه الحقيق حتى أخذه
العجب ، وارتد على عقبه مذعورا :

- « مولاي ! لمن هذا القصر المشيد ؟ »

- هو لك يا فيلمون ، أهرت الآلهة فبنى لك فى ساعة

السحر جزاء كرمكما • هلما نشهد غرفاته »

وانطلق الجميع يتنقلون فى غرفات القصر وردهاته ،
وكلما هم فيلمون وزوجته بتمثال اله سجدوا له وأخبتا ،
حتى اذا كانوا فى أكبر ردهات القصر ، وقف زيوس وقال :

« فيلمون ، هذا هيكلي ! وقد جعلتك كاهني الاكبر ، فتمن
الآن على ، فسأجيبك الى كل ما تطلب »

فتبسم فيلمون وقال : « مولاي ! الشباب يا مولاي !
ليعد الشباب الى والى زوجتي بوسيز ، ولنعيش طويلا ،
فاذا جاء وعدك فلنمت في يوم واحد وفي ساعة واحدة ! »
وسجد يقبل الارض بين قدمي الاله الاكبر !

فقال زيوس : « انهض يا فيلمون فطلبك مجباب ،
وستعيشان راغدين ! »



وسلم الالهان ، ثم غابا عن الانظار ، وخرج فيلمون
وزوجته ليريا الى القرية ، فلم يشهدا شيئا غير بحيرة تعج
أمواجها ، وجزيرة كبيرة خضراء في وسطها قصرهما
المنيف ! فأمننا بزيوس وسبحا له !

وعاشا طويلا واستمتعا بشباب دائم ، وماتا في يوم
واحد وساعة واحدة ، ونبتت دوحتان عظيمتان من أشجار
السرو أمام باب القصر تخلدان ذكرهما في العصور

غرام أورورا



رأته على رمال الهلسيننت (١) يرتع ويلعب ، فوقفت
تصلاً عينيها وقلبيها بجماله ، ثم نظرت اليه وهو يداعب
البحر المضطرب ، ويتواثب فوق عبابه الزاخر ، فسحرها
قوامه ، وفتنتها قسماته ، ونسيت أنها ربة الفجر الوردية
الهيفاء ، وأن من ذكران الآلهة من هو أكثر من هذا الشاب
- تيتون بن بربام ملك طروادة - جمالا وأشد فتنة ،
وأخلق بحب ربة جميلة لعوب مفتان مثل أورورا . . .
ولكن ماذا يصنع أهل هذا العالم في قلوبهم ، ولا سلطان
لاحدهم على فؤاده ؟ يستوى في ذلك الارباب وغير الارباب
لقد كان تيتون يتقلب بين الموج ، فتتقلب نفس أورورا
في جحيم من الهوى ، وتتلظى في سسعير من الحب ،
وتنجذب نحو الفتى الجميل المفتول بكل ما فيها من
نورانية وقداسة . . . وكان يبرز من الماء ليسستجم على
الشاطئ الناعم الوادع ، فتكاد تجن به ، وتود لو ترشف
قطرات الماء التي تنحدر على جسمانه ذى العضل ، وتتلاها
في ثنايا شعره الاسود الفاحم
وظفت توسوس لها نفسها بالاماني ! وتزخرف لها

(١) مياه السردنيل

الاحلام ، فصصممت أن تتكشف له ، وتبرج على مقربة
منه ، وتدل وتميس ، عسى أن تأسر لبه ، وتسبى قلبه ،
فيسلس قياده ، وينخذل فؤاده ، دون مشقة أو عناء . . .
ولكن تيتون أبى ، واستكبر قلبه أن يلين ، ولم يستطع
ذلك المهرم الناصع الذائب فى ساقىها ، ولا هذا الورد
المتفتح فى خديها ، ولا الإبالسة الراقصة فى عينيها وفوق
ثديها ، أن ترقق من عناده ، أو تنتصر على فؤاده ، أو
تسكب فى نفسه صباة أو هوى

— اذن أنت ماذا تشتهى !

— أشتهى ماذا آيتها الغادة ؟ اذهبى فاعرضى مقاتنك
الرخيصة على غرى !

— ومن أنت حتى تكلم أورورا ربة الفجر هكذا ؟

— أورورا ؟ كيف ؟ ما يدرينى ؟

— أجل أنا أورورا . . . أنظر

وأخذت ترف فى الهواء ، وتسبح فى السماء ، وتغوص
فى الماء ، وتأتى من آيات الإعجاز ما بهر تيتون

— الصفح اذن يا ربة ؟ !

— لا صفح الا أن تهب لى حبك ، وتلقى بين يدي قلبك !

— وكيف وأنا بشرى عاجز ، ولا ألبث أن أفنى فى بضع
سنين ، وهذا أبى الضعيف الشيخ قد خطب لى حسناء من
بنات الملوك ؟

— « أما أنك عاجز فلا ، وأما أنك لا تلبث أن تفنى فى
بضع سنين فسأهيك الخلود ، وسأخلعه عليك زيوس
سيد الاولب فلا تموت أبدا ، بل تحيا كالآلهة الى لا نهاية
الازل ، وأما أبوك الضعيف الشيخ ، فلا أحب اليه من أن
يراك فى كل ما ذكرت ، ولا سيما اذا علم أنني سأكون

لك من دون هذه الفتاة التي خطبها لك ، والتي لا تلبث أن
يخطط الشيب رأسها ، ويعصر الزمان عودها فتجف وتذوى ،
وتحملها أنت كاثقل الاعباء الى القبر حيث الدود
والذباب ... »

— ولكن ... ألا تأذنين لي في لقاء أبى ؟

— لن يكون هذا أبدا ...

— هذه قسوة ياربة !

— ستفتنك هذه القسوة بعد قليل

وانطلقت تداعبه وتلاعبه ، وتضاربه وتغالبه ، حتى زالت
عنه وحشته ، فأنس لها ، وأقبل بكل مشاعره عليها ،
واتفقا على الرحيل من فورهما الى أولمب ، فانطلقا يطويان
الرحب .

— من هذا يا بنية ؟

— ... ؟ ...

— صيد جميل ، ومجازفة جديدة ، أليس كذلك ؟

— أجل يا أبى .. وليست مجازفات ابنائك أروع من
مجازفاتك ..

— مجازفاتى أنا ؟ أية مجازفات يا أورورا ؟ ..

— مجازفاتك الغرامية التي لا تحصى مع الغيد الرعابيب
من عبادك

— أى غيد رعابيب يا أورورا ؟ تلك جراءة بالغة !

— لعل الاله الاكبر ، سيد الاولمب ، قد نسى ! وعلى كل
حال فسيده الاولمب ، حيرا العظيمة ، لا تنسى ... لقد
شهدتك تلهو مع يو ، وتعبث مع لاتونا ، وتتساقى كؤوس
الغرام مع يوروبا ... و ... و ...

— أسكتى ... انك ابنة لا خير فيك ... وماذا تبتغين

لهذا الشاب الفرائق الجميل يا أورورا ؟

— الخلود . . . الخلود يا أبى . . . ينبغي أن يعيش أبدا
.. لن يموت .. الا تراه جميلا يا أبتاه ؟ الا تبهرك منه
وسامته وقسامته ؟ ألا تنظر اليه كيف هو عبل قوى ،
عبقري سمهري ؟ لقد لقيته عند شاطئ الهلسينبات ،
ورأيتة يشق اليم فعلقه قلبي وهسووته نفسى .. وكان
الموج يلفه فى أعرافه ، ثم يسجد تحت قدميه كأنه يقبلهما ،
فلما خرج من الماء رأيت الدنيا كلها تحف به ، وتغزله
وتناغيه ، فلم أر أن يفوز به غيرى ، ولا أن يستأثر بجمائه
سواى ، وقد رضى أن يتبعنى الى أولمب ، فتفضل ايا أبتاه
وامنحه الخلود ، فالموت لمثل هذا الجمال قسوة هائلة .
وذبول هذا الحسن شىء مخيف جدا . . . ينبغي أن يعيش
الى الأبد حبيبى تيتون . . . اليس كذلك يا أبى ؟ اليس
خليقا بالخلود كالآلهة ؟

وتقدم تيتون فسجد بين يدى الأولمب ، وتفضل رب
الارباب فمنحه الخلود .. وا أسفاه ! ألايته ما فعل ..
ألايته ما فعل ؟ !

قال زيوس وهو يحلث نفسه :

« اذهبى يا أورورا ، سأعذبك بهذا الحبيب ، وسأنتقم
لكبريائى منك ، وسيكون تيتون عبئا ثقيلا على قلبك
وسيعيش الى الأبد بجائبك كما اشتهيت ، وسأعلمك
كيف تستبيحين ان تكلمى أباك كما فعلت .. فوعزتى
وجلالى لأعذبك بألف حبيب وحبيب ! »

وعاشت أورورا مع حبيبها تيتون أحسن عيش وأجمله ،
واستمتعا بسنين كانت أشهى من الأحلام ، وأنجبا طفلهما

اليافع الجميل ممنون (١) فكان لهما كالتقينة الحلوة فوق
ثغر الحياة الباسم

ومرت الأيام وأورورا جميلة وردية كما هي ، لأنها ربة ،
ولأن قوانين الزمان من قدم وحداثة لا تنطبق على الآلهة ،
لأنه لا أول لهم ولا انتهاء ، فأورورا جميلة دائماً ، وردية
أبدًا ، لا ينسى قلبها يخفق بالحب وينشده ، ويهيم بالجمال
ويفتقده ، ونفسها عاشقة وامقة كذلك ، وإن أمانى الغرام
تجيش في صدرها دوماً ، فهي إن خلت إلى حبيبها تبتون
الزمتة فنونا من الغزل ، وضروباً من النجوى ، إذا صبر لها
الشباب ، واحتملها الصبا ، فليس المشيب بصابر لشيء
منها ، ولا محتمل القليل الأقل من تكاليفها ، ولاله جلد
على أفانينها

— ما هذه الشعرة البيضاء التي بزغت في سواد شعرك
كما تبرغ نجمة الفجر في أخريات الليل يا حبيبي ؟
— « أية شعرة بيضاء يا أورورا ؟ وربما كانت نذير
المشيب يا حبيبتي !

— « المشيب ؟! كلمة غريبة لم اسمعها إلا منك !
ماذا تعنى ؟

— آه ! أنتم معشر الآلهة لا تعرفون المشيب ، أما نحن ،
معشر البشر ، فسرعان ما يذهب صبانا ، ويولى شبابنا ،
فنشيخ ونهرم ، وتصبح لنا رؤوس مجللة بشعر أبيض
يشبه أبر الشوك ، يقول الشعراء أنه نور قبيح يسعى بين
أيدي الكهول ليشق لهم ظلام القبور !!
— يا للهول ؟ أن هذا الضرب من خيال الشعراء
يخيفني !

— اطمئني ! أنا باق إلى جانبك آخر الدهر . أليس قد
وهبني الخلود سيد الأولب ؟

(١) قتله أخيل في حروب طروادة

— بلى ! ولكن ...

— ولكن ماذا ؟

— هذه الشعرة البيضاء التي قال فيها شعراؤكم
ما قالوا ؟

— الشعرة البيضاء ؟ مالها هذه الشعرة البيضاء ؟
ليست شيئا مادام سيد الأولب قد وهبني الخلود ، ان
الذي أفرغ الشعراء من الشيب هو ما ينذر به من غروب
شمس الحياة !

— ولكن الشعرة البيضاء تنذر بأكثر من هذا ؟

— آه ! قد فهمت مايوسوس في صدرك ؟ ألم أعد
جميلا يا أورورا ؟

— بل أنت لا تزال جميلا يا حبيبي
— اذن لا عليك من هذه الشعرة البيضاء



وتمتعاسنوات أخريات ، ولكن الشعرة البيضاء
اصبحت شعرات وشعرات ، حتي غلب نور المشيب حلك
الشباب ، ولم تعد لطرة تيتون المصفوفة تلك النضارة
وهذه اللمعة ، وذلك السحر الذي كان يرف مع النسيم
على جبينه المشرق الناصع فيثير الغرام في قلوب العذارى
... بل حال (١) لونها الأسود الفاحم ، ونبت فيها قتاد
شائك تنفشه الرياح على جبين متغضن باسر (٢) ذي
أسارير ، يبعث الرهبة في أفئدة الشياطين !
— تيتون !

— نعم يا حبيبتي !

— لا ! لا ! لا ! لاتنادني بهذا النداء

(٢) مقطب

(١) تغير

— وله ؟

— لم يعد يصلح . . . لقد اشتعل رأسك شـيـبـا ،
وتغضن جبينك ، وترهل خداك ، وبرزت عظامهما ، وغارت
عيناك جدا ، وانطفأ فيهما بريق الشباب الغض ، والصبي
الفريض (١) . وعضلاتك لقد عصرتها السنون يا تيتون !
وى ! مالك تنحنى هكذا ؟ هل ضاعت منك درة ثمينة ،
فأنت تبحث عنها في أديم الأرض يعكازك هذا الفليظ ؟
آه ! بل ضاع منك شبابك أيها الشيخ الهرم فأنت تبحث
عنه في هذا الثرى !

— حسبك يا أورورا . . . حسبك يا ربة !

— « لا ، أبدا ، ليس حسبي ، أغرب عني أيها المسبخ
الشائه ! ظل في عقر الدار حتى أرتد إليك !!

وانطلقت ربة الفجر الوردية غضبي صاخبة ، وذهبت
تطوى الفيافي وتهيم في البرحب حتى كانت من غير قصد
عند شاطئ الهلسبنت ، حيث لقيت لأول مرة حبيبها
الجميل الشاب تيتون بن بربام ملك طروادة ، منذ نصف
قرن من الزمان !! أواه تيتون !! يا للذكريات الحلوة التي
تطيف بالقلب كما تطيف أطيب الأعلام بعيني نائم !! هنا ،
على رمال ذلك الشاطئ الهادئ ، وبين طيات ذلك الموج
الذي يبدو كأنه لم يتغير ، رأت أورورا الوردية تيتون
البارع ، وشعره الأسود الفاحم يتهدل على جبينه الوضاح ،
ثم لا يلبث أن يستوى حين تمر عليه أمشاط الأمواج .
وهنا . . . ثارت عاصفة الغرام القديم في قلب ربة الفجر
الوردية لأول مرة ، وشب لظى الحب ملء جوانحها . . .
وفوق هذه الرمال السافيات تكشففت أورورا لتيتون الفتى
لتخلب لبه وتملك عليه قلبه ، ولكنها ما استطاعت إلى ذلك

(١) الغض الطرى

من سبيل ، حتى تقلبت تحت قدميه ، وتبرجت بين يديه ،
فرضى ما عرضت عليه ، وانطلق معها الى اولب ! فمالها
اليوم غضبى على تيتون ؟

مشيت على شاطئ غرامها الاول ، فثارت فى فؤادها
الذكريات ، وارسلت عينيها تفتش بين طيات الموج الجياش
عن تلك الصورة الحبيبة الرائعة ، التى تطفو هناك ..
هناك فوق ذاك الشبح كحلم جميل ... صورة تيتون وهو
يصطرع مع اليم فيصرعه ، ويغالب اللجة فينتصر عليها
... ثم جلست على صخرة مشرفة على البحر الممتلئ
بالذكريات ... وطفقت تبكى !

لا ريب انها عنفت نفسها على ما صنعت أمس مع تيتون !
ما ذنبه ؟ ما جريرته ؟ باى حق تنعى عليه شيبته ولا يد له
فيها ؟ ولماذا تخزه بقوارص الكلم لان جبينه تغضن وامتلا
باسارير الكبر ؟ ولماذا تعيب عليه عينيهِ الفـائـرتين
المنطفئتين ! ولم تذكره بشبابه وتتهكم عليه ، فتقول له
انه يبحث عنه بعكازه فى التراب ؟

لا ريب انها كائت قاسية ، ولا ريب انها لامت نفسها ،
لان كل تلك الافكار ترددت فى أعماقها ، وقد سألت روحها
المتألـة ألف سؤال فلم تستطع أن تراها محقة فيمـا
صنعت ...

وعادت أورورا أدراجها الى تيتون . البائس الهرم ،
فهشت له وبشت وراحت تملق له ، وتتعايل على قلبها
ترجو لو تستطيع أن تخدعه فيسيغ هذه الكومة المتراكمة
من القبح والشوه والدمامة ، قبعـت فى ركن سحيق تحمل
أوضار السنين وتنوء بكارثات الليالى
ولبثت تتغفل نفسها بضع سنين ، ولكن للالهة (١)

(١) ليعبر القارىء أن القصة من أساطير اليونان

كما للبشر قوة محدودة من الاحتمال ، ومدى غير واسع
من الصبر ، وقد جاهدت أورورا نفسها مجاهدة طويلة
شاقة ، عادت بعدها الى التبرم بتيتون ، والضيق
بشيخوخته الثقيلة ، والنقمة على تلك اللحظة الاسيفة
التي لقيته فيها ، ونوبة الجنون التي جعلتها تتورط
لدى سيد الاولب فتسأله أن يهب حبيبها نعمة الخلود
- وفيهم كل هذا الحزن يا أختاه ؟

- وما العمل للخلاص منه ؟

- أنت المخطئة ، ذلك لا ريب فيه

- مخطئة ! وكيف ؟ هل كنت عامدة أن أقصد الى
الهلسينت لاراه ثمة ؟

- ليس هذا ما عنيت

- اذن كيف كنت مخطئة ؟

- لانك سألت سيد الاولب أن يهب حبيبك الخلود ،
ونسيت أن تسأليه أن يديم له شبابيه ، ويحفظ عليه
صباه . اذن كنت تمتعت بجماله الفينان أبدا الحياة !!
اليس كذلك يا أورورا ؟

- بلى ، هو ذاك ولكن ... لقد سبق السيف العذل !

- على كل حال هناك من هو أجمل من تيتون فلا

تبتئسى ..

- أجمل من تيتون ؟ وكيف الخلاص من تيتون قبل

كل شيء ؟

- لا أيسر من ذلك ، السحريه !

- أسحره ؟ ! آه ؟ فكرة يا أختاه ! ولكن من هو هذا

الشباب الوسيم الذي عنيت أنه أجمل من تيتون ؟

- وى !

- لا بد من صيد آخر قبل أن يطلق سراح الصبي

القديم ؟ !

— اذن فاذهبي الى جبسل هيماتوس حيث يرعى
سيفالوس الجميل قطعانه !
— ثم ... ؟

— ثم عودي فاسحري تيتون واخلصي منه !
— وماذا تريد أن أسحره اليه ؟
— انه عجوز هرم يدب على عكاز ... ألا تسحرينه
جندبا (١) ؟

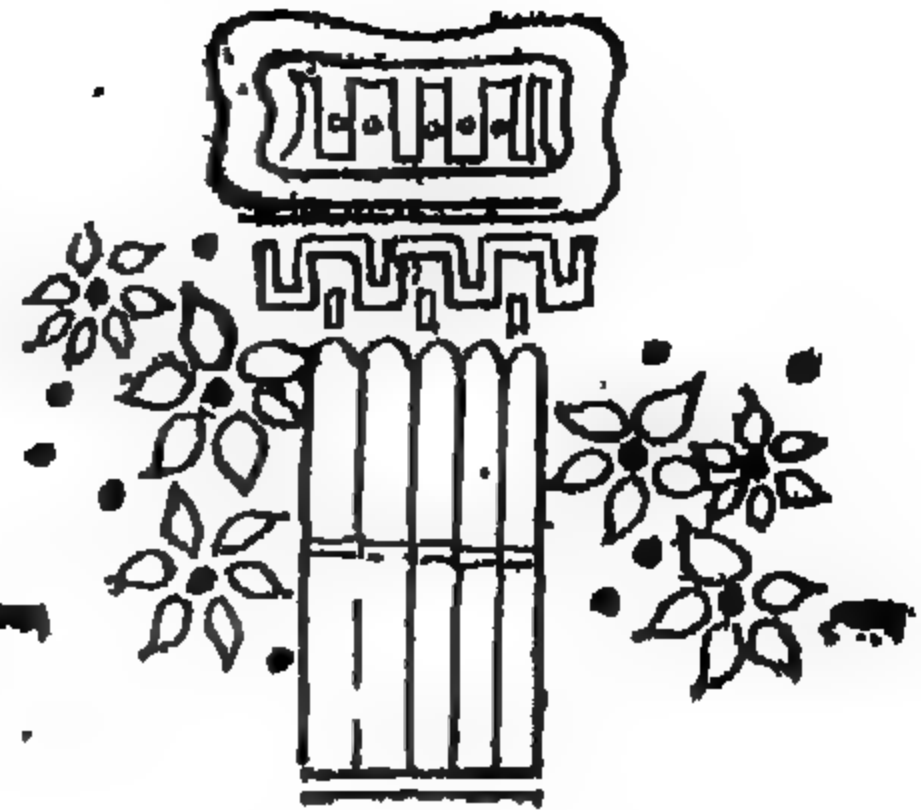
— بلى ! فكرة نابغة يا اختاه !

ولقيت أورورا حبيبها الجديد سيفالوس السراعى
فهويته وشغفته حبا ، أما تيتون فيا ويحسه ، ويا ويح
للعشاق من قلوب العذارى ! انه لا يزال الى اليوم يثب
مع آلاف الجنادب فى الحقول والغيطان (٢) بعد ان
سحرته أورورا

(١) نطاظ (٢) السهل المظمن الواسع من الارض

بجماليون المثال

أسطورة الفنان
الذى عشق تماثله



فى مدينة أماذيس ، الراقدة كالحمل بين مهاوى الجبال
على شاطئى قبرس الجنوبي ، كان يعيش المثال بجماليون
عيشة كلها عزوف عن العالم ، وانزواء عن مشاغل
الحياة ، وهرب من الناس . كان يأوى الى مثله اذا
تنفس الصبح ، ويكب على عمله حتى توارى الشمس
بالحجاب ، فيأوى الى فراشه ، سادر النفس ، مغمود
القلب ، مكتئبا حزينا

ولم يكن حزنه من نوع هذه الاحزان التى تتعارفها
قلوب أبناء آدم ، بل كان حزنا فريدا فى نوعه ، غريبا فى
اسبابه ، شاذا فى دواعيه ، حتى لتحسب أن أحدا من
الناس لم يشق بمثله من قبل . . . ولا من بعد

كان فى بجماليون صمود عن الناس شديد ، لا يراهم
جديرين بتودد ، ولا خليقين بمؤاخاة . ومع انه كان
يضى من عبقريته على تماثيل الالهة التى طالما تفننت
فيها يده الصناع ، فكان يخرجها على نسق الفاتنات
الحسان ، وفى سمات الغيد القيان ، فبالله لم يصب مرة
الى امرأة ، ولم ترتبط أسبابه بفتاة . فكأنه كان يسمو
بحبه على النساء ، وان كن فى الحقيقة صاحبات وحيه،

وفيض نبوغه ، واللمع الخاطفة التي يتجه شطرها مثله
الاعلى . .

ولم تكن هذه الحياة الصحراوية التي يحيها
لترضيه ، ولا تلك المعيشة الالية التي اغطشت أيامه
لتقنع خياله الخصب ، وقلبه الرحب . لقد كان يقف
منقبض الصدر ، مغلول الروح ، أمام هذه الدمى
الصامتة ، والتماثيل الخرساء ، التي صنعها لا يولاي ،
ومينيرفا ، وديانا ، وكيوبيد ، وفلكان !

ولقد كانت المناحت والازاميل ، والمثاقب والمناشير ،
والمبارد والمناعم ، وكل عدده تثير في نفسه السخط على
الحياة ، والبرم بالايام ، كلما فكر في حاله فعلم أنه يحيا
بلا حب ، ويعيش بلا امل ، ويعمل بلا غرض ، ويسعى الى
غير مطمح !

وبينما هو في يقظته النائمة هذه ، اذا بحجارين يحملون
رخامة كبيرة ، على جرارة ضخمة من هذه الجرارات
الثقال ، التي ترى كثيرا في محاجر اليونان ، ثم يقفون
أمام المثل ، ويطرقون باب بجماليون ، فينقدهم ثمن
الرخامة ، وينصرفون كل الى طيته ، وكأنما كانت هذه
الرخامة ، على ثقلها الهائل ، وحيا خصيصا من السماء ،
أو آية من آيات الاولب ، هبطت على هذا المثل المهموم ،
فبدلت يأسه املا ، وقنوطه المظلم رجاء نير الآفاق ! فانه
لينظر اليها نظرات تشف عن التمثال الرائع الذي سيولده
منها ، وانه لينزع ملابسه ، ويضفي عليه ملابس العمل ،
ثم يتناول ازميله ومنحته ، ويهوى على الرخامة مستلهما
الحول والقوة من « فينوس !! »

« يا فينوس الجميلة ، يا ربة الحسن والحب ، يا من
تسبح لك القلوب العاشقة ، وتلهج باسمك النفوس الوامقة

ياسر الورث الخميل ، وئسمة الفن الضاحك ! يا أم كيوييد
الحالم ، وبنت ديون (١) الباسمة ، يا فينوس الجميلة ،
العون ، العون يا فينوس ! »

وهكذا لبث هنيهة يصلى ، ثم اخذ فى عمله ، وكأن فكرة
تنزلت على فؤاده ، وامتزجت بشغاف قلبه ، فراح يصورها
ويمثلها ، فى هذه الرخامة النقية كالنهدف ، البيضضاء
كالثلج . بل كأنما استجابت فينوس ربة الحب لصلاته ،
فأودعت فى يده ثفحاتها المباركة . فما دق دقة ، أو نقر
نقرة ، الا وتمثل فينوس الجميلة امامه ، ناذرا لها هذا
التمثال ، برغم التماثيل البارعة التى نحتها لها ، والتى
تملا معابد اليونان وأقداسهم

وأقبل على عمله بروح جديدة ، ويد لا تكل ، فلم يكن
يخول بينه وبينه الا الليل يرخى سدوله ، والا سنة من
النوم ترقص فى جفنيه ، فاذا نام تتابعت الرؤى ، وتلاحقت
الاحلام ، كل منها يبدى له ناحية كان يجهلها من جمال
فينوس !

ولقد بدا له كفنان ، ان يروح عن نفسه يوم يقضيه
فى الادغال ، وبين مسارب المياه ، لكى يجدد نشاطه ، وينعش
ما خمد من ذهنه ، وخبا من خياله ، لطول ما اكب على
العمل ، فانطلق ذات صباح الى سيف البحر يناجى ابولو ،
وهو يوقظ الشمس من خدرها فتعاونته فى مركبتها الذهبية
الاتباج ، وظل يعلو ويهبط ، ويروح غاديا الى هنسك ،
حتى شارف ان ينتهى ، وعادوه هواه الملح ، فنذم على
ما قتل من ساعات فى هذه الراحة الخاملة ، والفسحة
الباطلة ، فعاد أدراجه الى الممثل مستغفرا فى طريقه

(١) فى الميثولوجية اليونانية أن زيوس كبير الآلهة كان مزواجا ،
وزير .. ربات . فمن زوجاته ديون التى أولدها فينوس

الطويل فينوس !

ووصل ما انقطع من عمله ، فكان يستذكر أحلامه
ليضيفها على التمثال ، ويستوحى السماء فتلهمه من أديمها
الصابي ، وتشيع في يديه وقلبه بطهرها ونقاها ، لتنتقل
من ثمة سحرا وفتنة فوق تلك العضلة ، وتحت ذياك الأبط ،
وبين انفراج هذين الشديين ، وبالقرب من العكن ، وحول
الفخذين ، وعند هذا الأنف الاغريقى الاشم ، وملء ذاك
الدقن الدقيق ، والعنق الرقيق ، ولفته الحدقتين ،
وانفراجة الشفتين ، وتبسيم الثغر ، وتكوين الشعر ،
وتمليس الردف ، وتدوير الكعبين ، وتنعيم العقبين ..
وتباركت يا فينوس !

لكن بجماليون يحس الحياة تسيل من ازميله الحنون ،
فوق هذا الجوهر المكنون ! وكان يتقدم فينظر ، ويتأخر
فيرى ، ويميل من هنا وينثنى هناك ، ثم يقطع الى حل
وينحنى الى أسفل ، ليتفقد التمثال من جميع نواحيه ،
فماذا رأى ؟ لقد استطير من الفرع ، ومادت اعطافه من
الخيلاء ! ولكنه سكن قليلا ، وانطلق يتحدث الى نفسه
« ويحيى ! لم صنعتك أيها التمثال ، مادمت قد بلغت هذا
الجمال ولا تتكلم ؟ أنا بجماليون التمس ، الذى يعيش فى
هذا العالم القفر ، وعلى هامش تلك الدنيا المجذبة ، لا أنيس
لى ، ولا قلب ينبض بحبى ، فينبض قلبي بحبه ، ولا نفس
تصلى لى ، فأصلى من أجلها ! تكلم أيها الرخام الصامت ،
وانفراجا بكلمة واحدة أيتها الشفتان الساحرتان ! أنا بجماليون !
أنا صانعك أيتها الانشى المتحجرة .. تكلمى ، ودى على ،
فوحق فينوس المعبودة لقد اودعتك سر روحى ، ولفظ
حياتى ! أوه ، ألا تردين على بجماليون المسكين ؟ آه فينوس !
النجدة يا فينوس ! أنا لا أصلى الا لك يا فينوس ...
الغوث الغوث ! .. »

وظل المسكين مكتباً على هذه الألمية التي صورها بقلبه
كله ، وروحه جميعها ، يشكو اليها كأنها تسمعه ، ويبتها
كأنها تصفى إليه ، ثم انتهى حاله الى هيام شديد ، وحب
ودنف ، ولوعة وصباية ، وانقلب عشقه المبرح الى لون
كاسف من الوجد ، وضرب شديد من امر ضروب الحزن ،
مصدره العقل الحائر والوجدان المضطرب . . . اذ كيف يعشق
هذه الكتلة المجسمة من الرخام ، وهي مما صنعت يداه ؟
واى امل له في هذا العشق الشاذ ؟ لا ريب انه ضرب من
الجنون ، ما له من ضريب !

ولج به هواه ، فأحضر عصابة من الحماليين الاقوياء ،
نقلوا له تماثله الى ردهة الآلهة - كما كان يسميها - وهي
صالة واسعة فى الطابق الثانى من البناء الذى فيه ممثله ،
وقصد الى امهر الصاغة وتجار اللآلىء ، فاشتري ماوسعه
من الحلى البالغة والجواهر النفيسة ، وعاد فقرط الاذن ،
وقلد الجيسد ، وتوج الرأس ، ثم هام فى المروج الخضر ،
والحدائق الغناء ، يجمع الورد والرياحين ، كيما ينثرها
تحت قدمى التمثال !

وتحولت الردهة الى معبد من معابد البوذية المقدسة ،
بما عكف يحرقه من مقتنى الندى وفواح الرند ، فى مباخر
المرمر الجميل المصقفة حول قاعدة التمثال

وتلف تلفاً شديداً من الغرام العجيب ، فلم يكن
يكتفى بالعبادة فى الحب والخبوت بين يدي ذلك الصنم
المنتصب للفتنة ، بل كان يشركه فى كل أمره ، ويعرض
عليه جميع شأنه ، حتى القراءة ! فطالما كان ينشده من
دواوين الشعراء ما جادت به القرائح وشدت به اللسان
وتغنت بألحانه قلوب العاشقين !

معدور بجماليون ! لقد تعب وراء الحب ، ولكنه لم يلق
هذه الفيداء الفاتنة ، التى تستطيع التسلط على مشاعره ،

والهيمنة على قوادده ، وتكان يتخيل روعة الجمال فلا يجدها
مجتمعة الا في هذا التمثال الذى نحتة لهذه الالهى ، نعبده ،
وراح يتمنى على الالهة الامانى ، أن تنفخ فيه من روحها ،
وأن تهبه الحياة ونعمة العيش

وبينما هو نائم فى هدأة فجر اليوم التالى ، اذا به يصحو
فجأة على لفظ شديد ، وهرج عال فى الشارع الذى يقع
فيه بيته . فينهض الى النافذة ، ويرفع الستر ، ويفتح
أحد المصاريع قليلا ، ثم يحنى رأسه ليرى . واذا موكب
زاخر من غوغاء المدينة يحملون تمثالا كبيرا من تماثيل
فينوس التى صنعها بجماليون ، واذا الدهماء ينشدون
الاناشيد الشعبية ، ويرسلون فى غبشة الصبح أغانيهم
(الشعبية) الجميلة . . . وكان من عادة سكان أماذيس
أن يحتفلوا بالربة فينوس ثلاثة احتفالات يفاجئون بها
النائمون ثلاث مرات كل سنة ، فلما عرف بجماليون أن
الحفل حفل فينوس ، أسرع فارتدى أبهى ملابس ، وجمع
بعض باقات الزهور المبعثرة تحت قدمى تمثاله ، وهرول
على الدرج ، ثم انفتل فى الشارع ، واندمج فى صميم
الشعب الذى يلهج بالصلوات والادعية باسم فينوس . ثم
ماهى الا هنيهة ، حتى كان بجماليون يهتف كما يهتف
الأطفال والسذج ، ويردد من الصلوات ما يرددون
ولم لا ؟ هل لحظة من الزمان هى خير من هدأة الفجر
ترسل فيها الصلوات على أول آراد الصباح ، الى آلهة
السماء ، وارياب الاولب ، فتسمع وتلبى ؟

وكان كل همه ان ينتهى هذا الحشد الهائل الى المعبد ،
حيث يستطيع أن يرتل دعاءه ، ويتمتم بصلاته

وقد تنظر حتى فرغ الكهنة من جميع الطقوس التى

اعتادوا أن يقوموا بها في مثل ذلك اليوم ، وأخذت
الجماهير تنصرف هاشة مستبشرة ، كأنما غمرتهم نفحات
خالدة من فينوس . ولما لم يبق في المعبد الا كهنته ، وأفراد
من الاتقياء الصالحين ، يصلون صلاتهم ، ويفقمسون
بأدعيتهم ، تقدم بجماليون في روعة التقى وخشوع الورع ،
ووقف خابتا أمام المذبح ، حيث تصاعد السنة البخور
المعطر ، حاملة الأرج الشذى من لهب المحرقة الى السقف
... والسجف ، فتكسب الهيكل جوه القدسي البديع ،
ثم القى في اللهب يحفنة من فتيت الكافور والمسك ،
وظفق يرتل هذا الدعاء الطويل : « فينوس الكريمة البارة ،
ياربة الحب الطاهر ، والهوى البريء ، أيتها القديرة
على كل شيء ، المتصرفة في جدود العاشقين ، وحظوظ
المدنفين : اصغى الى ، ولا ترفض دعائى : منذ اهتديت
اليك ، وأنا عبدك القانت لك ، الهاتف باسمك فى القدو ،
المصلى لك فى الأصال ، لا أنى عن ذكرك ، ولا يفتر لسانى
عن التسبيح لك ، والنسك من اجلك ، باسمك اقبل على
فنى ، ومنك استلهم وحى العبقريّة ، فأنت لى قبل
كل شيء ..

ولقد أيقظتنى صلوات الشعب لك من احلامى الجميلة
بك ، فلم اطغ ولم استكبر ، بل هرعت اليك ، اتوسل
بك ، والتمس البركات منك فحنانيك يا فينوس !
حنانيك ياربة الحب ، وجابرة القلوب الكسيرة ،
والنفوس الحائرة !

انت ، من غير ريب ، تعلمين ما ألم بى من برح هذا
الهوى الطارىء وما تام قلبى من حب هذه الدمية التى
صنعتها باسمك ونذرتها لك ، فدلّهنى ، وشدهت ووحى
المبللة ، وصارت لى أعذب الامانى وأعز الآمال . وهى
بعد رخامة لاروح فيها ولا نامة ، أكلما فما ترد ، وأناجيتها

فما تجيب ، وأغنى لها فما تبسم !

أنت قديرة يا فينوس ! فاتفخي فيها من زوحك ،
وانشري الحياة في أركانها ، وامنحها النبضات والانفاس
حنانيك يا فينوس ! وسلام لك من قلوب عاشقين !

وما كادت صلاته تنتهى ، حتى انهمر الدمع من عينيه
يروى قدمى التمثال المنتصب في المحراب . فانبعث الشرر
عاليا من المحرقة ، حتى أضاء قبة الهيكل ، والتمع في
جميع أرجائه ، واقبل الكهنة والمصلون يباركون بجمالين
ويهنئون ، لان انبعث الشرر هكذا ، عقب الصلاة ، هو في
اعتقادهم دليل رضى الرب ، وآية تليتها واستجابتها !!

ولكن مثالنا لم يشعر بقلبه يثلج ، ولا بنفسه تهدأ ، بل
على العكس أحس كأنها الحياة تتدجى أكثر من قبل ،
ويحلوك كل شيء في عينيه وشعر بعد ذلك بقنوط قاتل
ينفذ الى صميمه ، فيطفئ فيه مارجى من الآمال البيض ،
والاماني العذاب ! فتعثر الى الباب غير آبه لما حوله من
الأس المنضود فى انحاء المعبد ، والزهر المبتوث فى صحنه
الرجيب ، وما يرح بين ونى وبطء حتى باب منزله ، فوالج
متساقطا على نفسه ، وانبطح على أول سلاليم الدرج
لا يحس ولا يعي !

وغفا اغفاءة مريضة ، فبدأ له أن يحمل أربة هائلة ،
يهوى بها على رؤوس الدمى ، ويحطم بها التماثيل المنتشرة
فى ردهة الآلهة . . الا تمثال فينوس الجديد ، المرصع
باللآلئ واليواقيت ! ففرع فزعة مروعة ، ونهض يعدو
الى الصالة ، يتفقد التماثيل . . فما رآه الا ان يسمع
صوتا رقيقا يناديه :

« بجماليون . . . بجماليون . . . ارق الى هنا . . . هلم الى !! »

من؟ صوت من هذا؟ اته صوت مرمى لا عهد لجماليون به !! »

وقفز قفزات كان بها في الطابق الثانى ، ونظر فلم يجد تمثاله الحبيب فى المكان الذى غادره فيه . . . « .. أين؟ ويحيى ! لصوص ! »

ولكن الصوت الرقيق الرنان عاد يطن . . . ويرن « لا ، ولكنها فينوس ! » والتفت بجماليون فرأى غادة هيفاء فى طبق تمثاله ونسجه ، متكئة على الأريكة التى طالما وضعها أمام التمثال وانشد عليها الاشعار ؟! « من انت ايتها المعبودة ؟ »

« لست معبودة ، ولكنى هبة فينوس لك ! انا جالاتيا تمثالك المكنون ! »

وكيف ؟ انا لا اصدق . هذه خديعة لاشك ! »

« وكيف تخدعك السماء يا بجماليون ؟ اتريد ان تكفر بالاء فينوس ؟ »

« لا . . . لا . . . لا اريد ان اكفر . . . وحاشاى . . . ولكن كيف حرت انسية ، ومن وهبك الحياة ! »

« هذا سر فينوس . وهذه قبلاتك لا تزال مطبوعة على قدمى ! »

« يا للسعادة ! »

« انظر الى هاتين الشفتين القرمزيتين ، وهذين الخدين الموردين ، وتينك العينين الزرقاوين . هل استطعت ان تموه تماثيلك بهذه الاصباغ الفينوسية ؟ »

« وانظر الى الانفاس الحارة التى تتبردد فى صدرى ، هل وسعت مرة أن تبعثها فى احدى دماك ؟ »

« حاشا . حاشا »

« اذن فهلم الى أحدثك حديثي »

« فدنا منها بجمال يون المشدود »

— بجمال يون ! لقد استجابت فينوس لدعائك ، وقبلت صلاتك ، وحضرت الى هنا اذ كنت أنت في الهيكل تبكي وتنتحب ، فمنحتني الحياة ، وعلمتني من العلم ما لم أكن أعلم

— « ولكن كيف بحق فينوس عليك يا جالاتيا »

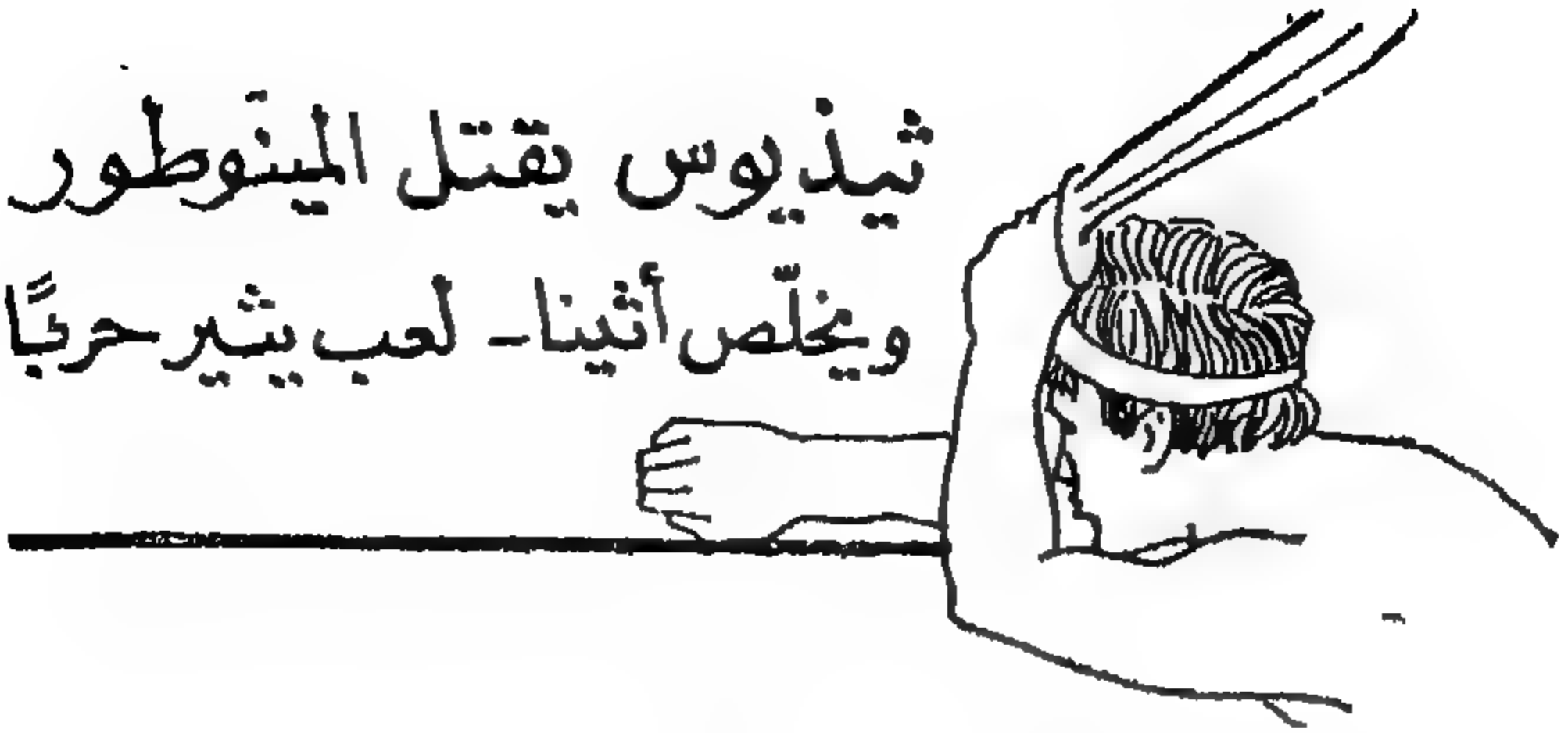
— « كنت منتصبه كما وضعتني على تلك القساعة الناصعة ، فأحسست حدقتي تتحركان ، واذا بي أرى فينوس الجميلة أمامي ، تأمرني أن أدلف نحوها ، ففعلت ، وكنت أحس كأن ثلجا ينفذ من كياني ، وأن حرارة تشيع في أركانى ، وكانت فينوس تقول لي .. « تعالى .. تعالى ، وكوني ربة هذا البيت ، احميه واحرسه ، وانشرى السعادة فيه ! تعالى ألقك دروس المحبة والحياة .. » ، ثم انها نفثت في أذنى نقشات تعلمت بها هذه الكلمات . وأسبغت على هذا الثوب الحريري الذى لا بد أنك قد رأيته على تمثالها في الهيكل .. ليشهد لك أنها هى التى منحتني الحياة .. ومنحتك الحب ! »

— « وماذا ؟ وماذا يا حبيبتي جالاتيا ؟ »

— « ثم تقدمت الى فنولتني قبله مشتهاة لن أنسى ما حييت أسرها ، ودعت لي ولك بالوفاء الابدى ، والاخلاص السرمدي ، لنكون آية السماء في هذه الارضاء ! وابتسمت ابتسامة أرق من اطياف أوراق الورد ، ولم أعد أراها .. »

وأتمت جالاتيا حديثها ، فاستقر بجمال يون في أحضانها !

ثيذىوس يقتل المينوطور وينخلص أثينا - لعب يثير حرباً



كان الملك ايجوس ، ملك أثينا ، فى شرح صـبـاه
وعنفوان شبابه ، زير نساء وأخا شهوات ، وكان ذا نبرات
تكاد تسعى به الى حتفه .. بظلفه ..

ذهب مرة يجوب ريف مملكته ، فلمح وجهاً مشرقاً
ينبثق من كوة كوخ فى احدى القرى ، تتراقص حول
ثغره الصغير بسمات هن رسل الحب ، وتنطلق من عينيه
النجلاوين نفثات تصرعن ذا اللب .. حتى لا حراك به ..
وطرق الباب يستسقى ، وما به ظمأ ، فامتدت اليه
ذراع عاجية لدنة تحمل كوباً من البلور ، مفعماً برحيق
الحب ، وان لم يحو غير الماء القراح !

وتناول الكوب ولبت لحظة يشرب ما فيه بعينيه ،
دون أن يمتد فمه اليه ، ثم أرسل زفرة دفعت الباب
فانفتح على مصراعيه ، ودخل غير مستأذن فروى فمه
وبرد قلبه ، وبلى جاحم الحب الذى زلزل أركانه

ثم تزوجها ، ومكث عندها شهراً كان عسلاً كله !

ووصل الى قاعدة الملك ، وأم القرى ، أثينا ، بعد أن
ترك وصاته المكتوبة الآتية : « فى الغرفة التى ضمتنا

لاول مرة نلتذ الحياة وننعم بطيب العيش ، هنا ، وفي
هذا المنزل الصغير الذى اتسع لدنيا من الآمال والأحلام ،
وتحت الحجر الكبير الملون ، حيث كانت قدمائى تحييان
فى سكرة الهوى قدميك ، قد استودعت نعلى اللتين
حملتانى اليك ، وسيفى الذى قرئت به رؤوس الاعداء
حتى سعدت بك ، فاذا وضعت غلاما فسميه ثيذيوس ،
ونشئيه وطريئه حتى يصلب عوده ، ويشتد ساعده ،
فخذه الى الحجر فليرفعه ، وليلبس نعلى وليمتشق
سيفى ، ثم ليمنض الى أثينا ، لا حافظ له الا قلبه ، ولا
حارس الا سيفه فاذا شأئت العناية فانه بحول زيوس
العظيم ولى عهدى ، وصاحب التاج من بعدى »

وتتابعت السنون

وكانت أثينا تزهى كل سنة بعيدها الرياضى الفخم ،
فتلبس حلة من البهجة والايناس ، وتؤمها وفود الاقاليم
المجاورة تتفرج بالالعب الجميلة ، وقد تشترك فيها
وكان مينوس ملك كريت (١) ، ابن مفتول العضل قوى
البنية حبيب الطلعة ، كان يقدم الى أثينا ابان عيدها
الرياضى ليبارى أبطالها ، ثم يعود مشمولا بحب الاثينيين
واعجابهم الشديد ، ولقد كان يحدث ألا يكون للموسم
بهجته المعتادة اذا تخلف ابن مينوس فلم يحضر الى أثينا
ومن غريب المصادفات أيضا أن ينشأ ثيذيوس هذه
النشأة الرياضية التى نشأها ابن مينوس ، والتى كانت
أمارتها تبهر الاثينيين وتخلب ألبابهم فى موسمهم
الرياضى

ولم يكن الاثينيون يعلمون أن الملكهم ولدا ، ان لم يبرز

(١) كريت أو كريد هى جزيرة اقريطش وقد آثرنا التسمية الاولى
لسهولتها وذبوعها .

على ابن مينوس في الالعاب الرياضية ، فانه لا يقل عنه
شأنا فيها . ولم يكن الملك نفسه يعلم عن ولده شيئا ،
ولو قد علم عنه شيئا لما سولت له نفسه الاثيمة أن
يدبر غيلة ابن مينوس في حلك الليل ، وفي طريقه
المتفرقة الى المرفأ ، حين آب بأكبر جوائز الموسم الرياضى
فى المصارعة والملاكمة والعدو ورمى القرص !

لقد أكلت الغيرة العمياء قلب الملك الجبان ، وتلظى
نفواده بحقد أسود حجب بصيرته ، فأرسل عصاة من
الصوص وقطاع الطرق والسفاكين ، فذبحوا الشباب
المسكين ، ونبذوا جثته بالعراء ، تنوشها الوحوش وسباع
الطير !

واهتزت أثينا المضيفة ، أثينا أم القرى ، لهول
الجريمة ، ونقموا على القتلة الاشرار اعتداءهم الشنيع
على ضيفهم المحبوب ، وكادت تندلع ألسن الثورة حين
استفاضت الاشاعات وراجت سوق الاقاويل ، لولا أن
وصل فى صبيحة ليلة الجريمة ، البطل الصغير ثيديوس
ولى العهد ، فجأة ، ومن غير سابق علم ، ولا ترقب ولا
انتظار !

« ثيديوس ! ومن يكون ثيديوس هذا ؟ ! »

« ولى عهد المملكة ورجاؤها ، ومعقد آمالها

« وأين كان الشاب ؟ وابن من ؟ ومتى ولد ؟ »

« كان ينشأ فى الريف ، وهو ابن حسناء من أميرات
الأقاليم ، وولد منذ عشرين سنة

« ولم لم تعلم به أثينا من قبل ؟

« أراد الملك أن يفاجئ شعبه بهذا الخبر السار لولا
اغتيال ابن مينوس ! »

« وهل هو حقا أشجع من ابن مينوس ؟ »

« ومن يكون ابن مينوس وألف بطل كابن مينوس الى
ولى عهدنا ثيذيوس ؟ »

وهكذا راحت الجماهير يتحدث بعضها الى بعض
حديث ثيذيوس

أما كيف وصل هذا الامير الصغير ، فان أمه لما آنست
فيه القوة واكتمال البنية ، ولما رأت من تسدفق ماء
الشباب في وجناته ، وسريان كهرباء الحياة في عضلاته ،
قادتة الى الحجرة التي لقيت فيها لأول مرة أباه ، ثم
ناولته الخطاب المكنون الذي يحمل وصية الملك .
وما قرأ الفتى ما جاء بالخطاب حتى تأكدت له الاماني
العذاب التي كانت أمه تهتف له بها ، فتقدم الى الصخرة
فرفعها بأقل جهد ، ثم حمل السيف فقبله ، ووضع
هنيهة على رأسه ، ثم على عينيه ، ثم على قلبه ، كأنه
يطبع به خاتم المحبة الابوية على أعز جوارحه !

وربط النعلين العزيزتين على قدميه ، وانهاه على خدى
أمه ويديها يقبل هذين ويلثم هاتين ، ثم ودعها ، وتزود
من نصائحها ، وانطلق ميمما شطر أثينا

وكانت الطريق الى العاصمة صعبة شائكة ، محفوفة
بالمكاره ، ككل طريق تؤدي الى جنة او نعيم ! فالاصوص
وقطاع الطرق والسفكون يأخذونها من كل حـدب ،
والسباع الضواري تعج في جنباتها ، والغيلان والبالسة
تهمهم في جميع منعطفاتها . . ولكن هذا كله لم يثن من
هزم ثيذيوس ، فلقد قتل كل من تعرض له من الاصوص
هذه البرية المرعبة ، وفري رؤوس سباعها ، حتى لقد فر
الكثيرون أمامه يذيعون نبأ مقدمه في أثينا . فما وصل
اليها حتى كان صيته قد سبقه اليها وشاع فيها . وما

ان تقدم الى أبيه الملك حتى عرفه ونزل من فوق العرش
فعانقه وقبله ، ثم عاد به فأجلسه بجانبه ، وأرهف أذنيه
يصغى الى قصة حياته ، ومجازفته فى الطـريق التى
تكتنفها الاهیوال الى أثینا !

وأعلن السرور العام فى المدينة ، وظفقت النواقيس
تدق فى الهياكل ، وأطلق سراح المجرمين من جميع
السجون ، وجعل الناس يتندرون بشجاعة ولى العهد
وقصته العجيبة ، حتى لانسأهم ذلك هول المأساة الدامية
التي ربوعتهم وزلزلت قلوبهم

وانتظر مينوس أوبة ابنه ، بيد أنه قلق لانقطاع
أخباره ، وساورته الظنون من أجله ، وحسب أن ريحا
عاصفا ثارت بمركبه فى البحر الايكارى (١) فأغرقته، لولا
أن أحد التجار الكريديين عشر بجثة القتيل فأحتملها الى
الملك ، الذى تصدع قلبه من الاسى !

ولا تسبل عما انتاب مينوس من الحزن ، وما شمل
كريد من الهم ، حتى لم تبق فيها عين لم تذرف ماءها على
ولى العهد

واتصل بالملك ما كان من فعلة ايجوس ملك أثینا ،
فاستيقظ الناس صبيحة اليوم التالى على صيحة الحرب ،
تدوى فى غبشة الفجر فتقضى المضاجع ، وترن فى الاذان
فتتجاوب لها حبات القلوب ! وما تطلع الشمس حتى
تكون البطاح مائجة بجنود كريد البواسل ، هائجسة
بالمتمسكين من الشبان والشيب ، هرعوا جميعا فسدى
للملك ، وريا لمجد الوطن ، واثارا لولى العهد !

وترامت الاخبار الى أثینا ، فاعتكرت أفراح البلاد ،
وسكن ضجيج الشعب ، وسارع الجميع يستعدون للقاء

(١) نسبة الى ايكاروس (أسطورة سابقة)

العدو ، فها هي ذى القلاع قد سهر عليها حراسها ،
والسبل منبثة فيها الجنود شاكى السلاح ، والمرافىء
تعج بالسفائن الحربية ، وكل رجل فى المملكة قد
اضطلع بنصيبه فى النود عن بيضة الوطن !

وأقلع مينيس بأسطوله اللجب ، وعسكره المجر ،
وفرسانه العديدين ، مزودين بميرة ليس كمثله ميرة ،
وذخيرة يا لها من ذخيرة .. ومخر الاسطول لا تحسول
بينه وبين مطمحه عقبة ، ولا يقف من دونه محقق ولا مجنون
ووصل الاسطول الى أثينا ، غادة هيلاس ، وهدية
الآلهة الى فينوس ، وعروس الاحلام الجميلة ، فوجد
الاسوار مخفورة ، والبوابات مغلقة ، والناس داخل
المدينة مستعدين للدفاع عنها ، فألقت الفلك مراسيها .
واندفع الكريديون يحتلون السهل الواسع المحيط
بالمدينة حتى ملأوه ، وحتى لا ترى الا خياما تصل اقصى
الشمال باقصى الجنوب ، وتربط أول الشرق بآخر
الغرب .. جنود وضوضاء .. وصهيل ورغاء .. وعسكر
كالجراد المنتشر لا تبلغ أوله عين ، ولا يذهب الى آخره
خيال !

وصابر مينوس يحاصر المدينة أياما طوالا حتى قلت
الاقوات داخلها وأخذ أهلها يشكون الجوع والجهد ،
وزاد فى شدتهم أن تضب الماء ، فعم البلاء

ولم يكن أمام الاثينيين الا احدى اثنتين : اما الموت
داخل الاسوار صبرا ، وهذا ما لن يكون ، واما الخروج
للقاء المحاصرين ومناضلتهم ، وذلك ما لا طاقة لهم به
ولا قدرة لهم عليه

أمران أحلاهما مر ، وأخفهما فيه الويل ، وعقباء
الدمار والبوار ، وأجمع بعض عقلائهم على أن يذهبوا
الى ملكهم يرجوئه فى أن يذهب الى الهيكل فيقدم القرابين

الى الالهة حتى تأتيهم نبوءة السماء ووحى اولمب
بما ينبغي أن يكون .. ولكن الملك أبى واستكبر ، ثم
قبل بعد الحاح أعيان القوم ان ينوب عنه فى هذا الشأن
أحدهم

وقصد قائم مقام الملك الى هيكل فينوس فتقرب
بالضحايا وعقر القرابين ، وقبل الارض بين يدى تمثالها
المنتصب فوق المذبح ، ولبت غير قليل ..

وخشعت الابصار وسكتت القلوب ، وعم المعبد وجوم
عجيب

ثم انبعث الصوت القدسى الضعيف من خلوة الكاهن
يقول :

« ليفعل الاثينيون ما يأمرهم به مينوس ملك كرييت ..
الويل لهم ان حاربوا !! » ..

وهلعت الافئدة .. وطاشت الاحلام !!
وتلقاها الملك كما يتلقى الانسان حكما عليه بالاعدام ..
ولكن ما العمل ؟ ولا حيلة لبنى الموتى فى دفع أحكام
القضاء ؟

وأرسل ايجوس الى ملك كرييت يعرض عليه الصلح ،
ويسأله عن شروطه .. فقال مينوس ليرسل الملك :
« قولوا لاييجوس ، الآن عرفت كيف طعنت فؤاد مينوس
تلك الطعنة النجلاء بقتلك ابنه وولى عهده

ولقد جئناك تطلب ثمن هذه الفعلة الشنعاء ، ولن تكفيينا
أثينا كلها ثمنا لها ! أما وقد ذلت ، فحسبنا ان نرجع
بسبعة من خير شبابكم واجمل فتيانكم ، وسبع من ابكار
الاثينيات وابهى حسانها ، ليكون الجميع غداء نحلا
للمينوطور ، على أن ترسلوا كل عام فى مثل هذا الزمن
أربعة عشر آخرين من خيرة شباب أثينا واکرمهم حسبا ،
فلان رضى الملك وسلم فدية هذا العام رحلنا عنكم الى

العام المقبل »

وسكت الملك وتحذرت من عينيه دموع غلاظ ، وثار
في قلبه هم قديم

طلب مرعب ينم عن قسوة وغلظة ! غير أن قتل ابن
مينوس غيلة ، في رحاب أثينا ، وفي دجنة الليل ، وبتدبير
الملك ، كل ذلك يهرر الغرامة الوحشية التي فرضها ملك
كريت !

وكاد ايجوس يرفض هذا الهوان الذي طلب اليه أن
يؤديه عن يد وهو صاغر ، ولكن الشعب هاج هائج
وضج الرعاع يطلبون الخبز ، أو تسليم المدينة أو ..
دم الملك !!

فذل ايجوس المسكين وصغر ، وقبل شروط مينوس
مرغما ، واختير من شباب المدينة سبع كواعب أتراب ،
وسبعة فتيان في ريعان الصبى ، وشيع هؤلاء وهؤلاء الى
الاسوار بين بكاء الامهات وعويل الآباء وآلام المحبين !
وهرع الكريديون الى خيامهم فاقتلعوها ، والى شراهم
فنشروها ، وأقلعوا في الصباح الباكر بعد أن ألقوا على
كبرياء ايجوس هذا الدرس المهول !



ومضت سنون وآثينا العظيمة تؤدي الفدية عن يد
وهي ضارعة ، حتى ثارت كبرياء ثيديوس وفارت نخوته ،
وتقدم الى أبيه الملك الشيخ ، حين دعا النفير العام
لتقديم الفدية ، يضرع اليه أن يكون هو الفداء الرابع
عشر من شباب هذا العام : « على الأقل يا أبى يكون في
هذا بعض العزاء للآثينيين ، وليثقوا أننا لا نذلهم ، وأنا
منهم وهم منا ، وأنا آخر الامر ، نشرب بالكأس التي
يشربون ! »

وصعق الوالد حين تقدم اليه ولي عهده بهذا الطلب ،
ورفض رفضا باتا . . . ويغلى الدم في رأس البطل الشاب
فيقول للملك : « اذن فأنا أحطم كأس الحياة التي أنعمت
مذلة وهوانا ، وسأريق مع سمها الأسنود هذا الدم
الارجواني الذي لا أستحقه ، ولا أشرف به . . . أبتاه !
لن تتحرك السفينة الحزينة حاملة ضحايا قسوتنا
واستبدادنا حتى أحييها بحياتي ، وأرويها بدمي ، ليكون
قربانا لمن عليها من عشيرتي ولداتي . . . »
وقبل أن يفصل البطل الشاب ، ناداه والده باكيا ،
ونفض فباركه ، وقبل ، وألهم يمزق أحشاءه ، أن يكون
بين الضحايا . . .

وفي الحق أن ثيذوس لم يكن يعرض نفسه للتهلكة ،
ولكنه كان واثقا من شجاعته ، مؤمنا بما وهبته الآلهة
من جلد وبأس ، وقلب لا يفله إلا الحديد ، لأنه من
حديد . ولقد صمم أن ينازل هذا المينوطور الخبيث ،
فأما قتله وعاد مرفوع الرأس ، موفور الكرامة ، ليعيش
في وطنه منقذا لأثينا ، وأما قضى القضاء أمره فيه ،
وليس هو بأعز ممن راحوا ضحية هذا الوحش المخيف !
وقال لآبيه وهو يودعه ، حينما ركب المركب السوداء
التي يرفرف عليها علم الموت « أبى ! لا تبك ! انك ملك ،
ودموع الملوك لا تذرف إلا في سبيل الوطن ! اننى ذاهب
إلى معركة أرجو أن يكتب لى النصر فيها ! لقد فزت
على عشرات من أمثال هذا الوحش ولما اكن بعد الاطفلا . . .
أدع لى أن أفوز به ، فأريح اثينا العزيزة من شره »

وأقلعت السفينة تحمل هذه الفلذات الغالية من أبناء
البلاد ، ومخرت في بحر تلاطمت أمواجه ، وزخرت اثباجه ،

وطم أذيه (١) ، وائتفحت أوداجسه ، حتى وصلت الى
كنسوس حاضرة كريت . وهرع الناس من كل فج
يستقبلون ضحايا المينوطور ، وفي وجه كل منهم عبوسة
حزن ، وملء قلوبهم ثورات مكبوتة من الاسبى ، على هذا
الشاب الناصر الذى اقبل الى الموت من قرار بعيد !
وكانت فى الجماهير فتاة غضة الأهاب ، بضة الشباب ،
حلوة ناعمة ، نهضت فى مركبتها لمشاهدة الضحايا
الاثنين ، فما كادت عينها تصيب نظرة من ثيديوس ،
حتى أحست فى أعماقها بنفحة السماء التى تسبق لفحة
الحب !!

وترى من يكون هذا الشاب الايق والفتى الرقيق ؟
« انه يقبل فى غير وجل ، ويقتحم الجماهير فى غير
هيبة ! أعبر بحار الموت قبل هذا ؟

« لا شك يا فتاة انه أمير ان لم يكن ابن ملك !
« ان الحمرة التى تطير من الورد اذا قطف ، ما تفارق
خديه ، وهو مقدم على الردى !!

« ان صفرة الموت تستحى أن تموه هذه الوجنات !؟ .
« أمن السماء هذه الزرقة التى تملأ عينيه ؟ .
« بل مثله لم يخلق الا ليكون زهرة هذه الحياة
الدنيا . . .

« أيها الشاب . . . لن تموت !
وهكذا جعلت تحدث تلك الغادة . . . الاميرة الجميلة
بنت مينوس . . . !

وكانما قرأت وصيفتها الامينة مدهى سيدتها من حب
الفتى فى كتاب عينيها ، فقالت : « اتحس سيدتى
تعب ؟ » . . .

(١) الاذى : الموج

« لا يا فتاة ... ولكن انظري الى هذا الفتى المتفتح
كالزهرة ! »

« والله يا سيدي انه جدير بعطفك ، خليك
برحمتك ... »

« وما العمل يا فتاة وليس لنا في انقاذه يدان !
« هونى عليك يا مولاتى ! انه وأيم الله من سلاله
الملوك ! ان لم يكن ابن ملك ! وهو بادى الشجاعة ظاهر
الفتوة ! وان له لسيفا طويل النجاد ما حمل أحد مثله ،
ولم أعهد قط أن من ضحايا المينوطور من جاء بذى غرارين
من شنه ... فلم لا تدبر معه قتل المينوطور ! ؟ ... »
« قتل المينوطور ؟ انك تهرفين ! ومن يجسر أن يدخل
والمينوطور فى معترك ؟ »

« لا عليك ؟ نرشو السجان فيفلت الشاب فى ظلام
الليل ، ونهديه الى باب اللابيرنث (١) فينطلق الى الوحش
الغاط فى نومه العميق ، فيجذ رأسه بهذا الجراز
الذى ترين ! »

« يا له من تدبير ! ولكن كيف يعود الشاب وأنت
تعرفين من منعرجات اللابيرنث وشعابه ما تعرفين ؟ ... »
« لا أسهل من هذا أيضا ! خيط طويل من أمراس
الكتان يمسك هو بطرفه الاول ، ونمسك نحن بطرفه
الاخر ، يهديه فى ذهابه ويرشده فى اياه !! »

وطربت بنت مينوس لتدبير وصيفتها ، فمنحتها قبلة
شهية وخلعت عليها جائزة سنية ... وانطلقتا تترقبان
المساء ...

(١) اللابيرنث هو التيه الذى بناه ديدالوس للمينوطور وقد حدثنا
منه فى أسطورة سابقة

وعرفت ثيديوس أنها ابنة الملك فاستطير من الفرع ،
وعرفت أنه ابن ايجوسوس ، فكبر رجلاؤها وتلّلات
آمالها

وقتل المينوطور ، وفك أسار رفاقه ورفيقاته ، وأقلعت
بهم الفلك ، حاملة جوهرة جديدة غالية : هي ابنة
مينوس ... وريبة كريد

أما الملك !

فقد صبر ! وأرضاه أن يحرض ايجوسوس فيعتذر لسه
ويصالحه ! ...

وهكذا حسم الحب هذا الخصام الطويل

بندورا

وسرقة النار المقدسة



توزع الآلهة تعمير الكون ، فكانت الارض من نصيب بروميشيوس بن يابيتوس ، أحد ذراري التيتان العمالقة ، الذين حبسهم أبوهم خشية جبروتهم ومخافة بأسهم . . . وطفق بروميشيوس يفكر ، حتى بدا له أن يجعل في الارض أناسي يخلقهم على صور الآلهة ، فاستعان أخاه أيمشيوس فهداه الى الحمأ المسنون أو الطينة البشرية . فخلقاً منها الانسان الاول ، وذهباً الى ابيروس (١) فنفخ فيه من روحه ، التي هي الحياة ، وقصدا الى مينرفا فنفتت فيه نفثتين ، هما النفس والعقل

وخلق بروميشيوس زجالا كثيرين على هيئة آدم الاول ، وجلس على أكمة عالية يشرف على عباده الصالحين !! ولشد ما كانت الكبرياء تشيع في أعطافه ، كلما نظر فوجدهم يتحدثون بالآله ، ويسجلون له ، حتى فكر في نعمة أخرى يسبغها عليهم فتكون أجزل النعم !

« النار ! النار المقدسة تنفعهم وتلين لهم حديد الحياة ! ومع أن بروميشيوس يعلم من أمر هذه النار ما يعلم ، ومع أنه يعلم أنها محرمة على غير الآلهة ، وأن كل من استباحها

(١) هو كيوبيد إله الحب

لنفسه ممن عداهم تعرض لمقت الاله الاكبر ونكاله ، فقد ذهب الى الاوليمب وتغفل زيوس ، ودس قبسا من النار في تضاعيف ثيابه ، وعاد كالبرق الى عباده المخلصين ، يقدم اليهم هديته التي سرقها من أجواز السماء !

ونظر زيوس من علياء الاولمب ، فرأى النيران تتأجج هنا وهناك في أديم الارض ، ففطن الى السرقة المنكرة ، وانقذفت من فمه المزيد رعود الغضب !

وارتجف الاولمب ، وزلزلت السماء ، وارتعدت فرائص الآلهة ، وأمر الاله الاكبر فأحضر بروميشيوس مكبلا بالاصفاد ، ملطخا بالوحل ، وعبثا حاول الدفاع عن نفسه ، ثم حكم عليه فسيق الى جبال القوقاز ، حيث غل عنقه الضخم وذراعاه الكبيرتان ، وفخذه الملتان تزيان بفخذى فيل ، في قنة عالية ، وسخر الاله الاكبر رخا عظيم الجثة ، حاد الاظافر ، كبير المنسر ، فذهب الى حيث بروميشيوس ، ينوشه ، ويمزق جسمه ، وينفذ أظافره ومنسره في أحشائه حتى تبلغ الكبد ، فيهرأه ويطعمه حتى يأتى عليه ، وينصرف الى غد

فاذا كان الليل ، وهبت الريح سحسحسا ، التأمت جراحات الاله المسكين ، ونما له كبد آخر ، وينام حتى تشرق الشمس ، فيعود الرخ ليبدأ ما انتهى منه أمس ، وليأخذ في تعذيب بروميشيوس التعس ، الى أن تغيب ذكاء !! وهكذا دواليك ، أحقابا وأحقابا . . .

ويلبث الاله المنكود في هذا العذاب الطويل حتى يلقاه هرقل الجبار في أحد أسفاره ، فتثور الشفقة في قلبه ، وينقض كالصاعقة على الرخ ، فلا يتركه حتى تزهق روحه ، بعد صراع عظيم ، ثم يفك أغلال بروميشيوس ويحرسه ، حتى يقبل الليل فيشفى مما به ، ويسير بين يديه حتى يبلغ

أوطانه ، حيث عباده الصالحون !!

وفرّح الناس باللهم وسروا بلقائه ، وقسّدوا ما لقي
في سبيلهم ومن أجل سعادتهم ، فعنبوا له وأخبتوا ..
وكانوا يحيون في بلهنية ، غارقين في طسراوة من
العيش وسعة من الرزق ، هواؤهم رخاء وماؤهم صفاء ،
لا يشكون متربة ولا يعرفون ضنكا ، ولا تلم بهم ملمة من
مرض أو رجس . ولم يعرفوا المسوت ، ولم يدروا ما
البكاء ، فكأنما كانت حياتهم طوبى ، ونعيما مقيما

وعلم زيوس ما كان من أمر بروميشيوس وفرّح الناس
بأوبته اليهم ، فغيظ غيظا شديدا ، وآلى ليكيدين إهم كيدا ،
وليرسلن عليهم من مكره ما لا طاقة لهم به . . .

ونظر زيوس فرأى أنهم مخلوقون على صور الآلهة ،
ولكنهم كلهم ذكران ، « ومن الآلهة أنثى ، فلم لا أصنع
لهم أنثى تذهب بحرثهم ونسلهم ان صح أن يكون لهم
نسل ؟ » . . .

وأرسل دعوة عامة الى جميع الآلهة فسمعوا اليه من كل
فج عميق ، وأخذ يحدثهم حديث بروميشيوس ، ثم أخبرهم
أنه يريد أن يخلقوا له أنثى جميلة يودع فيها كل منهم سرا
من أسرارهم : « لاننى سأرسلها هدية الى هذا المجنون
بروميشيوس ليشهد بعينيه ماذا تصنع بعباده الذين
خلق » . . .

واقترح الاله أن يفرغ هيفستوس (١) اله النار والفن
وابن زيوس ، الى ابتداع هذه الانثى ، فسبواها من نفس
الحما الذى خلق منه الانسان ، وجاءت آية من آيات الحسن ،
رقيقة كأنها صورت لتكون فتنة الاولب

واحتملها الى زيوس ، وأقبل الآلهة ينفثون فيهما

(١) هو فلكان الرومانى

أسرارهم ، ويستودعون نفحاتهم ، فهذه فينوس تهبها من جمالها ، وحيرا من ثرثرتها ، ومينرفا من حكمتها ، ولاتونا من استيحاءها ، وديانا من رشاقتها ، وكيوبيد من حبه ، وأبوللو من شعره وموسيقاه ..

أما هرمنز الخبيث ، فقد انتظر واستأنى حتى فسرغ الآلهة من اسباغ آلائهم ، ثم تقدم ، وملء وجهه ضحكة ساخرة فأودع الهواء (١) قلب كلب ، ونفس لص ، وعقل ثعلب !! ...

ثم نفخ فيها زيوس من روحه ، فدبت الحياة في أعطافها ، ونظرت حولها فأبصرت الآلهة مشدوهين ، مأخوذين بسحر جمالها ، فولت مدبرة ولكن الى غير مهرب :

وشرع الآلهة يتخيرون لها الاسماء ، ثم سماها ربها « بندورا » وأوما الى هرمنز فاحتملها كالطفلة المدللة ، وذهب بها ، هدية غالية من السماء الى التعس بروميثيوس الذي رفضها غير شاكر وأبأها غير حميد !

وكان لديه أخوه أيمثيوس فكادت نفسه تذهب شعاعا حين أبصر هذه الغادة الهيفاء ، يرفضها أخوه هدية من السماء ! وتقدم هو فضرغ الى هرمنز ان ينزل له عندها ، وأن يغفر لآخيه حماقته ، وقلة بصره ، وكفرانه الذي لا كفران بعده !!

ومع ذاك فقد نصح بروميثيوس لآخيه ألا يقبل هذه الهبة من الآلهة ، وأن يرفضها ، غير مشكورة ، كما رفضها :

— « انها فتنة يا أخى ، بل هى خدعة من خدع السماء حرى بنا ألا تنطلى علينا ! »

— خدعة ؟! خدعة ماذا يا أخى ؟ خذ عيني فأبصر بهما ،

(١) الهواء . الأني الأولى

وقلبي فضحه على مذبح هواها .. ألا ترى الى عينيها
النجلاوين ، وشفتيها القرمزيتين ، وثدييها الناهدين ،
وفخذيها المملوءتين ، وساقبيها الجميلتين ؟ ..

— « بل بحسبي عيناى يا أخى ! انى أستشف بهما
فتونا نفتته الآلهة فى كل جوارحها ، فحذار ! انها ستكون
خراب هؤلاء المساكين الذين صنعتهم يداى ! »
— « حسبك يا أخى وحسبى ! هى لى من دونك ، فتول
عنا أو دع ! »



وعاشت بندوقا مع ابيميشيوس كما يعيش الآلهة فى
الفردوس .. حياة كلها مرح ، وأياما جميعها لذة وايناس ،
يخلو اليها فتمتزج روحاهما وتختلط نفساهما ، وتكون هى
فتنة زوجها المسكين ، تأسر لبه بموسيقاها الحنون :
وتسحره بالزرقة العائمة فى عينيها ، وتبهره بكلماتها
الغوالى فى الحكمة والموعظة الحسنة !!

وتركهما زيوس حيناً من الدهر ينهلان خمر الحياة ،
ويعبان من غسلها المصفى ، ثم دعا اليه هرمز ، فحمله
صندوقاً ثميناً ، وأنفذه به اليهما ... « واياك أن تعبت
به فى الطريق ، فانه هديتى الى بندوقا ، وفيه انتقامى من
عباد بروميشيوس ، فسر به الى الفتاة ، وأوصها به
خيراً .. »

وكان الزوجان يتراقصان على الحشيش الاخضر أمام
قصرهما المنيف حين أقبل هرمز بالصندوق ، يتعاشر
فى مشيته ، وقد بدت عليه وعشاء السفر ، وعلق الثرى
بأسماله البالية ، فلفتت بندوقا نظرها اليه ، وذهبا
سوية للقاءه والاحتفاء به ، ولكن هرمز أبى أن يذهب
الى القصر ، ليسلم الهدية ، وليبلغ رسالة السماء .. فسار

الجميع حتى كانوا فى المخدع الوثير ، وجلس هرمز يستريح قليلا ، ثم قال :

« هاك يا بندورا العزيزة هدية الاله السكريم اليك ، خصك بها من دون براياها اجمعين . واحسبك فى غنى عن ان اصفها لك ، فها هى ذى امامك تتكلم عن نفسها . ولكن الاله الاكبر يشترط الا تفتحها الا باذنه ، فلا تتعجلى ، حتى ياتيك امره . وانه لقريب »

ونهض هرمز ، وسلم وانصرف ، ولا تزال بوجهه تلك الضحكة الساخرة التى كانت عليه ، يوم استودع بندورا قلب الكلب ، ونفس اللص ، وعقل الثعلب ...

وكان ايمشيوس قد قدم اليه من ثمر حديقته الشيء الكثير ، ولكنه لم يمد يده اليه ...

وكان الليل قد قارب ان ينتصف ، وكان السكري قد لعب بطرفها الوسنان ، فاستلقت على اريكتها الحريرية وغرقت فى سبات عميق ، ممتلىء بأحلى الرؤى ، وأطيب الاحلام ..

وخيل اليها ان فى الصندوق ارواحا سحرية تكلمها ، وتنسج الامانى العذاب لها ، وان دنيا باكملها تتفتح وتزهو حولها ، فلما نهضت من نومها فى بكرة اليوم التالى ، أحست ان أملا كبيرا يملأ قلبها ، وان رغبة ملحة تسوقها الى الصندوق كلما ابتعدت عنه ، وحدثت زوجها بما تجد ، فعلمها هو الآخر بالآمال وأخذ يهدىء من روعها الذى بدا اضطرابه بأجلى مظاهره ... ودعاها الى نزهة خلوية فأقسمت لا تغادر البيت ، بل لإتغادر الغرفة التى تضم الصندوق الصغير ، « الذى أحس انه مغلق على قلبى ونفسى جميعا .. ! » فرثى لها ، وانطلق هو ،

الأول مرة منذ عرفها وحده ، ينادم اخوانه الآلهسة
ويلاعبهم ، ويندورا وحدها في مخدعها ، تقلب الصندوق
العجيب ، وتتحدث إليه ، كأنه يسمع ويرى

وغيرت أيام وهى فى حال من الهم لم تعهد لها من قبل ،
وكانت تجلس وحدها حزينة كاسفة ، تنتظر بشير
الآلهة الذى يأذن لها بفتح الصندوق . ولكن هيهات !..
لقد طال ما أنتظرت حتى نفذ صبرها وعيىل ، ونهضت
الى الصندوق، قلبه ، وهى مأخوذة بجمال صنعه ودقة
زخرفته ، وهذا الغطاء المزركش الذى انغلق على آمالها
واحلامها ..

وحاولت أن تفتحه ، ولو أغضبت بذلك السماء ومن
فيها من آلهة وأرباب ، ولكنها فشلت غير مرة ، وضاعت
بها الدنيا بما رحبت ، فدفعت بالصندوق دفعة قوية على
أديم الغرفة، فانصدع .. ولما تناولته ثانية هالها أن وجدت
بعض أربطة الغطاء قد تقطعت ، ثم هالها أكثر أن تسمع
هذه الأصوات ، منطلقة من الداخل :

« بندورا ! بندورا ! بندورا العزيزة ! حنانك ! خلصينا
من هذا السجن السحيق ! اننا نتعذب هنا ... انقذينا
يا بندورا فقد ضيقنا بما نحن فيه ... اننا لم نصنع
شيئا حتى نرسف فى هذا الحيز الضيق .. »
« ماذا ؟ ... »

ما الذى يتحدث هكذا فى هذا الصندوق ... ؟
انها أصوات حزينة مكلومة ، وانى لأبد مثقلتها !
ماذا انتظر ؟ أمر السماء ! هذا لا يهم !
انفتح أيها الغطاء ... »

وضغطت الصندوق ضغطة هائلة فانفتح الغطاء ،
وسرعان ما انطلقت خفافيش سود ذوات مخالب حادة

فملأت هواء الغرفة ، وأهوت على بندورا المسكينة
تعضها وتجرح بدنها الغض ، وكلما وخزها خفاش لعين ،
أطلق قائلا : « انا المرض ! » ، ويقول آخر : « انا الفقر » ،
ويقول ثالث : « انا الجوع ! » . ويصيح رابع : « انا
البخل ! » . وخامس : « انا القحط » وسادس : « انا
النفاق ! » . وسابع . . وثامن . . الى آخر الرذائل التي
تكظ الحياة الى يومنا هذا ! . .

وانطلقت الخفافيش من الغرفة الى القصر ، فجرحت
الخدم والخول ، ثم انطلقت الى الحديقة . . . والى الطريق
حيث كان أيميثيوس وأقرانه الآلهة ، فأوسعتهم عضوا
وقضما وتجريحا . وتركتم يترنحون من الألم ، وذهبت
تفسد في الأرض ، وتنتقم لزيوس الجبار من عباده
بروميثيوس المخلصين ، فكثرت الآلام ، وعم الفقر ،
وامتلأت الأرض رذائل وأشجانا ! . . .

وكانت بندورا قد اسرعت الى الصندوق فأغلقتة ، حين
رأت من أمر هذه الخفافيش ما رأت
ولكن : وا أسفاه ! !

انها حين أغلقت الصندوق ، حبست فيه الروح الطيب
الوحيد ، الذي خباه فيه زيوس . . . ألا وهو : « روح
الامل ! »

وانبطحت بندورا على ارض الغرفة تن وتوجع
وتشكو البرح الذي ألم بها ، حتى أقبل أيميثيوس فأنبطح
الى جانبها يشكو شكاتها ، ويألم لآلامها . . .
ولبثا يبكيان . .

وكلما حدثته بندورا حديث الصندوق ، تسخط
الاله التعس وتبرم ، وحدها بنظرة فاترة ، قائلا
« نصحتك فلم تصيخي . . . ! »

وسمعا صوتا ضعيفا في الصندوق يقول : « بندورا !
بندورا ! لماذا حبستني وحدي ، وأثا روح الخير ...
افتحي ... افتحي . . . انى بأشفيك من جراحك ،
وأسو آلامك وأوجاعك . . . افتحي ... »

ولكن بندورا كانت فى شغل بالامها فلم تنهض ولم
تجب ، ولكن اييمشيوس تناول الصندوق ففتح غطاءه ،
فانطلق فراش ابيض جميل ، هو روح الامل ، ما فتى يرف
بكل جرح من جراحات الزوج حتى شفها جميعا ،
ثم شفى جراح الزوجة كذلك ، وانطلق الى عباد بروميثيوس
يشفيهم ويأسو جراحهم ، وما فتى الى اليوم ، هذا
الفراش الابيض الجميل ، روح الامل ، يشفى أوجاع
المحزونين والمكلومين

بورك الفراش الابيض !

ولا بورك خفافيشك السوداء يا بندورا !

1

هيرو ولياندر المأساة الغرامية المؤلمة



أرسلوها الى الدير ، طفلة بريئة النفس ، طاهرة القلب ، بسامة الثغر ، وضاحية الجبين ، كلما وضعت ايها ما في قمها تمصه ، تمثلت فيها سساذجة الطفولة وجمالها ودعتها

ونذروها لفينوس ، فكانت ربة الحب تنسرق في القهراء الصافية لترعى طفلتها ، ولتنفث قلبها من رقى السحر ما تعدها به لمستقبل غرامي ملء . وكان الكهنة يتفرسون في شفتي هذه الوديعة الصغيرة الغازاة لا يدركون لها كنها ، وأسرارا لا يفقهون لها معنى ، الا كنه الصبابة الحمراء تنثال فوق الثنايا الأربع البراقة ، والا معنى القبل ، الناضجة يختلسونها كلما افترتا عن ابتسامة ، او انفرجتا لدغلة أو تخميش (١)

وشبت هيرو ..

وتفتح الورد في خديها الناعمين ، واستيقظ الترجس في عينيها الناعستين ، وضحكت فينوس في شفتيها

(١) هما : « الزفرقة »

الحمراوين ، ونبت الخمل الحريرى يطرىء صسباها
الغض ، وشبابها الفينان !

ورسمت رالهة لفينوس فى سىستوس ، المدينة الخالدة،
التي تربض على شاطئء الهلسبنت (١). الأوربى ، قبالة
أبيدوس ، مدينة الاحلام على الشاطئء الاسيوى

ولبثت الراهبة الرائعة تؤدى الطقوس والشعائر الدينية
لربة الجمال والحب ، فى برج مشيد مشرف على البحر
فى قصر ابيها ، ولبثت الشهرة تذيع محاسنها فى المدينة
الكبيرة ، والصيت الرنان يتحدث عن جمالها بين الاهلين
كما يتحدث الشذى عن ورده ، والارح عن رنده ، حتى
اصبح اسمها اغنية كل فم ، وهتاف كل لسان

وسمع لياندر ، فتى ابيدوس وأشجع شبابها ، والذائد
عنها فى كل حومة ، بهيرو الراهبة ، فعجب ان تكون حقيقة
كما يصفها الناس ، ، وحسب ان المبالغة هى التى نفحت
فى شهرة هيرو ، فلم يهتم لما سمع عن مفاتنها ، وصرف
ذهنه الشاب الفتى عن هذه الطوبى التى سلبت الباب
الفتيان ، وغدت حلما ذهبيا لكل مدله ولهان

ولكنه كان يزداد تذكرا للفتاة كلما بالغ فى نسيانها او
تناسيها ، واذا صبح ان الاذن تعشق قبل العين احيانا ،
فلقد كانت اذن لياندر عاشقة وامقة ، وما برحت تلح على
قلب صاحبها بالعشق والمقة (٢) ، وما برح يعرض عنها
ولا يصفى لها ، حتى اعلن فى سىستوس عن حفل ضخم
يقام فى هيكلها تكريما لفينوس وتقديسا ، وأن الشباب من
الجنسين مدعوون للمشاركة فى الاحتفال يربة الجمال
والحب ، وليس أولى من الشباب بتكريم الجمال والحب

(١) الهلسبنت هو بونغاز الدردنيل المعروف

(٢) المحبة

وترامى خبر الاحتفال حتى بلغ الشاطئ الاسيوى فى
ابيدوس وحتى سمع به لياندر ، فابتسم ، وشعر فى
سويدائه بأول قبس من نار الحب ، فألهب احساسه
وأشعل قلبه ، وملاً أضالعه شوقاً الى هير و تحنانا

واعتزم المشاركة فى الاحتفال ، لا تقديساً لفينوس
ولكن لينظر الى الراهبة الحببية التى مسلات خياله ،
وأصبحت مثله الاعلى الذى ينجذب دائماً اليه ، مدفوعاً
بالقوة الخفية الخارقة ، خاضعاً للسحر المنطوى العميق . .

واذ كان اليوم المنشود ، ارتدى الفتى ابهى ملابسه ،
وانطلق يحدث نفسه آماني الحب ، ويتغنى أغرودة الجمال
وظل يحلم فى طريقه الى سيستوس بهذا الامل اللامح ،
الذى يشبه فى تحجبه فى ثنايا المستقبل قمر ليلة مكفهرة
قمطيرير ، ما يفتأ يتخايل فى تضاعيف السحب !

وعبر الهلسبنت فى زورق ابيض جميل ، مخرماً بين
العدوتين فى ساعة كانت فى فؤاد العاشق المشتاق
اطول من احقاب واحقاب !

وقصد الى الهيكل ، وطفق يدافع الجماعات ، ويزاحم
الجماهير ، حتى كان بين يدي هير

وكانت ياقات الورد تتناثر من هنا وهناك تحت قدمى
الراهبة الصغيرة التى استوت على منصة ترتفع قليلاً عن
مقاعد المدعوين ، مشرقة مونة ، كأنها زنبقة ، ملتفة
بردها الحريري الابيض ، متكئة بذراعها اللدنة الجميلة على
سنادة المنصة ، مقلبة عينيها اللعجاوين فى الجماهير
المتكبكة حولها تلتمس البركات . . .

وكانت فينوس قد اقبلت من مملكة الاولب تشبه
المهرجان الحاشد ، وتشبع خيلاءها باستملاء الشباب
الهاتف باسمها ، المترنم بعبادتها ، وكان معها ابناؤها الغر

الميامين ، وفيهم كيوبيد وهرمونيا ، فاخترأوا فى أبراج
الهيكمل ، ولبثوا ينظرون الى الملاء ويعجبون

وأرسلت فينوس عينها الفاحصة فى الملاء ، فرأت لياندر
العاشق يرنو الى هيرى الراهبة ، وتكاد عيناه تلتهمانها
التهاما ، ولاحظت ان هيرى منصرفة عن الفتى المسكين ،
لا تكاد تعيره نظرة ، ولا تمنحه التفاتة ، وهومع ذلك مشرب
اليها ، ينظر نظرات كلها عبادة ، وعيناه مغرورقتان بدموع
تكاد تنهمر

وتحرك حسان الحب فى فؤاد ربة الحب ، وأقسمت
لتعاونن فى هذا المشروع الفرامى العظيم !!

وذلك ان فينوس لم تكن تجيد الحب لنفسها فقط ،
بل كان يثلجها ويملؤها غبطة ان ترى الى عبرات المحبين ،
وتسمع الى رنين القلب فى شفاة العاشقين ، فأشارت
الى ولدها كيوبيد - رب الحب ، وصاحب السهام
الذهبية ، والقوس ذات الوتر العرد - فأقبل عندها ،
والقت اليه اوامرها ..

فوتر (١) كيوبيد قوسه ، وتخير واحدا من سهامه ،
وانتهز فرصة من هيرى كان نظرها متجها فيها الى لياندر ،
وأرسل الى قلبها السهم الذى يحمل رسالة الحب ، فدخله
غير مستأذن ، وملأه لوعة وصباة .. وجنت للحظتها
بالفتى ..

وتخير كيوبيد سهما آخر ، وأرسله هدية حارة ، دامية ،
الى فؤاد لياندر . فما كاد يستقر فيه ، حتى أحس الفتى
انه لم يغد واحدا من هذه الأجسام الفانية الهالكة بعد ،
بل هو قد صار طيفا نورانيا ، وأحس مع ذلك بحب غامر
لم يكن له به عهد من قبل ، جعله يفنى فناء تاما فى هيرى

(١) أى ركب بها وترها

الراهبة ، التي نظر فألفاها تلتهمه هي الاخرى بعينيها
وقلبها التهاما !

لله يا حب ما أجملك ، وما أبر فينوس بعبادك !
ودلف لياندر نحو المنصة ، وتمتم يكلمات خافتة ،
(كأنما هي بث الورد للمطر !) يفهمها المحبون وحدهم ،
حين يتكلمون بأطراف الشفاه والعيون ، فعلمت هير و ان
حبيبها يقرئها حبه ، ويسرها هيامه ، ويرجو منها أن
تمنحه ميعادا يلقاها فيه على حدة ، ويعبدها خلاله على
انفراد ! . . .

وارتبكت هير و ، وتصارع في نفسها الخوف والحب ،
الخوف من ان يلحظ احد ان راهبة فينوس تصبو ، وبذلك
يهوى احترامهما الى حضيض السخرية ، حينما يفتضح
الحب الذي تكتمه في صميمها للياندر ، والذي اثاره فيها
سهم كيوييد ، ولم تر الا ان تنهر العاشق الملح لينصرف ،
ولكنه ما يزداد الا تعلقا بها ، وتشبثا بما طلب اليهسا ،
ورجاها فيه ، وتكون هير و قد بلغت حالة بين الهيام
والاشفاق لا تحتمل ، فتهمس اليه ان ينتظر حتى ينصرف
الناس ، فاذا انصرفوا ، ظلت اليه ، وحدثه حديثا موشى
بالورد مبللا بدموع الحب ، يختلط فيه انين الآهات برنين
الموسيقى . وتذكر له ان اتصالهما سيظل حبا في حب ،
وبكاء في بكاء ، ولوعة في اثر لوعة ، وزورة مختلصة
تعقبها زورة مختلصة : « لاني راهبة كما تعلم ، وانا خادمة
هذا الهيكل الفينوسي المقدس ، وسأظل عذراء ابد الدهر ،
فلن ينتهي حبنا الى هذا الزواج الذي اوثره واتشهاه .
فاذا كان الفسق يا حبيبي ، وتألق النجم في كبد السماء
يردد أناتنا ، فاقصد الى شاطئ البحر عند ابيدوس ،
واخلع ملابسك : ثم خض عباب الهلسبنت حين أعطيك
اشارة من مصباحي ، حيث اكون في برج قصرنا المشرف

على البحر عند أقصى حدود سيسثوس . فإذا وصلت ،
ونستصل سالما في رعاية فينوس ، فهلم الى في البرج نلتد
آلام الحب ، ونتغن اشجان الهوى ، واضعة رأسي على
صدرك ، أو واضعا رأسك على صدري ، شاكين الى
الآلهة مابنا من برج ، حتى يطلع الفجر فنفترق ، وتعود
ادراجك الى الشاطئ الاسيوى سابحا ، فإذا كان غد ،
عدت لافنى فيك واغمرك بالقبل ، ولا قرأ فى نفسك ، وتقرأ
فى نفسى ، كتاب الحب وآى الطهر . . وبوركت فينوس ! »
ولقد آثرت هير و خطة الحذر فى صلتها الفراميسه
بلياندر ، لان شيطان الهلسينت كانت حراما
على السفائن والزوارق وسائر الجوارى ، بعد ساعه
من غروب الشمس ، فلو قد ركب زورقا وعبر به البوغاز ،
لعرض نفسه لخطر جسام ، من بينها عقوبة الاعدام دون
محاكمة ! لذلك لم يكن بد من أن يقطع البحر سابحا كما
رسمت له هيرو . .

« معبودتى ! سأخوض العباب فى سبيلك »
« وأطوى بحار الجحيم لو أنها تحجزنى عنك »
« فلا الموج جياشما باللهب ، ولا الاعماق تقذف بالحمم »
« ولا الفزع الاكبر فى الارض أو فى السماء ، لا هذا ولا »
« ذاك يحول دون لقائنا يا معبودتى ! (١) »



فلما كان غد ، وتوارت الشمس بالحجاب ، وأقبل ليل
العاشقين بشكواه ونجواه ، يملياندر شطر البحر ، ووقف
فوق رمال الشاطئ كأنه يعدها ، ولبت يرقب البرج على
العدوة الاخرى ، وفى قلبه أمل مضطرب ، وفى نفسه قلق
مستعر ، وملء يديه منى تملأ العالم بأسره !
وظل يذرع الشاطئ جيئة وذهوبا ، وهو حين يروح أو

(١) من أدوين أدنولد

هين ينثنى ، يحملق فى البرج المشيد لأ ثريم عيناه عنه ،
وكانت الرياح تدمدم فى جنبات الاكام الممتدة على الساحلين
والموج يزخر فى غيران طوروس الشامخة ، والبحر يقذف
سراطينه على الكشبان البعيدة النائية ، والسحب تتجمع
وتتفرق كأنها موج الظلماء فى خضم السماء . .

وفجأة لمح لياندر بصيص النور فى كوى البرج الشاهق ،
فانفلت من ثيابه كأن الشعاعة تجذبه ، ولم يعنه أن يمزق
هذا الكم ، ويشق ذاك الجيب ، ولم يبال أن يقذف
بالقميص هنا وبالبرد هناك ، ثم ينقذف فى الماء ويأخذ فى
سباحته ، ترفعه موجة حتى ليحسب أنه يمسك النجم
ويلمس السماء ، وتخفضه موجة حتى ليخال البحر
ينشط بحرين ، ويهوى فى أعماق القرار يؤانس التريتون
ويجالس الاوسيانيد (١) !

وكانت فينوس تنظر من علياء الاولب وتلهو . .

ما برح يصارع البحر والبحر يصرعه ، وما برح يتقدم
الى أمام ويسحبه التيار الى وراء ، وكلما خانت قواه نظر
الى البرج يتزود من بدره قوة ، ومن القبل الحارة التى
تنتظره ثمة دفئا ونشاطا مجددا !

وبلغ الشاطئ . .

ووجد هيرودس تنتظره كأنه الامل المرتقب ، والمنية المرتجاة ،
فهرعت اليه واستقرت فى حضنه ، ولبثت تسمع الى دقات
قلبه الواجف الذى يخفق - لأول مرة - بموسيقى
الحب ! !

« وامتد فم الفراشة المرتجف ، يرشق رحيق القبله
الاولى من الثغر الحبيب الذى تفتحت عنه جلنارة
الحب (٢) »

(١) التريتون : فتيان البحر ، والاوسيانيد : عرائس المحيطات
(٢) من لورد بيرون ، والجلنار : زهر الرمان الاحمر

وتمزقت السحب ، وتكشفت السماء ، وأطلت النجوم
ترنو الى العاشقين المدلهين يتباثان ويتشاكيان ، ويأخذان
في لذة الهوى الطاهر ونعيم الحب البريء !!

وكانت فينوس تنظر من علياء الاولمب وتلهو ...

ونسمت في الافق الشرقي أنفاس الفجر ، فنهض
الحبيبان يودع أحدهما الآخر ، ويتزودان للنهار الطويل
من زاد الهوى نظرات وقلبات !

وفصل لياندر ، وأطلت هيرو من الكوة الصغيرة تنظر
اليه وهو يداعب الموج والموج يداعبه ، ويلبس الزبد والزبد
يلبسه ويخلعه ...

وفينوس تنظر وتلهو ..

وأشرق الشمس وتوارت ، وأقبل الليل وتنفس الفجر ،
وعصفت الريح أو هبت رخاء ، والتمعت الشعلة تضيء
للعاشق ظلمات العباب ... واطمأن البحر الى صاحبه حتى
خاله أيسر عليه من ظهر الارض ، فكان يطويه الى منية نفسه
وهوية قلبه ، في كل موعد منتظر ، ثم يؤوب على متنه حين
ينصدع عمود الظلماء ، وكأنه يمتطى من ظهر الموج
الصافيات الجياد ..

وكان فجرا شاتيا يكاد سنا برقه يخطف الابصار ،
وزمزمة رعوده تهدد جوانب الافق ، وكان البحر يتقلب
ويرتعد كأنه زلزلة تأخذه من أعماقه ، فأوجست هيرو خيفة
على حبيبها ، وتعلقت به ، وراحت تغمره بالقبل ، متوسلة
ضارعة ، ترجوه أن يبقى بجانبها ولا يجازف بحياته في
هذا اليم المصطخب ، وهي تدبر له مخبأ يأويه ذلك اليوم ،
حتى تسكن العاصفة ، وينام الماء ...

وثارت النخوة في نفس لياندر ، وشاعت الكبرياء في

تجسمه القوى المقتول ، وأثف أن يجبن أمام الطبيعة
الساخطة الغضبي ، فطمأن هير و واحتملها كالحمامة في يديه
الجبارتين ، وطبع على شفتيها المرتعشتين قبلة تجمعت فيها
روحه كلها ، ثم انقتل من بين ذراعيها الضعيفتين ، وهرع
الى البحر فخوض فيه ، ملتفتا بين برهة وأخرى ، محييا
البدر الصغير المشرق عليه من الشاطئ . . .

وفينوس البارة تنظر من الاولب وتلهو . . .

وأحس في منتصف الطريق برعشة واعياء ، ولكنه كان
يهتف باسم هير مرة ، وباسم فينوس أخرى ، فتنشط
الشمالات القليلة الباقية من قوته الفانية . . . ورثت لحاله
ربة الحب ، فنفخت في ذراعيه المجهودتين ، حتى وصل الى
شاطئ أبيدوس مهدودا محطما . . . وتهالك على نفسه ،
فوصل الى منزله ، وأوى الى فراشه ، ليحلم بالموت المحقق
الذى نجا منه منذ ساعة . . .



وغابت الشمس ، ولكن العاصفة ما برحت تزداد شدة
وعنفوانا ، والبرق ما فتى يطوى السماء ، وكان كل شيء
ينذر لياندر بسوء المنقلب ومع ذاك فقد نهض غير مستيئس
وقصد الى الهلسبنت ، فوقف بشباطئه يبتسم للاهوال التى
يضطرب بها بطنه ، ثم لمح الضوء ينبعث من كوى الكوخ . .
فخلع ملابسه ، وبدأ رحلته . . .

وكانت فينوس لا تنظر ولا تلهو . .

لأنها كانت عند حبيبها أدونيس الراعى الجميل تستمتع
به ، بعد اذ فضحها أبوللو فى حبيبها مارس

ولم يبل لياندر من البحر ما بلا هذه الليلة . . . فلقد
كان الموج كأنه ألواح من الثلج تتكسر على ظهر الفتى
المسكين ، وتصعد ذراعيه وترتطم برأسه . . .

ولقد كان الماء هذه الليلة كأن شيئاً من الصبر قد ذاب فيه ، بعد اذ كانت ملوحته تستحيل شهداً في فمه ، وعسلاً مصفى ! .

ولقد كان البرد ينهل من السحب القاتمة ، والصقيع يساقط كندف القطن الأبيض ، فيعلق بشعر لياندر ، وينسج فوقه قلنسوة من برودة الموت ..
وجاهد العاشق ...

وسبح باسم هيرو بين موج كالجبال ، وليل كله ظلمات
واأسفاه !!

لقد نظر المسكين الى البرج يتزود من نوره ، ولكنه لم ير الشعاع تتألق كما عودته
لقد أطفأتها الرياح الهوج ، فأطفأت في قلبه بصيص الامل ..

واستولى عليه خور الفجر السابق ، ودهاء القنوط في عضلاته ، فيئس منها جميعاً وضاعف النكبة شرقه بالماء حين أراد أن يهتف باسم هيرو !
فغاص ! ...

ولفظه اليم جثة هامدة .. ثم ابتلعه ، ثم لفظه ..
ثم انتصف الليل ، وهيرو المشوقة حاملة مصباحها الخافت ، بعد اذ أشعلته ثأنية ، ولكن الساعات تمضى ..
ولا يصل لياندر

وتنفس الصبح ، فسارعت الراهبة الهيمانة الى البحر ، وخملقت في الماء .. فأبصرت الجثة الحبيبة تترطم بأصل البرج ، كأنه حنين الجسم الى أحلام الروح !!
وصعقت هيرو ..

ودارت بها الارض ، وانطفأت في عينيها مباحج الحياة
بانطفاء أملها المشرق وبدرها البسام ، فألقت بنفسها في
الاعماق ! . .

وما هي الا لحظة ، حتى كان الحبيبان مسجيين على سرير
الماء ، ملففين في أكفان الزبد (١) !

(١) شقف لورد بيرون بهذه الاسطورة فتظلمها ، وذهب بنفسه الى
الدردنيل فتمثل لياندر وعبر البوغاز ، وتمنى لو غرق مثله هناك ،
فلا يفوت القارئ الاطلاع على تحفة بيرون في ديوانه

هرقل



كان قلب الاله الاكبر شيوعية فى دولة الحب . . .

ولم يكن يقصبر هواه على ربات الاولب فحسب ، بل كان يفتتن بكل حسناء من بنات حواء ، وطالما وصل أسبابه بأسباب الغيد الاماليد من ظباء دار الفناء . . . هذه الحياة الدنيا ! . .

ولقد كانت زوجته حيرا تقعد له بالبرصاد ، لما تعرف من تصايبه ، ولقلة ثقته فيه ، فلما علق الفتاة الفتانة « الكمين » احدى اميرات هيلاس ، كان يبالغ فى الحذر حتى لا تفجأه زوجته معها كما فجأته مع الحسناء « يو » من قبل

ونعم الحبيبان بحياة راضية ، ووضعت الكمين طفلها العاتية الجبار هرقل ، وما كاد النبا يذيع فى دولة الاولب حتى ثارت ثائرة حيرا واسبقت فى يدها . . . لانها لم تعد تستطيع أن تنتقم لكبريائها من منافستها فى قلب زوجها

(١) Hercules أو Heracles ويسميه بعضهم Alcides وعربه العرب هرقل

(زيوس) ، تلك المنافسة التي ارتفعت الى مرتبة الالهة ،
بعد اذ وضعت غلامها ابنا لسيد ارباب الاولب

ولكنها ، وهى هى المجبولة على الشر دائما ، آلت الا أن
يرتد نور الحياة المتلألئ ظلاما فى عينى الام ، وذلك بالفتك
بوليدها المحبوب ، فأمرت حيتين رقطاوين من أبالستها أن
تسعييا الى مهد الطفل ، وأن تندسا فيه ، حتى اذا سمنحت
لهما فريضة أودتا بحياته ، وعادتا بأثارة منه تشهد على انفاذ
ما أمرتا به

وسعت الحيتان حتى استقرتا فى المهاد الوثير ، وانتهزتا
غفلة من الخدم فانقضتا على الفريضة الصغيرة ، وأوشكتا
أن تظفرا بها ...

ولكن هرقل الصغير الهادئ افتتر عن ثغر شتيت مشرق
وقبض بأصابعه الصغيرة الدودية على رأس كل من الحيتين
وبضغطين هائلتين حطم عظامهما جميعا ، وكان الخدم قد
أقبلوا ، فلما شهدوا الافعوانتين ، صرخوا وأعولوا ، بيد
أنهم بهتوا وطار الصواب من أدمغتهم حينما رأوا أن الوليد
الصغير ، المنبطح على ظهره ، يضرب برجليه ها هنا وها هنا ،
قد قضى على الحيتين العظيمتين وألقاهما ضحيتين غدير
مباركتين على مذبح قوته الخرافية !!

وقدمت ألكمين فضمت الى صدرها الحنون طفلها
الهائل ! فرحة مستبشرة ، وطبعت على جبينه الضاحك
قبلة حملت أسمى معانى الامومة .

وذهلت حيرا عندما سمعت بما صنع الغلام بشيطانيها ،
وأيقنت ألا سبيل الى القضاء عليه ، ولكنها لم تيأس ،
وأقسمت أن تنثر الشوك فى مستقبله القريب ، وتبث
العراقيل فى حياته الجائية
وشب هرقل ...

ونشأه مؤدبه « شيرون » زعيم السنتور (١) ، تنشئة
حربية حافلة ، ولقنه كل ما تحتاج اليه حياة الفرسان من
تقشف واخشيشان ، فمهر هرقل في زمن قصير في
استعمال الاسلحة بأنواعها ، وتبغ في جميع صنوف
الرياضة والالعاب الفروسية والقوى

وكان شيرون نفسه يعجب بهذا الجسم الحديدى ،
يمسكه العضل البارز ، ويزينه الكيان المقتول ٠٠٠ وكان
إذا أراد تدريبه على المصارعة والالعاب القوى ، آثر أن يشركه
في نزال مع الثيران والعجول ، والضخم ذى الايد من
بهيمة الارض ٠ وكان هرقل لا يخشى شيئا من خصومه
العجاوات ، بل كان يقبل على مصارعتها بثغر بسام وقلب
طروب ، فلا يدعها حتى يلقيها على الارض معفرة بالتراب
وخشيشته الحيوانات جميعا ، فكانت تجفل من طريقه كلما
رأته مقبلانحوها ، لطول ما جربت من بطشه وشديد بلائه
وكان الفتى كلما ازداد قوة ، وذاب الحديد في عضلاته ،
ازدادت حيرا تغيظا ، وهاجنت في فؤادها الاحقاد :

ولم تعد تطيق صبرا على هذا الخصم العنيد ، ومادت بها
الارض ، وأصبحت كأن يعاسب العداوة تطن في رأسها
تغريها بهرقل ، ومن يلوذ بهرقل ، فأنطلقت الى زوجها ولم
تزل به حتى أصدر ارادة اولمبية تقضى أن يصبح هرقل
خادما لابنة عمه النذل الخسيس : يورينوس أمير أرجوس ،
وأن يظل في خدمته بضع سنين ٠٠

وانتهى هرقل من تلمذته على شيرون ٠٠
وانطلق يكابد الحياة كفن قاس مليء بالمرغائب ، مفعم
بالمجازفات ٠ فبينما كان يعبر طريقا مغروشا بفروع
السنديان ، بين هابتين عظيمتين ، اذا غائتان جميلتان

(١) السنتور جيل خرافى تصفه الاملى نصف رجل والنصف الاسفل
نصف حصان

تعرضانه وتأخذان عليه سبيله . . . فأشاح عنهما ،
يحسبهما من المسكينات ملفوظات البغاء ، أو من أولئك
اللائى يتخذن الفسوق حرفة قذرة لعيش وضيع . لكن
الفتاتين تشبثتا به ، وأبتا إلا أن يقف معهما هنيهة ، يتخير
منهما واحدة تكون رائدته فى هذه الحياة ، تهديه وترشده
وتأخذ بيده فى سبيلها المتشعبة

وكانت إحدى الفتاتين ، (كاكيا) شيطان الاثم وابليس
الفجور فى هذه الارض . ف تقدمت اليه متبرجة متهتكة ،
تغمز بهذا الطرف ، وتبتسم بذاك الثغر ، وتهز ما سكن من
الجليد ، وتمط ما اشراب من العنق وتحسر عن الساقين ،
وتكشف عن الذراعين ، وهى تقرقع بضحكات مخنثة تثير
الاشتهاء فى نفس الشاب ، وتستولى بها على مشاعره : « أنا
حببتك كاكيا ، أجمل غادات هيلاس ومفتحة الورود فى
خدود العذارى ، أضع قلبى وجسمى بين قدميك يا هرقل
العزيز مطية الى الفردوس الذى تجد فيه ما شئت من نعيم
وما تمنيت من لذة . . فاتبعنى أجعل الدنيا كلها من
حولك سعادة ، وأصير طريقك انى ذهبت فى الحياة منضورة
بالورد زاهرة بالرياحين . . . هلم الى تحى حياة كالحم ،
بعيدين من عناء العالم ، نائمين عن شقاء الدنيا ، لانفتح
أعيننا الاعلى متعة ، ولا نرهف سمعينا الا لموسيقى ،
ولا نغلق قلبينا الا على نعيم . . . »

مالك ولوجه الحياة المربد يا حبيبى هرقل ؟ ان الدنيا
فرصة سانحة فانتهازها ، وان العمر قصير فلا تلاق به
بخورا فى نار البأساء ، وان الايام لتخب بنا دون أن نشعر
بها ، قلم نحاول أن نلبسها بالجذ فيها هذا اللبسوس
الاسود الحزين القاتم ؟ ولم لا ترسلها فى وشى وأفواف ؟
لم لا نستمع دائما لما توحيه الينا قلوبنا ونفوسنا مادامت
الدنيا مخلوقة لها ؟

لم تطرق هكذا يا حبيبى ؟ أمتعب أنت ؟ هات رأسك
اذن ، ودعه ملقى على صدرى الجميل الخصب ...

ولكن الفتى نفر نفرة بادية ، وأرسل نظرة فاحصة الى
(أريتيه) الفتاة الأخرى ، التى كانت تقف عن كثر ،
مصغية الى حديث كاكيا ، مشفقة على الشباب المسكين
أما أريتيه هذه فربة الفضيلة ، ونفحة السماء ، وهادية
البشر ومنقذتهم من شرور كاكيا ...

وسألها هرقل : « أنت أيتها الفتاة ، بم تشيرين ؟ »
وقالت أريتيه : « وهى تكفكف عبرة غالية : «أنا لا أشير
عليك بشيء أيتها الصديق الا بالحد من هذه الفسادة !
انها توشك أن تضلك وترديك ! »

فغيظت كاكيا وأخذها الحق ، وأجابت فى غلظة
ومخاشنة : « أضله وأرديه ؟ هاها ... وأنت ؟ أتسلكين
به سبيل الفضيلة التى زرعت أرضها قتادا ، وبذرت فيها
أنياب الذئاب ؟ اسمع يا هرقل ، اصغ الى يا حبيبى ،
دعك من هذه الفتاة المحتشمة ... تول عنها ... انها
تفطش حياتك لو تبعتها ... »

وتبتسم أريتيه ابتسامة هادئة وتقول : « ان الالهة
يا هرقل قد زودتك بهذه القوة الكامنة فى بنيانك لغرض
أسسمى من جميع الأغراض الحيوانية ، وقد كان أجدى
للخير العام أن تخلق ثورا ذا خوابر من أن تودع كل هذا
الحديد فى عضلاتك ، لو لم تكن قد أعدت لك لفعال جسام
لن يؤديها غيرك . أجل ! ان طريقى لا ينمو بها الا الشوك ،
وانها تدمى الأقدام وتجهد السائرين ، ولن ترى فيها
زهرة ولا ريحانة ، بل لن تسمع فيها عصفورا يغنى ولا
بلبلا يغرد ، وبالعكس ، قد تقتتل فيها مع السباع
والضواري والشعابين ، ولكنك فى آخر كل نصر ، وعقب كل
ظفر ، ترى جنة من الرضى تحفك بالزهر ، وترقص بين

يديك بالفواني والقيان . أما ما تغريك به هذه الانثى
الهلوك ففيه حتفك ، فحذار . وليس أحب اليك ،
كرجل ، كان له الشرف أن يكون ابن اله ، من أن تثبت
للآلهة أنك جدير بما انتدبتك له »

وسكتت أريتيه ، ولكن كاكيا لبثت تدل وتتيه وتتبرج ،
تحاول الفوز بهذا القنص العزيز . . . غير أن نخوة الرجولة
ثارت في قلب هرقل ، فانتهر الغانية الغاوية وأغلظ لها ،
ثم تقدم الى أريتيه فتناول يدها الصغيرة الحلوة ، وطبع
عليها قبلة تفيض وقارا واحتراما ، ثم قال لها بصوت
متهدج خافت : « هلمى بنا يا فتاة فلن أخشى في سبيلك
بأسا ولا رهقا »

وانطلقا . . . وغابا في ظلام الغابة . . .

ولم يبرح هرقل معينا للضعفاء ، مغيثا للملهوفين ، اذا
راى مظلوما انتصف له من ظالمه ، واذا لقي جائعا نزل له
عن زاده ، ولم يبرح ينصر الفضيلة أنى سار ، ولم تبرح
الفضيلة تمشى في أثره أيا ن ولى ، حتى ضاقت الدنيا
بحيرا ، ولم تحتمل هذا الغار من المجد يكلل هامة خصمها
العظيم ، ولا سيما بعد أن اتصل بالملك كـريون ، ملك
طيبة ، وزواجه من ابنته الجميلة ميجارا

لقد أحب هرقل زوجته حبا جما ، وأحبته هى كذلك
واخلصت له ، وكانا يذهبان الى الغابة القريبة يتناحيان
تجوى الحب ، ويرشفان كووس الهوى ، ويعودان مع
الاصيل فيسامران الملك الشيخ ، ويدبران معه أمور
المملكة . .

ثم مكرت حيرا مكرها ! . . .

لقد صممت على أن تسلب هرقل رشده ، وتتركه يهيم
في الأرض ينطح برأسه الصخر كما يفعل الضلال المجانين .
فبينما كان غارقا في أحلام السعادة الى جانب زوجته ،

آمنين مطمئنين ، اذا حيرا الأثمة تندس في ظلام المخدع ،
وتنفث سحرها الفظيع في أذنى هرقل ، وتمضي لشأنها ،
فتختبئ في الحديقة خلف دوحة كبيرة من دوح الشاهبلوط
.. وتنتظر ثمة ريثما يصحو الزوج المسكين ، فتشهد
المأساة التي تتفرع من هولها الأرض وتميد الجبال ! ..
وأشرقت الشمس !

واستيقظ هرقل ، ونهضت ميجارا ، ولكن نارا كانت
تقدح الشرر في عيني البطل ! وزبدا حارا كان ينقذف من
فمه المخرف ! وأصواتا كأصوات الشياطين كانت تدوى
في رأسه الضخم ...

والدم ! ...
لقد كان ينبثق من كل جارحة في جسمه الأرجواني ،
فينضح اللحف والأرائك ، ويسيل على أديم الفرقة
المغطى بالدمقس !

وذعرت ميجارا ، وصرخت صرخات راجفة تدعو
أباها ..

ولكن هرقل المسحور ينتفض انتفاضة تزلزل أركان
القصر ، وينقض على زوجته التعسة كأنه ضبع : « تعالي
يا خائنة ! أين كنت طيلة الليلة الفاتنة ؟! آه أجل !
كنت تتمرغن بين ذراعى عشيقك الجبان ! الويل لكما !
شرف هرقل تلغ فيه الكلاب ! »

وبضغطة قوية من يديه الصارمتين ، على عنق الفتاة
المنكوذة يتركها جثة هامة ، قربانا للموت في عنفوان
الصبي ، وضحية للردى في ريعان الشباب ..

وانطلق يصرخ في ردهات القصر ، وهرول يزمجر في
حنيات الحديقة ، ثم أطلق ساقية للريح ...
وفي قنة جبل تزمزم الأعاصير في جنباته ، جلس هرقل
المسكين ليثوب اليه وشده ، وليذكر أنه قتل زوجته

المحبوبة في نوبة جنونية ، فينشج ويبكى ! . . .
وتكون غمامة فوق رأسه تظله من وهج الشمس ،
فتنشق عن اله كريم ، هو هرمز رسول السماء ، حمل الى
هرقل تلك الارادة الاولية القاسية ، التي أصدرها زيوس ،
متأثرا بالحاج زوجته الآثمة حيرا ، والتي تقضى أن يظل
هرقل في خدمة ابن عمه يوريدوس اثني عشر شهرا يصدع
خلالها بما يؤمر !

— « لقد كان عليك أن تظل في خدمته بضع سنين . . .
ولكننا ألحفنا على رب الأرباب فقصر المدة ، واختزلها
الى ما ترى ! »

— « يختزلها أولا يختزلها ، لقد أصبحت الحياة
سجنا بدون ميجارا ! »

— « عليك بالصبر يا صديقي ، فقد تفيدك طاعة
الآلهة . . . »

— الآلهة التي لا تحسن عملا غير هذا العبث ! . . .
— « صه صه . . . هلم الى يوريدوس ، وستكون حرا
بعد سنة واحدة . . . »



وجن جنون هرقل لهذا القضاء الاولبي الأعمى ، وفر
من هرمز في مسارب المياه ، ولجأ الى الوحوش يلتمس
لديها الصبر الجميل والقلب الرحيم ، ولكنه عبثا حاون
انفرار مما كتبه السماء عليه ، وهنا ، بدت له صديقته
ربة الفضيلة أريثيه ، فنصحته ، ولم تزل به حتى أقنعتة
بخدمة يوريدوس ، فذهب اليه كسير القلب مهيب
الجناح ، كأن جبلا من الهم والسخط مستقر على قلبه
وقال له يوريدوس : « وأخيرا وصلت الى آخر الدرب
يا هرقل ! . . . ان أمامك أمورا فأعد لها عدتك ، فمنا
دموعك على ميجارا بمجدية عليك شيئا . . . »

وعدجه هرقل بنظرة يشتعل فيها الغضب وقال له :
« أجل ، لقد وصلت الى آخر الدرب ... ولكن ليس
لك شأن بدموع أذرفها من أجل ميجارا ... ألا فاذكر
حاجتك التي أرسلتني الآلهة لاقضيها لك ، وأقصر ! »

وضحك يوريدوس حتى كاد الزعد يخرج من بين
شدقيه ، وقال : « حاجتي ؟! ان لي لحاجات ما أحسبك
تستطيع قضاء واحدة منها . وكيفما تصبر مثلاً على سبع
نيميا الذي يقطع الطريق الى غاباتها ذات السكنوز
والأذخار ؟ »

وقال هرقل : « سبع نيميا أو ألف سبع كسبع نيميا ،
عليك أن تكلفني ولو بهدم السماء أفعل ما تكلفني به ...
والآن ، اذا جئتك برأس هذا السبع ، أكون طليقا ؟ »
- « تكون طليقا ؟! ان أمامك اثنتى عشرة مسألة ، رأس
سبع نيميا أولها وأيسرها يا هرقل ، فهل اذن ،
وسنرى ... »

محازفات هرقل



١ - الى غابة نيميا

كانت الغابة تشير الرعب في قلوب الجن ، وكانت
الظلمات تضرب في أنحائها فتجعلها تيهها يعرج بالافاعي ،
ويضج بالتنانين

وكان ملكها الضرغامة يربض في المغارة المفزعة ، المنشقة
كالقبر في أول الطريق المؤدى اليها ، وكان يخرج في أول
الليل فيصول في القرى المجاورة ويجول ، وكان الاهلون
التعساء يلقون من بطشه وشدة اذاه الشيء الكثير ، فلم
يكن يبقى على دابة في الأرض ، ولا انسان في الطريق .
ينقض كالقضاء على فريسته فيجندلها . ثم يحتملها الى
كهفه قيلتهم منها ، وينبذ الباقي لخدمه وعبيده الكثيرين
من سائر السباع

ولم يكن كهذه الاسود الضئيلة التي يتحدث عنها
السودان هذه الايام ، بل كان أسدا في جرم الفيل وقوته ،
ورشاقة النمر وخفته ، وخبائة الثعلب وحيلته . . . يثور
فينقذ الشرر من مقلتيه ، وتمور الأرض وتسجد الجبال
بين يديه . وكانت له لبدة نسجت لها الالهة من أشواك
الجحيم ، وبطنتها بحمى المنية !

وكان زئيره يقصف كالرعد فيزلزل شعاف الجبال ،
ويهز جوائب السماء ، ويهيج الجنون والفرع في رؤوس
الوحوش ، فتري الى الغابة كأنها ترقص على فوهة
بركان !!

ولقى هرقل أصدقاءه فنصحوا له ألا يلقي هذا الاسد ،
وأن يضمن بشبابه . . . على أنيابه ، وبماء الحياة المتدفق
في بردتيه ، على جمر الغضب المتأجج في صدقته . . .

ولكنه أبى !! وانطلق كالعاصفة الى حيث يربض
أبواسامة . . . وانه لعلى خطوات من الكهف ، وانه لينظر
الى السيف الذي كان الى هذه اللحظة في يمينه فلا
يجده !!

« أين ؟ أين سيفي ؟ . . . آه ! هاها . . . لقد سرقته
حيرا !! أرادت الخبيثة أن تجردني من السلاح الذي انزل
به خصمي ! خاب فأك يا حيرا !! سأنازله بغير ما سلاح
. . . سأحطمه . . . سأشد لسانه حتى انتزعه من غلاصمه
. . . الى يا سبع نيميا . . . الى يا ملك الغابة وسيد
وحوشها . . . الساعة سساعتك . . . لا مفر لك يا أبا
لبدة ! . . . »

وظفق هرقل يرعد كالمجنون ، وكان سبع نيميا نائما
فاستيقظ على هذه الصيحات المدويات ، ووثب وثبة
هائلة كان بها أمام هرقل ، وجها لوجه . . .
وبدأت الزوبعة . . .

والتقى الجبل بالجبل ، وتصارع الجباران ساعة ،
لا هذا ينال من ذاك ، ولا ذاك يصل الى وطر من هذا . . .
وأقبلت وحوش الغابة تشهد المعركة وتتعجب . . .
وغضب أبواسامة ، وهاله الا يقوى على رجل بمفرده
يكاد يصصره . . .

وتعجب هرقل . . ونال منه الجهد ، ورأى أن لابد من آلة ، فدار دورة اقترب بها من شجرة باسقة ، فانتزعها وألقى بجذعها في شـسـدقـى الأسد ، ثم أسرع فقبض على لسانه العظيم فانتزعه ، وانقذف الدم يتدفق من هنا وهناك . . . وتسيل به أودية الأرض !!

وكان نشوة الظفر قد ضاعفت قوة هرقل ، فقبض على فكى الأسد ، وشد على الرأس الكبير فتحطمت عظام المخ ، وخر ملك الغابة يتقلب في لجة من دمه الغزير ! وهممت الوحوش مشدوهة !

لقد قتل ملكها . . فلا خوف عليها بعد اليوم ! ستكون حرة طليقة ، تجيء وتروح ، وتقتات لنفسها غير منتظرة ما كان ينبذه لها أبو أسامة !!

ونظر هرقل ، فرأى سيفه وراء ظهره !!

لقد جاءت به حيرا بعد إذ شهدت من جبروت البطل ما بهرها وتناول السيف باسمه ، ثم تقدم الى الأسد فسلخ جلده الكبير ، وأبقى على اللبدة الهائلة ، وعاد أدراجه الى يوريندوس ، ملتفعا دثاره الغريب الذى كان الى لحظة قريبة يضم جثمان ملك الغابة وسيد وحوشها

٢ - مع الافعوان الهائل « هيدرا »

ولقى صديقه يولوس ، وتحدث عما كان من أمره مع سبع نيميا ، فأخذه العجب ، ونذر ليصحبين هرقل فى جميع مجازفاته . ثم فصلا ، وما كادا يفعلان حتى قابلهما رسول الملك برسالة تأمر هرقل بالتوجه الى مستنقعات ليرناحيث الافعوان الإرقم هيدرا : « . . فاذا لقيته ثمة فعليك به ، ولا تعودن الا برأسه . فقد حدثنا من عرفه أنه لا يبقى على دابة ولا بهيمة ، ولا يعفى من القتل أحدا . . ونحن

أرفق برعاياتنا من أن ندعهم فرائس لهذا الأفعوان . . . »
وانطلقا ، حتى اذا كانا عند المستنقعات المترامية ،
شهد هرقل حيوانا ضخما الجثة فظيع المنظر ، يتقلب
فوق صفحة الماء المغطاة بزهرات اللوتس وأوراقه العريضة
النامية . وايقن أنه هيدرا ، فتناول قوسسه الكبيرة ،
وأرسل الى الوحش سهمي يهيج به ، ليخرج من الماء ،
وليأخذه معه في نزال وقتال . . .

وتم له ما أراد . وخرج هيدرا الفظيع يقلب رؤوسه
السبعة . ويقلب في كل فم لسانا طوله ذراعان ، وبرزت
أنيابه تنفت سمها الزعاف ، وأرسلت العيون الصغيرة
البراقة شرورها ، وشرع الفحيح المرعب يصم أذني هرقل
وأذني صاحبه

وبدأت المعركة . . .

وامتشق هرقل سيفه الكبير المرهف ، وبضربة قاضية
أطاح رأسا من الرؤوس السبعة . . .
ولكن . . . ياللعجب !! لقد نبتت في لحظات قليلة ،
في مكان الرأس المقطوع ، رؤوس سبعة أخرى ، أخذت
تنمو بسرعة فائقة ، حتى أوشكت أن تساوي الرؤوس
الكبيرة في حجمها . . .

وريع هرقل ، وهتف بصاحبه يولوس قائلا : « أوقد
النار يا صاح ، وأجج هذا الجذع فأكو به كل رأس يطيح
. . . انني أخشى أن ينبت لهيدرا ألف رأس ! »

ونفخ في النار وأجج الجذع ، وأخذ كلما طاح رأس
كوى مكانه بالنار ثم بدا له أن يدع السيف ، ويقضى على
الأفعوان العجيب بجذع الشجرة الذي كان يكوى به يولوس
وحدث ما لم يكن في الحسبان . . . لقد أرسلت حيرا
سرطانا بحريا يعض قدمي هرقل وهو يحارب هيدرا ،

تود بذلك لو تشغله فيستطيع الافعوان الظفر بخصمه
العنيد . . . ولكن هرقل تنبه للسرطان فوطئه ، وسحق
عظامه سحقاً

وانتصر هرقل

وظفق يغمس سهامه في دم الافعوان ليسمها ، حتى
اذا أصابت رمية لا تفلتها من الموت . وعاد الى يوريدوس
ثملاً بخمرة النصر

٣ - ظبي سيرينيا

واسقط في يد يوريدوس حين رأى هرقل يختال في بردة
السبع ويتيه ، وفي قبضته القوية رؤوس هيدرا هامة
خامدة . .

وكان في مقاطعة سيرينيا ظبي له قرنات من ذهب ،
وأبطالان من نحاس ، وساقان من معدن ليس له فيما
نعرف من المعادن من ضريب . وكان الملوك اذا أرادوا
اعجاز أحد من الناس ليقتلوه ، كلفوه باقتفاء ظبي سيرينيا
وامساكه ، فان لم يفعل ، وأن يستطيع أحد ان يفعل ،
لشدة عدو هذا الظبي ، كان جزاؤه القتل . وقد أراد
ملك أرجوس أن يعجز هرقل هذه المرة ، فأمره باقتفاء
ظبي سيرينيا : « . . . فان لم تعد إلينا به فأنت أعلم بما
ينتظرك من الموت الزؤام » .

ولم يستطع هرقل أن يمسك الظبي ، لأنه كان يعدو
كزوبعة ، فما تكاد حوافره تلمس الأرض الا كما تلمس
السماء كف سكران ، فلجأ الى الحيلة ، واحتفر في طريق
الحيوان حفرة عميقة غطاها بوشائح رقيقة من الثلج ،
وطارد الظبي حتى الجأ الى الحفرة ، ووقع فيها ، فنزل
إليه واحتمله ، ومضى به الى الملك الغاشم

٤ - خنزير أرمنشيا

ثم أمره بقتل خنزير يرى مخرب ، كان يأوى الى غابات أرمنشيا ، ويقطع الطريق على القبائل الرحل ، ويقتل كل من تحدثه نفسه بمحاربته أو الوقوف معه في ميدان . وكان ذلك الخنزير لا يبالي شسبيًا في الارض أو في السماء ، وكانت بينه وبين قبائل السنتور مودة في الشر ، وتحالف على ايداء الناس . فلما اشتبك هرقل واياه في نزال تشيب من هولة الولدان ، وشعر الخنزير أنه مقضى عليه لا محالة ، خار خوارا عاليا يستنجد حلفاءه السنتور ، ولكنهم لم يصلوا الى مكان المعركة الا بعد أن أجهز هرقل على خنزيرهم العزيز ، فنشب قتال مروع بينهما ، وأخذ هرقل البطل يسدد سهامه التي كان قد غمسها في دم هيدرا ، الى صدور أعدائه حتى كادوا يبيدون جميعا . وأقبل شيرون - وهو كما علمنا مؤدب هرقل وأستاذه - ليحسم النزاع بين قبيله وبين تلميذه ، ولكن وا أسفاه ! لقد أصماه هرقل بسهم مسموم فأرداه وهو لا يعرفه ! فلما أدرك أنه أستاذه ، أقبل عليه ، وعنى به ، وجمع من الاعشاب الطبية ما حسب أنه ينقذ أستاذه من براثن الموت ، ولكن بلا جدوى ! ومات شيرون ، وأهوى عليه هرقل يقبله ، وفي عينيه دموع المحبة والاعزاز

وتعاون هرقل ومن بقى من السنتور فدفنوا القتلى ، ثم أقاموا قبرا مشيدا دفنوا في ثراه شيرون ، ومضى كل لطيته ..

٥ - زرائب أوجياس ، ملك الس

كان الملك أوجياس ، ملك اليس ، يقتنى عددا عظيما

من الماشية والخييل والغنم ، تزدحم في زرائب متجاورة مع آلاف من الخنازير مؤلفة . وكانت النظافة في هذه الزرائب مهمة اهما لا تاما ، حتى لكانت البروائح الخبيثة تنتشر منها فتصدم أنف عابر السبيل على فرسخ او فرسخين ، وانتن الروث فأحدث طاعونا مروعا أوشك ان يأتى على جميع الاهلين ، وقرر الاطباء ان لاسبيل الى مقاومته الا اذا عنى بتنظيف زرائب الملك . . وعلم يوريدوس بما شغل بال صديقه ملك اليس ، فابتسم ابتسامة صفراء ، وقال لهرقل وهو يحدثه حديث المستور : « اذن فعليك أن تتوجه الى صديقى أوجياس ، ملك اليس ، فتتنظف زرائبها مما بها من خبث ، وتكون بذلك قد أدت خمسا من المسائل الاثنتى عشرة ، التى كتبتها عليك الالهة »

وامتعض هرقل فى أعماقه ، وعبس عبوسة كادت تنفجر بالسخط على هذا الملك القبي ، ولكنه ذكر نصيحة أريتيه ، فصدع بالامر ، وذهب من فوره الى اليس ، ليرى كيف ينظف زرائب الملك . .

وثمة ، رأى مجرى عظيما من الماء ، يتدفق من الجبل الشاهق الى يمين الزرائب ، وينحدر انحدارا شديدا حتى ينتهى الى البحر ، فبدا له أن يغير مجرى الماء ، بحيث ينصب فى الزرائب نفسها ، فيكتسح الروث ، وينجوا الناس من هذا الرهق الشديد

وانتقد هرقل مدينة الملك وثروته وحياة الاهلين ! وحاول ملك اليس أن يستبقيه ليجزيه ، ولكن هرقل أبى شاكرا ، وقصد الى يوريدوس يتلقى أوامره

٦ - عجل مينوس

وكان نبتيون اله البحار قد أهدي عجلا جسدا

لصديقه مينوس ملك كريد ، كى يقدمه قربانا للالهة فى العيد الاكبر الذى يحتفل فيه بميلاد نبتيون ، ولكن العجل راق مينوس الملك فانتقى من عجوله أحسنها وضحى به مكان هذا العجل الالهى السمين ، واستبقى لنفسه هدية الاله

وغضب نبتيون ، وأقسم ليكونن هذا العجل نقمة على مينوس وملئه ، فسخر عليه طائفا من الجنون ، فطفق العجل يخرب ويدمر ، ويقتل الناس تقتيلا ..

وعلم يوريدوس بما كان من مصيبة صديقه ملك كريد فى عجله ، فلما قدم هرقل أرسله ليقتل العجل أو على الأقل ليقيده فيرتفع عن الناس أذاه ..

وأبحر هرقل ، ولقيه مينوس فرحا متهللا ، وذهب من فوره لينسازل العجل ، فكانت معمة ، وكانت حربا عوان ..

لقد كان هرقل يحمل العجل فيرفعه ، فيخبط به الارض فتندك ، ومع ذاك ما استطاع أن يقتله ! وأخيرا اكتفى بأن صفده بسلاسل وأغلال وعاد أدراجه الى أرجوس ، وودعته كريد كلها

٧ - خيول ديوميدينز

وكان الملك ديوميدينز ، ملك تراقية ، يقتنى مجموعة طيبة من خيول السباق التى لايشق لها غبار ، ولا تباريها خيول فى مضمار ، ولكنها لم تكن كهذه الخيول التى يقتنيها الناس ، بل كانت بالوحوش أشبه ، والى السباع أقرب لأنها لم تكن تذوق الحشيش ولا تسىغ النبات ، بل بالعكس ، كانت لاتأكل الا اللحم تنهشه نهشا ..

وكانت تأبى لحم الحيوان والبهائم ، وتستطيب لحم
الانسان وتلذه ، ولم يكن الملك القاسى يبخل عليها به .
ولكى يوفر لها الغذاء الغريب ، اصدر امره بالقبض على
كل اجنبى تطأ قدماه ارض البلاد بدون اذن من الملك ! فلما
نمى الخبر الى يوريدوس ، ارسل هرقل لمعاقبة ديوميديز
ولتخليص الناس منه ومن خيوله

وشد هرقل رحله الى ارض تراقية ، ودخلها غير
مستأذن لا مستأنس ، فلما سأل ديوميديز فى ذلك ،
انقض عليه كأنه الحتف ، واقتلعه من عرشه كأنه نبتة
ومضى به الى خيوله فألقاه اليها ...

وانقضت الخيول على الملك فمزقته تمزيقا ، واغتذت
بلحمه الملكى الفاخر ! ! وطرب الشعب لتخلصه من حاكمه
الظالم ، ونثر الورد والريحان تحت قدمى هرقل ، ومضى
البطل فألجم الخيول كلها ، وساقها هدية غير مبرورة
الى يوريدوس ! !

٨ - منطقة هيپوليت مليكة الامازون

وكانت ليوريدوس ابنة ذات كبرياء وذات خيلاء
مشغوفة باقتناء الحلى والجواهر النادرة ، تضحى فى
سبيلها بسلام المملكة وأرواح البرايا ، اذا اقتضت الحال
حربا من اجل ياقوتة او زبرجدة !

وكان أبوها الافين يلبى رغباتها ولا يكاد يرفض لها
أمرا ، فلما وصفت لها منطقة هيپوليت ، مليكة الامازون
وما رصعت به من اللآلىء ، وثار فى نفسها فضول
الذهب ، والم بها مرض الحصول عليه ، فانطلقت الى
ايها تبكى ، وتشكو العطل وقلة الحيلة ، ولو أن خزانها

كانت تحوى نصف ثروة المملكة

. وسألها أبوها ما بكاؤها ؟ فتاهت قليلا ودلت ، ثم
فكرت منطقة هيبوليت !!

وربت الملك على كتفى ابنته ، ودعا اليه هرقل ، وامره
بالذهاب الى الامازون والحصول على منطقة الملكة ، ولو
أدى دمه ثمنا لها !

أما الامازون ، فقبيل عظيم من النساء المحاربات،
يحيين حياة عسكرية حافلة بضروب من الشجاعة تحير
الالباب وتذهل العقول . فمنهن فريق يعمل فى الحصون
ويسهر على قلاع المملكة ، وفريق للفزو ومناوشة الاعداء،
وثالث يقوم بمهمة الشرط والعسس ، ورابع للعمل فى
الاسطول الذى يلقي الرعب فى الشواطئ

ولا يعيش بين شعب الامازون احد من الرجال، فاذا
جازف رجل وانسرق بينهن ، ترصده الموت فى كل مكان،
وكانت مملكتهم فى جزيرة نائية قاصية ، ذهب هرقل
فى البحث عنها كل مذهب ، واستعان بأقربائه من الآلهة
ليرشدوه اليها

ونصح له أحدهم أن يدع هذه الرحلة القاسية
الى مملكة الامازون ، ولكنه أبى ، لان مجازفاته التى
يتعرض بها للهلاك ، ان هى الا ثمن الحرية التى ينشدها
ويحلم دائما بها !..

ووصل هرقل الى المملكة ، وتحايل حتى مثل بين
يدى الملكة ، فلقيته بما هو أهله من التجلة والاکرام ، كابن
آله عظيم . . . وأبدى رغبته فى الحصول على المنطقة
الغالية التى تزين وسط الملكة ، وتحلى خصرها ، ليقدّمها
ثمنا لحرите الضائعة ، للفتاة المزهوة (أدميت) بنت ملك
أرجوس . . .

وتبسمت الملكة ، ووعدته أن تخلمها عليه ، ليصنع
بعد ذلك ما يشاء ، ثم تفضلت فدعته الى حفلة راقصة ،
وعشاء فاخر . . .

وهنا تبرز حيرا لتمثل دورها ١٩ . .

لقد هالها هذا النجاح المطرد الذى يظفر به خصمها
فى كل مكان ، فتحولت الى أمازونة جميلة ، واندست بين
رعايا الملكة ، وألقت فى روعهن أن هرقل هو ألد أعدائهن ،
وأنه إنما أقبل ليسبى الملكة ، ليفر بها الى ملك أرجوس ،
وأنه اتخذ المنطقة تلة لذلك جميعا ، فشارت ثائرة
الامازون ، وتجمهرن حول الملكة ، وصارحنها بما قالت
لهن حيرا . فأمرتهن بالحرب . ولكن هرقل ، البطل
الاعزل ، انقض كالمنية على الامازون ففرق شملهن ،
وأظفرته شجاعته بهن ، ثم هجم على الملكة فاخطف
منطقتها ، ونظر فرأى حيرا تشهد المعركة فوق رابية
قريبة ، فأشار اليها قائلا : « وهنا أيضا أنتصر عليك ،
وسأنتصر عليك دائما »

٩ - طيور بحيرة ستيمفالوس

وطربت ابنة الملك لمنطقة هيبوليت ، أيما طرب ،
وكبرت فى نفسها منزلة هرقل ، فاستوصت به أباه
خيرا . .

واستجاب يوريدوس لشفاعة ابنته فى هرقل ، فلم
يكلفه هذه المرة شططا ، بل اكتفى بأن أمره بالتوجه الى
بحيرة ستيمفالوس ليبيد طيورها ذوات المخالب
النحاسية التى تدوم فوق الماء الأسن وتغطس فيه
تصيد السمك ، ثم تذهب فتأكله قريبا من القرى ،
فتنتشر بذلك الامراض والطواعين ، ولم يكن أيسر على
هرقل من أن يبيد هذه الجوارح ومعه قوسه المرنان ،

وفي كنانته سهامه التي رويت من دم هيدرا

١٠ - قطعان الجريونز

وكان يأوى الى سفوح الجبال في مقاطعة أريشيا ماردا
مخوف مرهوب الجنبان يدعى جريونز . وكانت له
قطعان كبيرة من الماشية والغنم ، عرفت في سائر هيلاس
بجودة ألبانها ونعومة أوبارها ، حتى لكان يضرب بها
المثل كلما فاخر الرعاة بقطعانهم

وطمع يورينوس في نعم جريونز وشائه (١) فأمر
هرقل أن ينصرف الى أريشيا فلا يعود الا بها

واغذ هرقل السير ، والفى المارد ممدا في كهفه
السحيق يغط في نوم عميق ، فانقض عليه كأنه الشهاب
الراصد ، وقبض بيديه الحديديتين على عنقه الغليظ
فلم يفلته الا جثة لا تأمة فيها ولا نفس ! وساق القطعان ،
وتولى الى ملك أرجوس بالثروة الطائلة ، والوفر الكثير
وأرعى الليل سدوله ، ولما يبلغ هرقل نصف الطريق ،
فأناخ في منحدر معشوشب ، ولعبت سنة من النوم
بعينه ففقا ، وأسكرته نسمات الربيع فاستسلم لأحلامه
الخمرية الحلوة

وكان يأوى الى هذا الجبل ، جبل آفنتين ، ماردا لص
قطاع طريق ، يدعى كاكوس ، وجد هرقل غارقا في
سبات ناعم ، فذهب بنصف القطيع أو يزيد ..

واستيقظ البطل على رغاء يتجاوب في حدود الافق ،
فلما تفقد قطعانه انطلق في اثر اللص حتى لحق به ،
وحطمه تحطيمًا !

وقبيل شروق الشمس ، كانت مدينة أرجوس كلها

(١) النعم : الماشية ، والشاء : الغنم

عند الابواب تستقبل الرزق والفنم ، وتهتف باسمهم
البطل الحلال الذي بهرها بشجاعته ، وخب البابها
بما أبدى ، وما ينفك يبدى ، من ضروب القسوة
والاستبسال ..

وأحس يوريدوس بما انطوت عليه قلوب الاهالى من
المحبة والافتنان بهرقل ، فسخط وحنق ، وبيت الشر
المستطير ..

١١ - تفاحات هسبريا الذهبية

وأدركت حيرا ماينقم الملك من هرقل ، فوسوست
اليه أن يأمره بالحصول على تفاحات هسبريا الذهبية ،
وهيات هيات ان يستطيع أحد الحصول عليها !

ولقد أهديت هذه التفاحات الى حيرا ، ليلة زفافها
الى زيوس ، رب الارباب ، فيما أهدى اليها من تقدمات
وتحف ، أهدتها اليها « جى » ربة الارض ، فكانت ائمن
الهدايا جميعا وأغلاها . لانها فضلا عن أنها من الذهب
الخالص ، فقد رصعت بأندر اللالىء ، وزينت بصور
الآلهة ، ونقشت فيها حداثق الاولب ، ثم هى تستقل
بميزة ندر أن تكون لحيمة مهما غلت : ذلك أنها اذا غابت
الشمس ، وأقبل الليل بظلامه ، شعت أضواء ، ولألاء قل
أن تصدر الا عن كوكبدرى ، أو شمس وضاءة ، فتنقشع
الغياهب وتنجلي الدياجير !

وحسبك ان تعلم أن حيرا نفسها لم تأمن آلهة الاولب
وحراسها الفلاظ على هذه القنية النادرة ، فأرسلت
بها الى الهسبريد ، بنات هسبروس اله الغرب العظيم ،
ليحرسنها . ولتكون عندهن فى مأمن من كل سارب
يليل ، أو سارق فى نهار ، وقد عرفت الهة هذه

التفاحات قيمتها ، فعلقنها في دوحة باسقة في قصرهن
المنيف ، وأقمن على حراستها التنين الهائل لادون الهولة ،
الذى قيل في وصفه ان له سبعين آلف رأس ، في كل رأس
سبعون ألف عين ، وسبعون ألف ناب يتدفق السسم
منها جميعا ، ثم انه يبلغ ألف ذراع طولا وخمسين سمكا ،
وان له لظافر كأن كل واحد منها جراز هرمز ، وان له
لفحيجا تضيق فيه زمزمة الجن ، ومكاء الشياطين ؛
وانقلب هرقل على وجهه في الارض حيران !

اين هي تفاحات هسبريا هذه ؟
« أفي الارض أم في السماء ؟ لامض ! قرب اله دلنى
اليها ... »

وشرق وغرب ، وذرع الارض من اقصىها الى
اقصىها ، وانسرق الى الكهوف والغيران ، وأوغل في
الجبال ، تحدر في القيعان ، ومسر بكل حنية ، ووقف
عند كل عين ، حتى كان لدى نهر اريدانوس ، ووقف
بشاطئه يتناجى ، فخرجت من الماء النمر عرائسه ،
ورحن يسرين عن هذا اللاجىء الحزين ..

وانه ليساثلهن عن تفاحات هسبريا ، فيبتسمن له
ويتلطفن معه ، ثم ينصحن له أن ينطلق الى نريوس اله
البحر ، عسى ان يهديه الى ما يريد . ويهيم في الارض
محاذيا سيف البحر ، وحتى يكون آخر الامر أمام شيخ
هرم ، وخط الشيب رأسه ، وتدلّى شعر لحيته الكث
فوق صدره العريض ذى الثواء ، وبرزت أهدابه حتى
لكادت تحجب عينين تزدهم فيهما السنون ، وتطل من
حدقتيهما الاحداث !

وجده جالسا القرفصاء مقلبا ناظريه في مملكة الماء
التي تتصل باللانهاية ، فألقى عليه تحية هينة ، رد عليها
الشيخ بهذه العبارة :

« ايها الفتى لماذا قطعت على تأملاتي ؟ ! »
« فقال هرقل : أستحلفك بسيد الارباب يا أبتاه الا
ما أخبرتنى عن حدائق الهسبريد ، فتكون لك على يد
أذكرها لك أبد الدهر وأشكرها ! »
وتجهم نريوس وقال : « حدائق الهسبريد ! أوه ! ..
أنت هرقل اذن ! »
فبهت هرقل وأجاب : « أى وحقك انا هو ، فمن
ذكرنى عندك ؟ ! »
« ليس هذا من شأنك يا بنى ، ولكن لعلك تبتغى
تفاحاتها الذهبية ؟ »
- « أى وزيوس يا أبتاه ! »
- « بشراك اذن ! فلن يحصل عليها الا انت ، ولكنك
لست انت الذى ستنفذ الى حدائق الهسبريد ! اذهب
اذن فالتمس المسكين برومثيوس مكبلا فوق جبال القوقاز،
فأحسن اليه وسله حاجتك، فهو وحده الذى يستطيع
ارشادك الى ما تريد ... »
وشكره هرقل ، وحياه ، وأطلق ساقيه يطوى الفيافي
الى القوقاز . وهناك وجد برومثيوس والرخ ينوشه،
بحيث يمزق كبده ويهرأه ، ويتغذى به ، فوتر قوسه،
وسدد الى الطير سهماً فأصماه ، وخلص الى الاله البائس
فأزال أصفاده ، وما زال به حتى أقبل الليل والتأمت
جراحه ، ثم تحدث اليه عن حدائق الهسبريد وتفاحاتها
الذهبية ، فحدججه برومثيوس بنظرة فاحصة ، وقال
له : « لكأنك هرقل اذن ؟ »
- « أجل أنا هرقل يا أبتاه ! »
- « وأنت عدو حيرا يا بنى ؟ »
- « عدوها المبين يا أبتاه ! »
- « مسكين ! »

ولم يلبث الفتى أن انهمست عبراته ، وطار لونه ؛
وهاجت فى فؤاده البلابل والاشجان ، ثم اتصل الحديث ،
وقال برومسيوس :

— « انطلق يا بنى الى أخى أطلس ، هناك . . . هناك فى
افريقية المظلمة شمالا بغرب ، تجده على قنة جبل السماء على
منكبيه ، ويتشح بوشاح من اللازورد يرفرف بين المشرق
والمغرب . فأقرئه سلامى ، وزف اليه بشرى خلاصى
مما أوقع زيوس بى ، ثم حدثه بحاجتك يقضيها لك ،
فهو وحده يعرف أين حداثق الهسبريد ، وهو وحده
يستطيع أن ينفذ اليها ، وهو وحده يستطيع قتل لادون
التنين الهائل الذى يحرس تفاحات هسبريا الذهبية ،
فاذا أتاك بها ، فاحذر أن يأخذك بشيء من مكره ، فانى
قد علمت أنه بدأ يتململ من حملة الثقيل ، ويود لو
ينجيه منه أحد ، ولو انتشرت الكواكب ، وانتقض نظام
الكون ! » .

١٢ - هرقل يصارع أنتيوس

وفى طريقه الى أطلس ، لقى من الاهوال والخطوب ماتفتاً
تحدث به الايام الى زماننا هذا ، فمن ذلك أنه مر بقوم
من الاقزام ضئال الاجسام قصارها ، كانوا يؤجرون ماردا
عظيم الجسم ، مفتول العضل : ليحميهم من جيرانهم
الاعزاء الاقوياء ، وليدفع عنهم غائلة الغربان النحاسية
التي كانت تتلف أعنابهم وتبيد زروعهم كلما تم نضجها
فى كل عام . وكان ذلك المارد « أنتيوس » ذا حول وذات طول
حتى لكان يخشاه الوحش ، ويتخوفه الجن ، وترجف من
صولته أفعوانات البحار ، فلما شهد هرقل يخب فى أفق
البلاد كأنه جبل يتدهدى ، أخذ أهبطه لمنزلته ، ولم
تساوره ذرة من الشك فى أنه منتصر عليه

فلما وصل هرقل ، حيا أحسن تحية ، ولكن أنتيوس لم
يجب ، بل انه سارع فأخذ بتلابيب البطسل عابر
السبيل !!

- « ماذا بك أيها الاخ ؟ دعنى ، فليست لى عندك
حاجة ! »

- « لا ، لا نجوت ان نجوت ! لا ارى الا ان أصررك ! »
- « وله ؟ ! »

- « هذا ما لا أعرف ، ولكن لابد من أن أصررك على أية
حال ! » ..

وتصارع الخصمان ، واقبلت الاقزام ترى الى هذين
الجبليين يأخذ أحدهما بخناق الآخر فيلبيه تلبيبا !

وكان أنتيوس كلما خائته قواه ، وأيقن أن هرقل لابد
صارعه ، وقف قليلا على أديم الارض يستمد منها قوة ،
ويستلهم الحول من أمه (جى) ..

فهو ابن (جى) اذن ، ولن يسر ربة الارض أن يصرع ابنها
أحد ، اذن ، فلتمده بكل ما فى سرها من قوة ليصرع
هرقل !

وخارت قوى البطل ! وراح يلهث من شدة النصب ، بيد
أنه تنبه الى السر آخر الأمر ، عندما لاحظ أن أنتيوس
يزداد قوة كلما مست قدماه الارض ، فرفعه رفعة هائلة ،
ولم يمكنه لحظة من الوقوف على قدميه ، ثم أخذ يضغط
عنقه الفليظ العبل ، حتى شهق شهقة كانت هى شهقة
الموت ... !

فألقي به ... ومضى لشأنه !!

وتلفت فرأى عرائس ماء يلعبن على الشاطئ ، ويترايمن
بلاىء مما يعد لديهن من حصباء البحر ، فوقف غير بعيد
وهتف بهن :

« يا عرائس الماء الجميلات ! هل لكن ان تهديتنى الى

أطلس الذى يحمل السماء ، ويمسك كواكبها ان تقع !؟ «
وفزع عرائس الماء وهرعن الى البحر ، ولكن فتاة
جريئة وقفت ترقص على رأس موجة وقالت : « امض أيها
الرجل حتى اذا لقيت السد الذى يفصل البحر المحيط
من مائنا هذا (وكان البحر الأبيض) ، فاذا استطعت ان
تنفذ فانك تكون على فراسخ من أطلس ..
وشكرها هرقل ، وانطلق ..

وكان امام السد ، ولكنه كان جبلا شامخا ذا قنن وقلل
وأحياد ، فلم يستطع ان يتسلقه ، ضربه يمينه ضربة ،
وبشماله أخرى ، ففتح ثغرات كبيرة نفذ منها ، وترك
الجبل وراءه أعمدة عالية ، وما تزال تعرف الى يومنا
هذا بأعمدة هرقل !! (١)

ونظر فما هاله الا هذا الاله العظيم ساسامقا فى الافق ،
يحمل على كتفيه العريضتين قبة السماء . والنجوم منتشرة
من حوله كأنها قطرات أمطار فى يوم عاصف !
وتقدم هرقل فحيا الاله الضخم ، وحياء الاله الضخم
بأحسن مما حيا ، ثم أقرأه هذا تحية برومثيوس ، وزف
اليه بشرى خلاصه من الصخرة التى ظل مكبلا فوقها
أحقابا وأحقابا !

وطرب أطلس لهذه البشرى ، وافتر عن ثنايا كأنها قمم
الجبال مغطاة بالثلوج ، ثم قال :

— « ومن ينقذه من عذابه الطويل يا صاح ! »

— « أنا ، ان كان يسرك ذاك النبأ »

— « انت ؟ انت من المكرمين اذن ! مرحبا بك أيها المخلص
الامين ! لقد كدت ألقى بهذا الحمل الذى ترى لانتقد أخى ،
ولكنى خفت أن يهلك العالم بمن فيه ... و ... على
ذكر أخى ، كيف هؤلاء الناس الذين خلق ؟ أبخير هم ؟ وهل

(١) بوفتر جبل طارق

يخبتون له حقا ؟ ان زيوس مغيظ منهم ، وامراته حيرا
محزنة كذلك ، اعندك من اخبار هؤلاء شيء ؟

ـ عندى اشياء يا ابتاه .. انا ابن زيوس من الكمين ،
وقد نقيمت حيرا على والدتى ، فارادت ان تفجعها فى ، وقد
اغرت رب الارباب بى ، فتضى ان اخدم النذل يوريزوس
سنة بتمامها اصدع له خلالها بما يامر ، وقد ارسلنى اجوب
الافاق واذرع الارض من اجل تفاحات هسبريا الذهبية ،
وقد ذكر لى اخوك ، بعد اذ اطلقتك ، انك وحدك تعرف
مكان حدائق الهسبريد وانك وحدك تستطيع الحصول
على هذه التفاحات ، فهل اسعد بان تؤدى لى هذه اليد ؟
لقد كادت حيرا كيدها هذا ، وان لم تنصرنى اغدو من
الهالكين ! «

وشاعت الخيلاء فى اعطاف اطلس ، وسرت حميا الزهو
فى ظهره الشاسع ، فقال : « اجل يا صاح ، لن يستطيع قتل
لا دون غيرى ، ولن يدخل حدائق الهسبريد سواى ، ولكن
كيف اترك حملى هذا لاتيک بالتفاحات ؟ »

ونظر هرقل الى القبة الهائلة نظرة تفيض كبرياء وقال :
« انا احمل عنك هذه القبة يا ابتاه ، حتى تعود
بالتفاحات !! »

وما كاد يتم كلمته ، حتى تقدم فركز كتفيه تحت
السماء ، وانطلق اطلس اول مرة منذ احقاب واذهار يمتع
نفسه بمشية حرة طليقة فى حدائق الارض الفناء !!
وغبرت ايام ..

ثم ذكر تفاحات هسبريا ، فذهب الى حدائق الهسبريد ،
واقترحم الاسوار ، وانقض على التنين لادون فزلزلت
الارض تحتها ، ولم يدعه يفلت ، برغم مرونته فى الوثب
وسرعته فى الالتفاف ، حتى خر صريعا

ومد يده الى الايكة الزاهية في السماء فتناول التفاحات
المتلألئة الوضاءة ، وعاد يزهى ويختال الى حيث هرقل
المجهد المتعب

وما كاد أطلس يلمح الحمل الثقيل الذى يؤود هرقل
حتى ذكر الادهار السحيقة التى لبث يتململ طوالها تحت
عبئه ، فارتعدت فرائصه لمجرد فكرة العود الى حمسه
الشاق . . وبدا له أن يدع هرقل ويمضى ، ولكن هرقل
المتعب فطن الى ما وقر في قلب أطلس ، فناداه : أتباه !
لعمري أن حملك لاخف من الهواء ، ولعمري اننى لآستطيع
أن أثبت له الى نهاية الابد !

وبهت أطلس وقال :

— « اذن لتمض فى حملك ما دام يسرك ! »

فاجاب هرقل : « ليس أيسر من هذا ! ولكن هـل
تسمح فتحمل مكانى برهة حتى أضع جوبة فوق كتفى ،
فانى أشعر بنتوء أديم السماء !! »

وقبل أطلس المفعل ، فنثر التفاحات من يده على الكلا
الاخضر وتقدم فحل محل هرقل !!

والتقط صاحبنا التفاحات ، وانطلق لا يلوى على شىء!!
وبعد رحلة طويلة مضنية : دخل على يوريندوس
بالقنية الغالية التى خلبت لب قشاته أدميت ، فخرت
مغشياً عليها حين وقع بصرها عليها . .

١٣ - رحلة هرقل الى الدار الآخرة

لم تكن محفوفة بالمكاره هذه الرحلة الى الدار الآخرة،
فقد سلك هرقل سبلا من قبل ، كان الموت يجثم فى كل
خطوة فوقها ، وكانت المنايا تتربص فيها ، ثم تفر منه

آخر الامر ، كأنما هو موت للموت ، ومنية للمنية وفناء
للفناء ..

أسقط في يد حيرا حين عاد هرقل بتفاحات هسبريا ،
واستولى عليها الجزع حين رأت التنين لادون مضرجا
بدمه ، فوسوست في صدر يوريندوس أن يأمر البطل
فيحضر له سيربيروس من الدار الاخرة !!

وسيربيروس هو ذلك الكلب الهائل ذو الرؤوس الثلاثة،
الذي رأيناه يعدو في أثر بلوتو - اله الموتى - حينما زار
الدار الاولى ليخطف برسفونيه ، وهو ابدا يربض عند
قدم سيده الجالس فوق عرش هيدز ، يقلب في غيب
السفل أعينه الست ، كأنها أنجم تحترق في فحمة ليل
يهيم ، وهو أيضا أداة تعذيب في دار الابدية ، ينشب
أظفاره في ارواح المجرمين ، ولا يفتأ يكرع من دمائهم حتى
يروى !

وكانت الحرية تشيع بالامال في قلب هرقل ، وكان هو
قد برم بهذا الرق الأسود الذي كتبه عليه السماء ،
فانطلق يعدو الى دار الموتى ، وبين يديه طائفة من الالهة
تهديه وترشده ، حتى اذا كان قاب قوسين من السدة
القائمة الدجوجية ، ووجد سيربيروس مقعيا يغط في نوم
عميق ، واله الموتى مستلقيا يقلب في حضنه القسوى
برسفونيه الجميلة ، انقض على الكلب فخنقه حتى
لا يعوى فتعاويه كلاب الجحيم كلها وتكون هنالك الطامة
... وانفتحت من دار الظلمات وفي نفسه من الرحمة لهذه
الارواح الهائمة ما أسال دموع الحنان من عينييه الحزينتين
وانخلم قلب يوريندوس حين لمح الكلب الهائل !

لقد كانت الظلماء تتدجى في اشداقه فتكسف الشمس
الوضاءة ، وترد نور النهار المتألىء ديجسورا يلج في
ديجور !!

وكان الزبد ينتثر من افواهه كأنه ندف يساقط من عل
في ليل عاصف !

وكان ذيله الطويل الضخم يتساوى وينثنى كأنه ذنب
هيدرا أو ديل لادون !

وكان يعوى وينبح فيقلقل الجبال المجاورة ، ويزلزل
قصور أرجوس !

وانظر الى الملك الجبان !

لقد قفز من عرشه مما ألم به من الهلع ، وانطلق الى
مخزن الغلال المجاور فاختبأ في خابية عظيمة أغلقها على
نفسه حتى كاد يختنق ، وآلى ألا يخرج حتى يعود هرقل
بسيريروس الى هيدز !

وهكذا أصبح هرقل حرا ، وألقيت عن كاهله هذه
الربقة التي أذلته طويلا ، وتلفت حواليه فوجد الحياة
تتبرج كأنها غنائية ، ووجد كل شيء بساما ضاحكا يدعو
الى اللهو والمرح ، والاخذ بنصيب مما تفيض به هذه
العاجلة من مباهج ومفريات

وذهب في رهط من اصدقائه والمعجبين به من الآلهة
الى الاولمب ، ليلقى أباه ويقدم له طاعته ، ويرى هل
يتوب عليه من غضب لا يستحق منه كثيرا ولا قليلا ..
ولقيه أرباب الاولمب هاشين باشين ، وأخذوا يتندرون
بمجازفاته العجيبة التي انتصر فيها على سبع ثيمياسا
والافعوان هيدرا ومحاربات الامازون ..

أغرقوا في الضحك عندما ذكر اطلس وما كان من امر
الحوية ..

واقترح هرمن على الآلهة أن يضارعوا هرقل ويلاكموه ،
ويباروه في العدو والسباحة وألعاب القوى ، لتتم بذلك

بهجة لقائه ، وليعبروا عما يكونه له من حب ، ويضمرون
من اعجاب . فأقيم ملعب الاولمب الفخم ، وشيدت
على جوانبه المدرجات التى تتسع لآلف ألف مشاهد
من الالهة وأنصاف الالهة وكبار المدعوين من عبـاد
برومثيوس (١)

وتم مهرجان الالعاب ، وحاز هرقل قصب السبق فى
أكثر المباريات ، وكان هذا هو الاولمبياد (٢) الاول الذى
أخذ اليونانيون يحتفلون بمثله كل خمس سنوات
وتتابعه السنون ..

ومر هرقل بقوم يكون ، وقيل لسه ان أدميتوس (٣)
ملك تساليا مرض ، فتمنى على الالهة ان تمنحه الخلود
فى هذه الدار الدنيا ، فأجيب الى ما تمنى ، بشرط أن يحل
محله أحد أهل بيته اذا حضره الموت ، وهنا تقدمت زوجته
المخلصة الستيس فضحت بنفسها كي ينجو بعلمها من
الموت ، وليخلد ما شاء له الخلود . وماتت الزوجه الوفية .
فداء للملك .. وينظر أدميتوس الى ملكه الشاسع فيراه
بغیضا لا خير فيه ، ويكون فى حاشيته فيشعر بوحشة
وانقباض كأنه يعيش فى صحراء ، ويقدم اليه الطعام فلا
يكاد سيفه ، وترقص القيان بين يديه فيثرن فى نفسه
الأشمزاز كأنهن جنة تدمدم فى ظلام غابة ..

ويبغض الدنيا ...

ويود لو كانت زوجته الجميلة المخلصة الى جانبه لحظة
واحدة ، وتتلاشى بعدها الحياة بكل من فيها .!

(١) هو خالق البشر فيما تزعم الميثولوجية

(٢) الاولمبياد وهو دورة الالعاب الاولمبية

(٣) أسطورة أدميتوس وزوجته الستيس وطرد أبوللو من السماء

هى من أبرع الاساطير الافريقية

لذلك يبكى الملك ، ويبكى حوله شعبه الامين !
ويذكر هرقل، انه وحده يستطيع ان ينفذ الى هيدز -
دار الموتى - فيستنقذ الستيس من براثن الفناء ،
ويردها معززة مكرمة الى زوجها المسكين فيهدأ قلبه ،
ويبرقا دمه ، وتستقر نفسه ، ويفيء الى أمر هذا الشعب
الذى تكبكب حوله يعول وينتحب ..

ونفذ البطل الى ظلمات الدار الآخرة ، ويسأل الارواح
الهائمة فدلته على منامة الستيس ، فتففل حارسها
الجبار وخنقه ، واختطف الفتاة الناعسة وفر بها دون
ان تشعر به زبانية بلوتو
وعادت الطمانينة الى قلب الملك ، ورفرف السلام على
المملكة

١٤ - هرقل واومفاليه

وذهب هرقل يزرع الارض ، واشترك في حملة
الارجونوث ضد السنتور ، وانضم الى الاغريق في
حصارهم الاول لطروادة

ولقى رجلا ذا خيلاء وكبر فقتله ظالما ، وكان زيوس
ينظر من علياء الاولمب ، فعبس وبسر ، وقضى أن يظل
هرقل في خدمة اومفاليه ملكة ليديا بضع سنين

وتجهم هرقل ، ولكنه لم يكذب بل بدأ خدماته التافهة
للملكة ، حتى راعه جمالها ، واستهوته مفاتها ، واحس
للمرة الاولى في حياته المشحونة بالمخاطر ان قبسا يتأجج
في قلبه يوشك ان يجعله ضراما

وحلا في فمه ما مر من الدل ، وطلب ما كرهه من
العبودية وود لو قضى الحياة في ظلال هذا الحب الاول
مغمورا برضى الملكة ، سعيدا بما أفاء عليه جمالها من هناء

ونعيم بال . ولكن الآلهة لم تقر بهذه السعادة فأرسلت
بطلها لمآرب أخرى

١٥ - زواج هرقل

وطوف هرقل في أقصى الأرض حتى انتهى الى كاليدون
مملكة أونوريوس ، ولقى ابنته الناهد الهيفاء تجمع الزهور
في خميلة غناء . وكان قلبه قد نهل من خمرة الحب ،
وكانت عيناه قد ثقفتا نظرات الغزل ، وكان لسانه قد
انحلت عقده عن وحى الهوى ، فانطلق يلعب الفتاة
ويداعبها ، وينمق لها من الورد والرياحين باقات تتكلم
بالشذى ، وتهتف بالخضرة والحمرة ، وتصافح الروح
بالعير الفياح

وانست ابنة الملك بهرقل واطمأنت اليه ، وبثها وبشته ،
وتشاكيا ما شاء لهما الفرام الروى ، والحب الفتى ،
والدمع المسكوب !

وعلم منها أن أخيلوس ، أحد آلهة الآتهار ، قد خطبها
الى والدها وأن الملك قد اجابه الى ما أراد :

« فهل أسعد بأن تزيح هذا الكابوس عن قلبى ، »
« وتقف حائلا بينى وبين الشقاء الذى يتربص بى ، »
« فنكون أهنا زوجين ينعمان بلذة الحب ، ويرفلان »
« فى برد السعادة ، ويتغنيان مع الطير »
« الحسان الهوى والحياة . . . » (١)
هكذا بكت ديانيرا الى هرقل ، فهاجت فى قلبه نخوة
البطولة ونحيزة المغامرة ، وأطلقت فى كل عضلة من جسمه
المكتنز كهرباء الحماسة والاستبسال :

(١) هذه السطور من سوفوكليس فى مأساته الخالدة « هداوى
تراقية »

« قسرى عيننا ايتها الحبيبة فليس ايسر »
« على هرقل من حرب الالهة ، لقد صرفتهم »
« جميعا فى حفل الاولاد ، وقد مر بى من المغامرات »
« ما ينخلع من بعضه قلب اخيلوس . . . » (١)
واستأذن هرقل على الملك ، وحيا أحسن تحية ، ثم طلب
نذر ديانيرا . . . وكان اونيوس يعرف من بأس البطل وعظيم
قوته ما يعرف كل ملوك هيلاس وامرائها ، وكان قد أجاب
اخيلوس الى خطبته وهو يعلم من سخط ابنته على هذا
الزواج ما يعلم ، فلما تقدم اليه هرقل استبشر وقال :
« . . لقد كنت يا بنى وعدت اخيلوس أن يبنى على ديانيرا ،
وهو من تعلم فى الحول والطول والجبروت ، لكنى مع ذلك
لا أفضله عليك ، بل نجعل لكما يوما تلتقيان فيه ، فمن
يصرع صاحبه كان كفوا لديانيرا »

وقبل هرقل ، ورضى اخيلوس ، واجتمع الناس من كل
فج يشهدون الصراع العظيم بين الجبارين العنيدين . .
وكان كل واثقا بنفسه ، لا يخامره ادنى شك فى انه فائز
على صاحبه . فلما تقابلا ، ثار من حولهما النقع ، كانت
انظار الناس كأنها متصلة بسواعدهما بأمراس شداد ،
وبعد قليل اخذت الارض ترتجف من تحتها ، وطفق الملعب
يهتز بمن فيه من خلق كثير . . وكانت ديانيرا تشرف من
مقصورتها وتكاد تفص بزيقها اشفاقا على هرقل ، وكان
هو كذلك ، كلما خارت قواه ، نظر اليها النظرة فتجدد بها
روحه وتتضاعف قوته ويمتلئ قلبه بالآمال . . وكان
اخيلوس قد فطن الى جبروت هرقل ، وكان يستطيع ان
يتشكل بأى خلق أراد ، فجعل يتقلب من ثعبان ضخم

(١) هذه السطور من سوفوكليس فى مأساته الخالدة « عذارى
تراشينيا »

الجثة ، الى تنين عظيم الجرم ، الى أسد بادی النواجذ ،
الى .. ما شاء له سحره وقوة حيلته من أشكال وأوضاع
.. ثم انقلب الى عجل جسد ذى قرنين كبيرين ، وشرع
ينطح هرقل ، وهرقل يتقيه ، حتى استطاع البطل ان يأخذ
بقرنيه بكلتا قبضتيه ، وجعل يخبط برأسه الارض فى
عنف وغل ، حتى كسر أحد القرنين وأفر اخيلوس من
الميدان هاربا .. لا يلوى على شىء ..

ودوى الملعب بالتصفيق ، واندلعت الحناجر بالهتاف ،
وتدفق الناس نحو هرقل يحملونه على الاعناق .. وتقدمت
ديانيرا فحياها البطل بقبلة فردوسية خالدة ، لا يزال
صداها يرن على شفاه المحبين ..

وتم العرس .. وانطلق هرقل بزوجه يجوب الافاق

وحدث ان اعترضه نهر عظيم لم يستطع ان يعبره ومعه
ديانيرا . فبينما كان يعمل فكره كيف يقتحمه ، اذا سنتور
عظيم يعرض عليه ان يحمل زوجته فيعبر بها الى العداوة
الثانية سالمة آمنة ، ثم يرتد فيحمله اليها كذلك ، وقبل
هرقل ، ونسى ما كان بينه وبين السنتور من عداوة
وبغضاء ، وحرب قديمة تدمى لها قلوبهم ، وتقرح
نفوسهم ، وأعان هرقل زوجته فاستوت على ظهر السنتور ،
وخاض بها الماء وهو يطفر من الفرح ، ويحلم بالمنى
والامال . فما كاد يبلغ الشاطئ الاخر حتى عدا عدوا
شديدا ليكون بمنجاة من سهام هرقل . ولكن ديانيرا
صرخت صرخة مدوية نبهت ما غفل من سمع زوجها ،
فلما فطن الى خيانة السنتور ، شد قوسه العظيمة ،
وأرسل الى دبر السنتور سهما مرأشا كان قد شرب من
دم هيدرا حتى ارتوى !

وأحس السنتور بسم الموت يخترم حشاشته ، وبرودة

التصق به التصاقا ، وأخذ السم يشيع في جسمه
الحديدي فيذيبه ويفتته ..

وصرخ البطل بلا جدوى ! وكلما حاول انتزاع القميص
كان جلده يتمزق ، ولحمه يتهرا ، ويتصيب الدم من
فوق ومن تحت ... ثم أخذت نفسه تساقط أنفسا ..
وظفقت روحه تودع هذه الجثمان الهائل في دموع وآهات
حارة ...

ولفظ نفسه الأخير وهو يبكي ويقول : « فدى لك نفسي
.. يا .. ديا .. نيرا ! »



« وهوى الى الارض ما كان من الارض ، ورفرت
« الروح الكبيرة في جمهرة من أرواح الآلهة التي أقبلت »
« من الأولمب تزف ابن زيوس العظيم ، والكل ضاحك »
« مستبشر ان القى اخوهم حمله الثقيل ، وخرج الأولمب »
« جميعا يستقبل البطل ويهتف باسمه في عليين (١) »
وحمل الجثمان الطاهر الى جبل أويتا ، حيث دفن
في اجلال واعظام ، وحيث وقفت ديانيرا ترويه بدمعها
الفزير ..

(١) هذه السطور من شلر الالماني ، وفي بعض المصادر أن الذي
أثار الغيرة في قلب ديانيرا ، أنها سمعت أنه عاد الى إحدى صويحيباته
القدامى « ايول » وأنه هام بها ومع ذلك فلو قد علمت أن القميص
مسموم لما أرسلت به اليه

التوت الأبيض والثوت الأحمر أو (بيرام وقسيه)



كان أجمل شباب بابل ، وكانت أجمل حسانها
كان فتنة في فتنة ، في جسم قوى ، وقلب حمى ، وخلق
حيى ، وقوام مفتول ، ونفس حلوة ساكنة سيجواء (١) ..
وكانت قسيمة وسيمة خفيفة لطيفة ، غضة كالوردة ،
عطرية كأنفاس البنفسج ، تفر عن فم خمري شتيت ،
وترنو بعينين دعجاوين نجلاوين ، وترسل شـعرها
المفدودن (٢) على ظهرها العاجى تارة ، وصدرها المرمرى
أخرى ، يداعبه النسيم ، وتقبله الآلهة ، وتنتظم فيه
حبات القلوب ..

وكان بيتاهما متلاصقين ، فكانا يراها وكانت
تراه ، وكان يلقاها وكانت تلقاه ، وكانا يتلاعبان في الصفر ،
طفلين كالملائكة ، ثم شببا ، فكانا ينفران الى الخلاء
والادغال ، يلتقيان عند النبع القريب ، ويتسلق بيرام
أشجار التوت الأبيض - ولم يكن التوت الأحمر قد عرف
بعد - فيهر اغصانها وأفنانها ، ويساقط الثمر الشهى
الليذ على سندس العشب ، وطبا جنيا .. فتأكل
تسبيه ، وتقر عينا !!

(٢) المفدودن : الناعم الطويل

(١) ساكنة

ثم ترعرعا أيضا ، ودبت الحياة الحلوة الجميلة ، حارة
متدفقة زاخرة ، في قلوبهما الصغيرين ، وأخذ الفؤادان
الصغيران يثبان الى الأعين السعيدة الطاهرة يرى كل الى
صاحبه ، ويتزود كل من جمال أخيه زاد الهوى وذخيرة
الحب ، للأيام المقبلة

ولم يعرفا أنه الحب ، ذاك الذى يخفسق في صدريهما
أول الأمر ولكنهما عرفاه ، وعرفاه معرفة كلها شجوا
وكلها حنين ، حين ألح عليهما ، وحين كانا يفترقان أشوق
ما يكونان الى لقاء ، وأصبى ما يكونان الى اجتماع ، ثم
عرفا كيف يتشاكيان ، وكيف يتباكيان ، وكيف يكون
الليل جحيما حينما يقبل فيفصل بينهما بظلامه ، ويجمع
بين روحيهما بسهده ودموعه وطويل أئينه ، وكيف يكون
فردوسا خالدا حينما يجمع بينهما في لحظة أو في منام

ولم يقو بيرام على عذاب البعد ، فاتفق وتسببه على أن
يكلم أباه ليكلم أباهما في الخطبة ، ولكن والد بيرام أبى
واستكبر ورفض أن تكون هذه الفتاة التى هى مطمح
أبصار شبان المدينة زوجة لولده ، وكذلك أبى والد الفتاة ،
ثم شجر الخلاف واتسع ، وكثرت شياطينه ، وأحيا عداوات
قديمة ، فتدابروا القوم وتناكروا ولكن مافى قلب الحبيبين
ظل على ما كان عليه ، بل ألهب البعد الذى جرت اليه
الخصومة أوار خبهما ، فازدادا هياما ، وذابا غراما ،
وكانت عداوة أهليهما عليهما بردا وسلاما ..

ولم يعد يفكر الا فيها ، ولم تعد تفكر الا فيه ، وراح
ينظر الشعر يتغنى به برحائه ، ويرسل موسيقاه يكلم بها
السماء عسى أن ترق له آلهتها فترحمه مما يقاسى ...
وراحت هى تبكى وتتكلم بلغة الدموع الى نفسها المتاعة ،
وترسل اهاتها فى صميم الليل تتردد بين النجوم الخفاقة
الكلمى ، تتوسل الى أرباب الرحمة والحب أن تدرك بلطفها

ضعف الحبيبين المظلومين

وتصدعت السماء ، وانهمرت شآبيب الرحمة ، وانهل
فيض الحنان ، وأمرت الآلهة فزلزلت الأرض زلزالها ..
وكانت الغرفة التى ينام فيها بيرام ملاصقة للتي تنام فيها
حبيبته تسبيه ، وكان يفصلهما جدار مشترك بين المنزلين
المختصمين ، فأحدث الزلزال فى هذا الجدار صدعا صغيرا
كالشعرة فوصل هواء الغرفتين ، وحمل كلام الحبيبين ،
وأخذت موسيقى بيرام وغناؤه ينسابان الى غرفة تسبيه ،
وأخذ بكاء تسبيه وآهاتها تنساب فى غرفة بيرام ، وأخذت
النجوى الحلوة ، والشكوى الجميلة ، وغزل الكلام ، وحنين
القلوب ، ينتقل فى برج هذا الشق كأنها كواكب السعد
تحدوها الآهات الملهبة ، وتذهب بها القبلات الحارة ، ترف
بأجنحة من أثير ، من فم الى فم ..

— تسبيه ، تسبيه !

— من ؟ من ينادينى ؟

— تسبيه ، هو أنا — أنا بيرام !

— من أين تتكلم ؟

— من هنا .. ألم تشعرى بالزلزلة ؟

— آه ! شعرت بها فى العشاء ليلة امس

— انها أحدثت فى الحائط الذى يفصل بيننا شقا .. وانا
أكلمك منه

— بيرام !

— تسبيه !

— اذن لقد رثت الآلهة لحالنا !

— واستجابت دعاءنا يا تسبيه ، لقد حركتها موسيقاى !

— اذن كنت تعزف وتتغنى ، بينما كنت أبكى وأئن
وأذوى !

— لا ! ولكنى كنت أسكب نفسى دموعا على أوتار
القيثار !

— يا لقسوة هذا الجدار يا بيرام ! انه يفصل بيننا
بشدة !

— هو على كل حال أرحم بنا من أبويننا .. أليس قد
انفرج ليصل حديثنا ؟

— نشكره جدا ياتسبيه .. وأشكره أنا خاصة لانه فرج
عن قلبى بالتحدث إليك

— بيرام !

— حياتى !

— هل الجنة أجمل من سجننا هذا ؟

— انه أجمل من انصر الجنان يا تسبيه !

— وهذا الظلام ! أليس هو أضوأ من سنا الضحى ؟

— لاننا نتحدث فيه يا اختاه !

— احب ان اسمع موسيقاك يا بيرام تتدفق فى روحى
خلال هذا الجدار

— ليس احب الى من ذلك ياتسبيه

— انا لم اسمعك تغنى مذ تناكر أهلونا

— سأفعل ان وددت ؟

— وماذا عساك تغنى ؟

— كل أغنياتى التى ترنمت بها فيك ؟

— الا تغنى شيئا اخر ؟

— للآلهة ! لآلها أنعمت على بحبك !

وهكذا كانت أحاديث الحبيبين المعذبين كلما جنهما
الليل ، وضمهما غاشى الظلام ، أحاديث كأوشية الروع ،
واقواف الزهر ، ونجوى البلايل ، ممزوجة بعبرة أو عبرتين
يريقانها على جفاء الأهل ، ولدد الطباع ، وقسوة الأيام
ولم يحتملا هذه الحال طويلا ، فلقد شفهما الهوى ،
وأنحلتها الصبابة ، وفعل الحب في قلوبهما الضعيفين
أفاعيله . ففي ليلة سافرة البدر ، ساجية النسيم ،
صمتت فيها الطبيعة ، وتكلم القمر ، دار بين العاشقين
الحديث الآتى :

— تسبيه ؟ ؟

— برام !

— أبوشك القمر أن يكون بدرا يا حبيبتي !

— انه جميل الليلة ، وحيدا ان يظل جميلا الليالى
المقبلة ...

— ان القمر جميل دائما ... اليس هو ابتسامة هذه
الدنيا فى ليالى العاشقين ؟

— لكنه صامت ابدا ... انه أبكم لا يعى !

— سو ... لا تقولى ذلك يا تسبيه ... قد تسمعك
ديانا فتغضب !

— هل يتكلم ؟ هل يفهم ؟

— أما أنه يتكلم فحق ... لكنه لا يتكلم بلسان
كلساننا .. انه يتكلم بلسان من فضه يا تسبيه ، لسان
له رنين حلو فى أعماق الروح ... ثم هو يفهم آلام المحبين
لأنها تصعد اليه مع آهاتهم ...

— خيال شاعر وفلسفته ؟

— بل هو الحق يا حبيبتي ! لقد كان يكلمنى وكنت

أكلمه • وكان يفهمنى وكنت أفهمه ، كان يكلمنى بأرادته (١)
وأضوائه ، وهى لسان صامت ولكنه بليغ لسن ، وكنت
أكلمه بوجدانى مرة ، وموسيقاى اخرى ، فكان يضحك
فى الاولى ، ويرقص فى الثانية .. تسبيه !

— ماذا يا بيرام ؟

— أتمنى لو غمرتنا أشعة القمر غدا ، فى هذا السهل
المنبسط ..

— غدا ؟ وكيف ؟

— ولم لا ؟ ألا ترغبين ؟

— وكيف أرفض ؟ أنا أتمنى ذلك ..

— اذن سنلتقى !

— وكيف أفعل يا بيرام ؟

— تنسرقين اذا نام أهلك ... لن يشعر بك أحد ..

— وأين نلتقى ؟

— عند مقبرة نينوس

— ... ؟ ..

— الا تعرفينها ؟

— مكان رهيب !

— لكنه جميل رائع ! سنجلس ثمة بين يدى القمر
ونتحدث ، ونشفي أنفسنا مما تجد !

— وتعزف وتغنى ؟

— وقد نبكى ؟

— .. ؟ ..

— اتفقنا ! اليس كذلك ؟

— اتفقنا

(١) أشعته

— اذن انتظرك ، اذا لم أجذك هناك ، عند النبع القريب ،
تحت التوتة البيضاء ! وكذلك تفعلين
— افعل ماذا ؟

— تنتظريننى ثمة اذا سبقتنى !

— ترى ماذا تبتغى ديانا منى ؟

— لا شيء .. لا شيء ..



ما كان أجملها ليلة سطع في حواشيها القمر ، ودحرج
الآله على مياه النبع ، ودغدغ (١) بأضوائه العشب وأفنان
الشجر ، فتبسمت وتضاحكت ، ونشر في أجوائها بخوره
المتصاعد من مجامر الورد ، ومداهن البنفسج ، احتفاء
بمقدم تسبيه ، يا لجمال الطبيعة ! لقد كان كل ما فيها
موسيقى صامتة تنشر أحلى النغم حوالى هذه الحبيبة التى
انسرفت تحت أسدال الظلام ، تمشى كالقطاة ، وترسل
من فوق رأسها خمارا رقيقا كسحابة الصيف ، تستر
ما وراءها وليست شيئا ! لقد كانت توجس فى نفسها
خيفة وهى تدب فى سكون الليل ، كما يسرى الحلم الجميل
فى خلد النائم

وذهبت تطوى الطريق وفى رأسها ألف فكرة عن هذه
المجازفة ، وبلغت مقبرة نينوس آخر الامر ، ولكنها لم تجد
حبيبها عندها .. ترى ماذا عوقه ؟ لقد كان رخام المقبرة
نظيفا ناصعا ، ولقد كان شبح الفناء جاثما فوقها يلتمع
فى ضوء القمر ، كأنه يتلاعب بالسنين والاحقاب ، وكأنه
يسخر من كل شيء فوق الارض ! وبدا للفتاة الضعيفة
كأنه يرقص كالسكران فوق الشاخص الرخامى ، ولكنها

(١) الدفغة : الزغرة

أخذت تصرف عن عينيها رؤى عفاريت الليل ، وتساوير
الوهم المريض ، ثم سخرت من خوفها وذكرت التوتة
البيضاء ، والنبع الذي عندها ، فارتدت اليهما لتجلس
ثمة ، ترتقب زورة الحبيب

وجلست عند جذع التوتة ، وجعلت تحددج الثمر
الابيض ، وتشتهى لو سقط منه شيء فتأكله حتى يحضر
بيرام . . ثم سمعت ديبيا يقترب ، فلم تشك أن بيرام قد
أقبل ، ونبض قلبها بشدة وانذرفت من عينيها عبرة لم
تفكر هذه اللحظة في أن تذرفها . . ثم أبطأ الدبيب . .
ووثبت تسببه نمد عينيها الشاقيتين في أرجاء الدنيـسا
الصامته الرهيبة ، ولكنها لم تر شيئا ، وعادت عفاريت
الليل ترقص في وهمها ، ولكنها لم تبال ، وجعلت تجاهد
نفسها مجاهدة لينة مرة ، عنيفة مرة أخرى ، وهى فى هذا
وذاك تفكر فى بيرام ، وتضرب لتأخره أخماسا لاسداس . .
ثم ذعرت الفتاة ذعرا كبيرا ، وساخت الأرض تحت قدميها
المرتجفتين الواهنتين . . ذلك أنها لمحت شبح لبؤة تخرج
من دغل قريب فجأة ثم تيمم شطر النبع الذى تعرش من
فوقه التوتة . ماذا ؟ انها لبؤة ضارية أقبلت ترتوى من ظمأ
ملح وجواد (١) شديدا . . وهى تتبهنس (٢) مع ذاك
كانها عروس ، ولكن عروس من الجن

وأطلقت الفتاة ساقينها للريح ، ولم تحفل بها اللبؤة ،
لأنها قد افترست فريسة قبل ساعة ونهشتها ، وهذا
فمها ملوث بالدم الغريض الدافئ . .

لم تصنع اللبؤة شيئا ، الا انها رأت الخمسار الابيض
الذى كانت تسببه ملتفة به ، ملقى على الأرض ، فعاشت
فيه ، وكأنما أرادت أن تمسح فمها به ، فلوثته بالدم ،

(٢) تبختر

(١) الظمأ

ثم همهمت نحو النبع فارتوت على مهل ، وعادت أدراجها
نحو الدغل الذى تركت فيه فريستها لتأتى على بقاياها

أما الفتاة فقد ظلت تجرى حتى بلغت شجرة ضخمة
وجدت فى أصلها فراغا فاخبت فيه ، وراحت تلهث من
الذعر والتعب ، وتتمنى ألا تترد اللبؤة اليها . . . وقد أيقنت
أن ديانا الهة القمر ، قد سمعتها حين عابت على البدر
عنه وبكمه ، فسأقت اليها ذاك الوحش فى هذا الليل

ولم يمض وقت طويل على تلك الاحداث حتى أقبل بيرام
وفى نفسه لهفة ، وبقلبه قلق ، فقصد الى مقبرة نينوس
فلم يجد عندها شيئا ، ووقف قليلا يبحث عن تسبيه فى
كل شئ ! فى شجيرات الورد وفسائل الزنبق ، وفى
العشب الخائف المذعور حول المقبرة ، وتولاه طائف من
الوجد والذهول فراح يبحث فى السخابة الرقيقة البيضاء
التي انتشرت على وجه القمر فى هذه اللحظة ، مشبهة
خمار تسبيه ، اذ يكون على وجهها الرقيق الناحل . . ثم
ذكر ميعاده عند النبع القريب تحت التوتة البيضاء ،
فانشى ميمما شطرها . .

« يا للهول ! ويا للفرع الاكبر ! ! ما هذا ؟ خمار حريرى
أبيض ؟ لمن هذا الخمار يا ترى ؟ أواه ! انه خمارها
لأريب ! لقد شهدتها تلتفع به مبرا ! يا أرباب السماء !
ما هذا الدم ؟ وا أسفاه عليك يا تسبيه ! لقد قتلتك
الوحوش فلن أراك بعد اليوم ! أنا السبب يا حبيبتي ! لقد
جرت عليك هذا باقتراحى الضال ! ألا ليت أمى لم
تلدنى ! أى وحش ضار اغتذى بك يا تسبيه ؟ أيها القمر
القيح الابكم ، لماذا أغريتنا بهذا اللقاء ؟ أنت تتستر الان
حياء وخجلا من فعلتك التي فعلت ، وكنت بالامس سافرا
متبرجا ! اغرب ايها الاصفر كصفرة الموت ، فلا جمال

فيك ! رد على موسيقي وأغاني فأنت جيس (١) لثيم
لا تستأهل منها شيئاً ! هات كل ما عندك لي هات ! هات
دموعي وأشجاني وآهاتي ! هات سهدي وعبادتي
ومناجاتي ! قتلت تسبيه تحت سمعك وبصرك ! ما أقساك
يا صاحب الليالي المواضي ! أوه .. ولكن لا .. أنا الذي
قتلتها ، ولا ذنب لك يا قمر . اني أستغفرك ، ابق كل
ذكر ياتي عندك ، فلا آمن عليها الا أنت ! أما أنا .. فهل
يا حسام أسكن هنا .. في حبة القلب . ارو من هذا الدم
الدافئ ، فلا أمل لصاحبك في الحياة بعد اليوم »

وألقي الفتى المسكين نظرة على كل شيء حوله ، لا حرصاً
على الحياة المرة ، ولكن لينظر الى كل ما نظرت اليه تسبيه
قبل ان يأكلها الوحش ، وليتزود من الاثر الذي تركته في
الوجود عينها الحزینتان المفزوعتان ..

ثم أغمد سيفه في صدره وسقط يتجرع غصص الموت
وهذا روع تسبيه ، فبرزت من مكنها في أصل
الدوحة ، لترى من أين كان يتردد في أذنيها هذا النداء
الحبيب . وكان شبح اللبوة لا يزال يتمثل لها فيفرعها في
الفينة بعد الفينة ، ولكنها كانت تسير بخطى وثيدة لانها
ماشكت مطلقاً في ان النداء هو لحبيبها ، لان الصوت
الفضي الذي كان يمتزج بأصواء القمر فيفمر اذنيها وقلبها ،
كان لا يزال يداعب اذنيها الصغيرتين .. ثم بدا لها ان
تحت الخطى حتى تنبه بيرام الى وجود لبوة في هذا السهل
الجميل جعلته كالقلاة .. فأسرعت وأسرعت !

— من هذا المستلقى على حفاقي النبع ؟ هو من غير شك !
ثم أسرعت أكثر من ذي قبل

— بيرام ! ما هذا ؟ السيف في صدرك ؟ له ؟ حبيبي !
رد على ! كلم تسبيه ! ها أنا ذی ! لم قتلت نفسك يا بيرام ؟

(١) بكسر الجيم الثقيل الروح والجيان والليم

آه ! هذا الخمار الابيض ! وى انه ملوث بالدم ؟ عاثت فيه
اللبؤة الملعونة !

— تسـ .. بيه !

وأرسل القتييل هذا الاسسم المحبب وحشرجة الموت
تعتلج في صدره ، ثم فتح عينيه قليلا فرأى فتاته تبكى فوق
رأسه ، فتبسم .. ثم مات !

— بيرام ! لا ! لاتمت ! لابد أن تعيش من أجلى ..
ولكنه مات برغم هذه الامانى

— اذن انا التى قتلتك يا حبيبى ؟ اشهدى يا توتتنا
البيضاء !

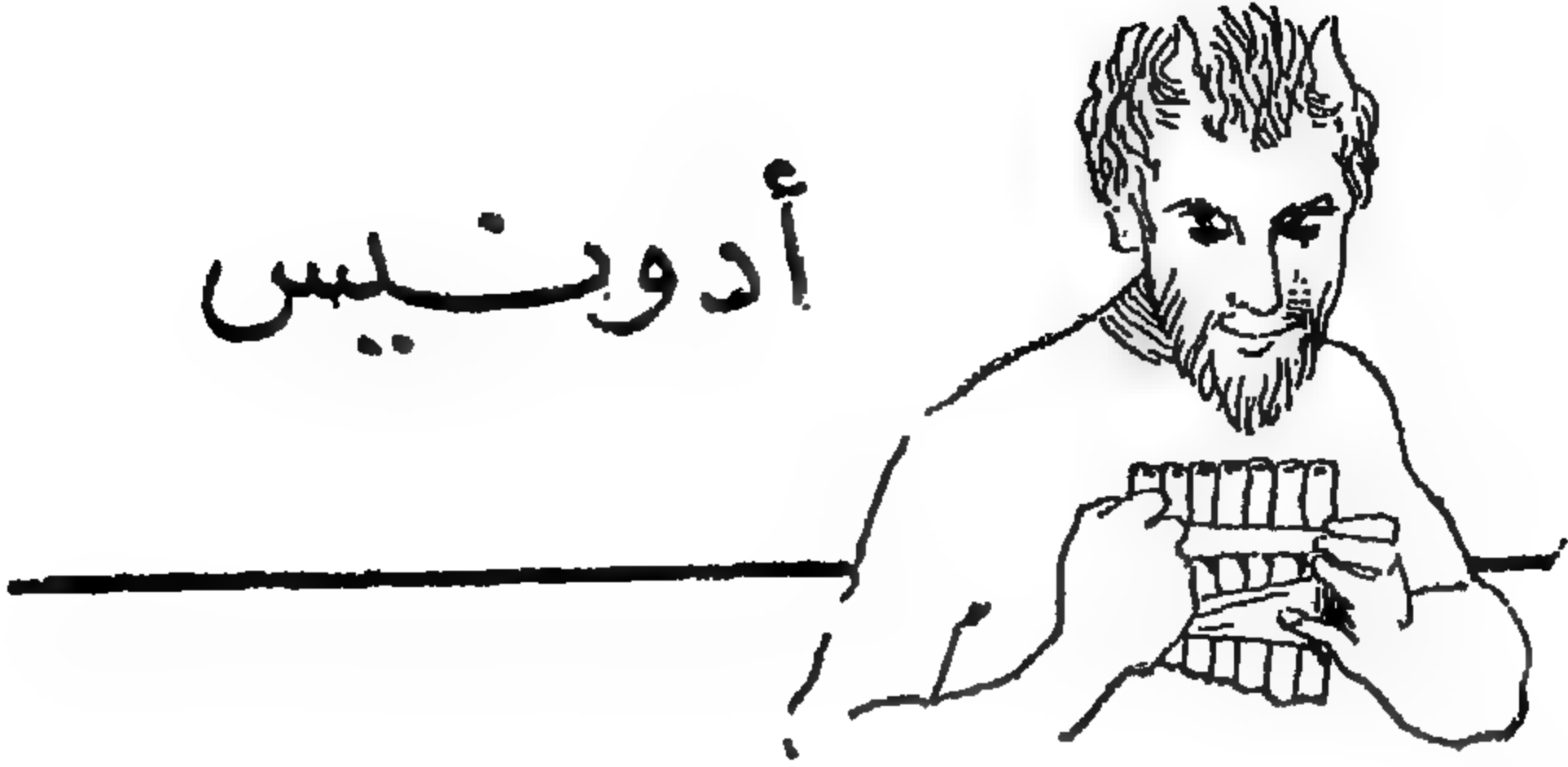
ثم رفعت بصرها الى فوق ، ولكنها بدلا من أن ترى
الثمر الشهى الابيض ، رأت ثمرا أحمر يقطر دما قانيا

— أوه ! رويت من دمه أيتها الشجرة فخرجت ثمرك
من حبنا وسعادتنا ؟ يا للقسوة ! تعالوا يا أهل ! تعالوا
أيها القساة ! فتشوا عن الرحمة فى قلوبكم المتحجرة
واذرفوا دموعكم علينا .. احذروا ان تفرقوا بعد اليوم
بيننا ، فقد ربطت جسومنا المنايا .. لقد أبيتهم أن نجتمع
فى الحياة فلا تفرقوا بيننا بعد الموت .. وداعا أيها القمر
.. وداعا فقد ظلمناك ! »

ثم جذبت السيف من صدر حبيبها وأغمדתه فى صدرها
بعد أن قبلت بيرام الميت قبلة الوداع .. وسقطت تتخبط
فى دمائها الى جانبه .. ثم عالجت سكرات المنون فوضعت
رأسها الجميل ، وشعرها المغسودن ، فوق صدره ..
ولفظت ثمة آخر أنفاسها

وأقبل أهلوها فى الصباح فبكوا كثيرا ، واستغفروا
لذنوبهم ، ثم أقاموا للحبيين قبرا واحدا من الرخام
الناصع عند حفافى النبع .. تحت التوتة الحمراء !

أدونيس



كان جميلاً كالكأس المترعة .. وله وجه أبيض كالجب،
تدفق الخمر في دمه ، وتكمن في عينيه ، وتنثال على
لسانه ..

رأته فينوس يستحم في بحيرة مزهرة ، فوقفت تنظر
الى هذا التمثال من بلور ، يسبح في لجة من لجين !
ولمحاها الفلام فخجل واستحيا ، وطفق يخفض عليه
من أوراق اللوتس .. ولكن الحياء ورد وجنتيه ، وصبغ
خديه ، وفتر ناظريه ، وتصيب في شفثيه فأحمرتا ! وبذلك
أصبح فتنة تملأ البحيرة ، وعجبا يشيع في الماء ..

وسبح الى الشاطئ المقابل ، بيد ان فينوس كانت عنده
قبل أن يبلغه هو ، فانشى يريد الشاطئ الآخر ، فكانت
فينوس عنده كذلك ، فارتد يحسب أنه سبقها الى
الشاطئ المقابل كرة أخرى ، ولكن الالهة العنيدة كانت
تسبق الوهم في الوصول الى أحد الشاطئين ، فلما نال
الجهد من أدونيس لم ير بدا من البروز الى البر ، وليكن
من أمر هذه الغادة التي تهاجمه بحبها - وهو لا يعرف من
هى - ما يكون !

- « أدونيس .. اليس كذلك ؟ » -

— « ؟ .. »

— « ألا تتكلم ؟ .. »

وكانت قطرات الماء البلورية تتحدر على جسمه
الرشيق ؛ فمن يدري ؟ أهى من ماء البحيرة أم من ماء
الخجل ! ...

— « تكلم يا أدونيس ! ألا تعرف من أنا ؟ .. »

— « ؟ ؟ ؟ .. »

— « أنا التى سجد عند اخصيها مارس الجبار ! لقد
ألقى سلاحه لدى النظرة الاولى التى زلزلت بها أركان
قلبه ! ألا تصدق ؟ أدونيس ؟ ! .. »

— « أرجوك .. ان رفاقى ينتظروننى ، ونحن جميعا
نتخذ أهبتنا للصيد .. »

— « صيد ؟ .. وماذا تصيدون فى هذه البرية
الموحشة ؟ .. »

— « الخنازير يا عادة .. انها متوحشة جدا .. »

— « وهى خطيرة أيضا ، وكل يوم لها ضحايا ..
أدونيس ! ألسنت ترى الى جمالك الفينان ! ألا تشفق
عليه من أن يضربه سفع من شمس هذه البرية المحرقة ؟
ألا تطلع عن صيد الخنازير القتالة ؟ .. تكلم ! لا تصمت
هكذا ! .. »

— « أرجوك ؟ »

— « ترجونى ؟ أنا التى أرجوك يا حبيبى ! .. »

— « .. ؟ ؟ .. »

— « أراك ارتبكت اذ دعوتك حبيبى ؟ وى ! ما هذا
الحياء ، يصبغك بلجوائه هكذا يا أدونيس ؟ تعال ..
هات قبلة ! »

— « لا .. لن يكون شيء من هذا ! اسمعى ! ها هي
ذی سلوقياتي تنبح ولا بد أن أسرع اليها .. دعيني ..
دعيني ! »

— « لن أدعك ، ولو أستجمعت شبابك كله وريعانك
ما استطعت أن تفلت من ذراعى يا حبيبي ! .. هات
قبلة قلت لك ! .. »

— « .. ؟ ؟ .. »

— « اذن أنال بالقوة كل ما أشتهى ! سأحرق شفتيك
الباردتين بشفتي المشتعلتين ! »

— « أ .. ر .. جوك أوه .. حسد .. بك .. »

— « فمك جميل شهى ، ولكن خديك جميلان كذلك
.. ألف قبلة على خديك وعارضيك أيها الفـلام
الفتان ! .. »

— « .. ؟ ؟ .. »

— « أنفاسك تتضوع من فمك الرفيق ، وأنفك الدقيق ،
فهل فيك حديقة من بنفسج ؟ .. »

— « أر .. جوك .. كفى .. كفى سلوقياتي تنبح ،
ولا بد أن أذهب ! .. »

— « تذهب ؟ ولمن تترك هذا الصدر الدافئ الذى
يضمك ؟ حقا أنت غرير ! .. »

— « أرجوك .. قلت لك ! »

— « كل هذه القبل أغمر بطوفانها فمك ، ولا تحييها
بقبلة ؟ .. قبلنى ! .. »

— « لا .. لا أقدر .. أرسل ذراعيك عن عنقي .. »

— « أنت لا تقدر ؟ آه يا ساذج ؟ .. اننى لن
أفلتك ما دمت تتباله على ! .. »

- « أرجوك ، دعيني أذهب ! لأوه .. »
- « قبلني قلت لك ! لن يقهر كبرياؤى فتى غسري
مثلك ! اذا قبلتنى أرسلتك ! .. »
- أقبلك ؟
- اجل ، قبلنى يا أدونيس !
- أقبلك كيف ؟
- هكذا يا صغيرى
- .. ؟ .. ؟ .. دعيني اذن !

وانتشست ربة الجمال بقبلة أدونيس اليافع ، فارتجفت
ارتجافة هائلة ، وخرت الى الارض كأنما غشى عليها ،
وارتبك الفتى الذى لم يالف مثل هذا الموقف النادر من
مواقف الحب ، فأنف أن يغادر المكان قبل أن يعالج الغادة
حتى تصحو ، ثم يذهب الى صيده بعد . ولكنه لم يدر
ماذا يفعل ، وعلى كل ، فقد طفق يدلك قدميها ، ويربت
على صدرها ، ويمر بيديه الناعمتين على خديها وجبينها ،
فلما لم تفق ، أهوى على فمها الحلو يلثمه .. ويرد اليه
دينه من القبل !

وكانت فينوس الخبيثة تحس وتصمت .. ولا تأتى
بحركة قد تطير بهذه الاجلام السعيدة التى تطيف بها ،
وتتنزل من السماء الصافية عليها ، ألم تكن تضرع اليه
من أجل قبلة واحدة ؟ فكيف بها تطرد هذه العشرات
والعشرات من القبل ؟

ولم تطق فينوس ..

ففينوس ربة ولكنها هلوك ! لقد طوقت أدونيس
بذراعيها ثم أمطرت فمه الخمرى ، ووجهه العطرى ، آفا

من القبل العذاب ، والنولات الرطاب (١)

حدثته عن الحب بلسان ينفث السحر ، وعينين تتقدان
اشتها ، ولكنه كان يصم أذنيه ويغلق أبواب قلبه .
وضمته بخرارة وعنفوان الى ثدييها ، فمما زادتة الا
شموسا وعنادا ..

قالت له : « الا تقبل على الا ميتة يا أدونيس ؟ أيسرك
أن أقضى بحبى أذن ؟ ألسنت أعدل عندك خنزيرا يريا ؟
أكلما خلعت عليك شبابي ونضرتى وحبى ، ألقيت بها
فى تراب كبرياتك غير آبه لدموعى وتوسلاتى ؟ افتح
قلبك للحب يا صغيرى !! » ..

ولكن أدونيس يعبس غبوسة محنقة ويقول لها : « أهذا
كله عندك هو الحب ؟ .. »

فتنظر فى عينيه الساخرتين نظرة تستشف بها ما
فى قهرارة نفسه وتسأله : « اذن ما هو يا أدونيس ؟ »
وينفجر الفتى بالحقيقة المرة فيقول لها : « ان كنت
تجهلين ما هو ، فالحب أجل من هذا وأقدس يا غادة ..
انك قد أسلمت جسمك للشهوة تصهره ، وروحك

(١) لا نستطيع متابعة الموقف ، ولكننا نشبت هنا أسطرا من شكسبير
الذى لم نعرف فيه تفحشا ، فى وصف ماكان بينهما - وذلك من
قصته الخالدة Venus and Adonis (مجموعة وارك
ولوك ص ١٥٢٤)

He will not manage her, although he mount her.. etc..
All is imaginary she doth prove,
Her champion mounted for the hot encounter :
Now is she in the very lists of love
He on her belly falls, she on her back.
She sinketh down, still hanging by his neck,
and on his neck her yoking arms she throws :

والقصة رائعة ، وبها أكثر من ثلثمائة بيت فى وصف القبل
وحدها ، ومن لم يقرأها لم يعرف شكسبير القصص . والنولة القبلية

للغلمة تحرقها وتذهب بها شعاعا .. دعيني أذهب اذن
.. دعيني .. سلوقياتي تنبح ولا بد أن أذهب اليها ..»

وكان ثلجا ذاب في أعصاب فينوس عندما سمعت
أدونيس ينتهرها ويعيرها ، فتقلصت ذراعاها ، وفترت
نفسها ، وخمدت في قلبها تلك الشهوة الملحة التي سلطت
عليها تعذيبها وتضنيها .. واستطاع الفتى بجهد بسيط
أن يتخلص من أسرها ، فانطلق يعدو كالظليم الى
سلوقياته التي كانت تناوش خنزيرا كبيرا بادی النواجذ ،
بارز الانياب

وجلست فينوس تنظر الى ادونيس يعدو ، وتجتثر
كلماته وتتعذب

وغفت اغفائة قصيرة ، ولكنها استيقظت فجأة على صرخة
راجفة من جهة الشرق ، حيث كان فتاها الحبيب يتلهى
بالصيد ، فهبت مروعة ، لان الصوت كان بصوت
يا للهول !!

أدونيس مخرج بدمه ، وعيناه مستسلتان للموت (١)،
وسلوقياته تبكى حوله ! لقد انقض عليه الخنزير الضارى
فمزق لحم الفخذة ، وسرى في الدم سم الكلب !

ووقفت فينوس ذاهلة تنظر الى حبيبها الصغير ، ثم
أهوت على فمه تقبله وترشفه وتبكي .. ثم أسندت
الرأس الذابل الى صدرها ، وجعلت تقول :

« ألم يكن حبا حبي يا أدونيس !؟ يا للقضاء !؟ كنت
أعرف هذه النهاية ، وكنت أشفق عليك منها ، ولذا
كنت أتشبث بك ، وأحاول أن أنسيك بقبلي ودموعي

(١) اقرا مرثاة شلى (ادونيس) في كيتس ، طبعة اكسفورد ص ٤٢٥

خنازير هذه البرية ، ولكنك قلت ان حبي شهوة وصبايتي
غلمة ، فجئيت على نفسك وعلى !! أوه ! يا لبرودة الموت ؟
أدونيس ؟ أدونيس ؟ رد على يا حبيبي ! لقد حسبتني
غادة ! أنا فينوس أكلمك فرد على .. آه .. »

وألقيت به على الكلاء السندسى ، وانطلقت تبكى وتنتحب
حتى كانت عند عرش الاولب فقالت تكلم رب الارباب
زيوس العظيم :

— « أدونيس يا أبى !! »

— ماله ؟ ..

— قضى .. قتله الخنزير ..

— ومالك مذعورة هكذا ؟ ..

— « مذعورة ؟! وحقك ان لم تأمر برده الى الحياة

الدنيا لذهبن معه الى هيدز ! »

فوقف الاله كان يجلس قريبا من السدة وقال : تذهبن
الى هيدز ؟! يا للهول ! والجمال والحب ؟ أيذهبان في
اثرك الى دار الموتى ؟ وهذه الدنيا يا فينوس ؟ »

— « هذه الدنيا تنعى من بناها .. تخرب .. لا زهر ..
لا شفق .. لا طير .. لا موسيقى .. لا خمر .. لا حب
.. لا حنين .. لا غزل .. لن تكون دنياكم شيئا اذا
ذهبت الى هيدز مع حبيبي أدونيس !! »

فسجد الاله الذى تكلم أمام زيوس ، ثم نهض وقال
له :

— أنا بلسان الآلهة أضرع الى مولاي أن يلبي طلبه
فينوس ربة الحب ..

فتبسم آله خبيث كان بالقرب منه ، وغمز اليه
وقال :

— وربة الجمال يابن العم !!

وأرسل زيوس العظيم الى أخيه .. بلوتو .. الله
هيدز ، يرجوه عن أدونيس ويستأذنه فيه ، ولكن بلوتو
كان أحرص على الجمال من سكان هذه الحياة الدنيا ،
فأبى أن يلبي رجاء أخيه .. فألح عليه ، فلم يقبل ..
ثم اتفق الاخوان ، زيوس وبلوتو ، على أن يجعلوا
حياة أدونيس مناصفة ، فيقضى ستة أشهر في هيدز ،
أشهر الخريف والشتاء ، وستة أشهر في الدنيا ، حيث
تأخذ زخرفها في الربيع وتؤتى أكلها في الصيف !!
ولما لقيت فينوس حبيبها عائدا أدراجه من دار الفناء
قالت له :
« أتستطيع اليوم تعريف الحب ؟ » فقال أدونيس :
« هاتى قبلة يا فينوس .. هاتى قبلة .. هاتى ألف
نبلة .. »

فهرس

صفحة

٧	هذا الكتاب
١٢	مقدمة
١٥	بسيشيه وكيوبيد
٣٤	ايخور ونركيسوس
٤٣	بين ابولو وكيوبيد
٥١	يو او منشأ ايزيس
٦١	برسيوس واندروميذا
٧٤	ارفيوس الموسيقى
٨٣	مأساة أم
٩١	يوم قيامة
١٠٢	بلوتو يخطف برسفونيه
١١٠	مصرع بروكريس
١٢٠	أجنحة ديدالوس
١٢٨	بومونا
١٤٠	خرافة جاسون
١٧٦	فينوس
١٨٧	القرية انظالة
١٩٦	غرام أورورا
٢٠٦	بجماليون المثال
٢١٦	ثيديوس يقتل المينوطور
٢٢٨	بندورا
٢٣٧	هيرو ولياندر
٢٤٨	هرقل
٢٥٧	مجازفات هرقل
٢٨٦	التوت الأبيض والتوت الأحمر
٢٩٧	أدونيس

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

جدة : السيد هاشم بن علي نحاس - ص.ب ٤٩٣

البحرين : السيد مؤيد أحمد المؤيد - ص.ب ٢١

Sr. Miguel Maccul Cury,
R. 25 de Marco, 994,
Caixa Postal 7406,
Sao. Paulo, BRAZIL

البرازيل :

Mr. Ahmed Bin Mohamad Bin Samit
Almaktab Attijari Assharat,
P.O. Box 2205,
SINGAPORE

سنغافورة :

ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU
7, Bishopsthorpe Road
London S.E. 26
ENGLAND

انجلترا :

